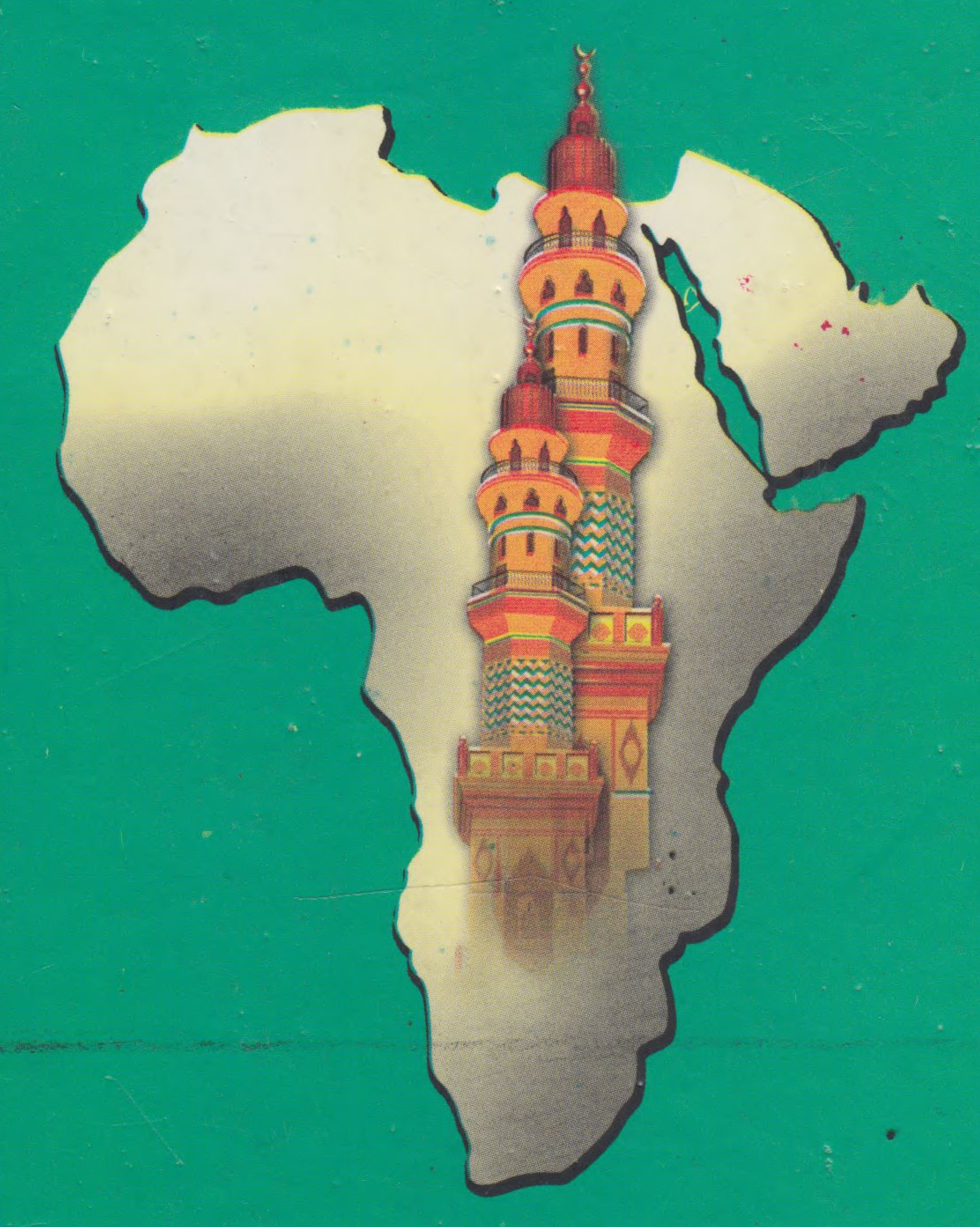
فى
تاريخ إفريقيا الإسلامية



الأستاذ الدكتور
نبيلة حسن محمد
أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية
كلية الآداب - امعة الإسكندرية

دار المعرفة الجامعية

دار المعرفة الجامعية
طبع نشر توزيع

في

تاريخ أفريقيه الإسلامية

انتشار الإسلام في السودان الغربي

من القرن الخامس حتي القرن التاسع الهجري

الأستاذ الدكتور

نبيلة حسن محمد

أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية

كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

٢٠١٠

دار المعرفة الجامعية

كلمة شكر

أتوجه بأسمى آيات الشكر والعرفان بالجميل لأستاذي الأجل الدكتور سعد زغلول عبد الحميد، الذي كان لسيادته كل الفضل في توجيه هذا البحث، وكانت نصائحه وإرشاداته العلمية خير معين لي على إنجازه،،،

المقدمـــة

في هدف البحث ومصادره

- هدف البحث.
- التعريف بالمصادر.

﴿ ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين ﴾

(قرآن كريم. سورة آل عمران، آية ٨٥)

المقدمـــة

فى هدف البحث ومصادره

يتناول البحث الذى يقوم فى هذه الرسالة الإسلام فى السودان الغربى الذى كان يشمل غانة ومالى وكوكوا والذى يعادل حاليا جمهورية مالى من القرن الخامس الهجرى إلى القرن التاسع الهجرى.

والغرض من هذه الدراسة هو تتبع انتشار الإسلام فى بلاد السودان.

وأول الظواهر التى تسترعى الانتباه انه على عكس انتشار الإسلام فى معظم انحاء المشرق والمغرب وراء الجيوش الإسلامية، فان الإسلام دخل إلى السودان مع قوافل التجار التى كانت تتردد مابين المغرب والسودان.

وإلى جانب التجارة دخل الإسلام من طريق التبشير، ويرجع الفضل فى ذلك إلى نشاط بعض التجار من شيوخ الاباضية الذين عملوا على نشر الإسلام والعمل على توطيد أركانه فى هذه البلاد النائية التى كانت تعتبر آخر المعمور من الأرض.

وكانت المدن التجارية مثل غانة ومالى وجنى وكوكوا وتنبكت، أهم المراكز الإسلامية لأن موقع هذه المدن الجغرافية هيأ لها فرصة اتصال أكبر بالعالم الخارجى.

وتوغل الإسلام فى قلب بلاد السودان مع مطلع القرن الخامس الهجرى وبفضل قبائل صنهاجة أصحاب اللثام (المرابطين). فبعد أن تم الاتحاد السياسى بينهم بدأ جهادهم الفعلى، وكان هدفهم الأول منه هو غزو بلاد السودان وادخال امه الوثنية فى الإسلام. وقام عبد الله بن ياسين وتلامذته بدعاية دينية حية بين السود القاطنين حينذاك على ضفة السنغال، وكذلك

الشعوب النيجيرية. ومع ذلك كما يقول دلافوس Delafosse فينبغى الا نغالى فى أهمية ادخال السود إلى الإسلام عن طريق المرابطين ولا أن نقول كما فعلوا فى بعض الأحيان أن هؤلاء قد ادخلوا كل السودان فى الإسلام.

والجدير بالملاحظة أنه اذا كانت بلاد السودان الغربية قد عرفت الإسلام منذ وقت مبكر، فان السودان الشرقى والنوبة - رغم أنهما وثيقتا الصلة بمصر من الناحية الجغرافية - على عكس ذلك لم يظهر فيهما الإسلام إلا فى وقت متأخر فى أوائل القرن الثامن الهجرى - (انظر، ابن خلدون، العبر، جـ ٥، ص ٤٢٩ عن «أخبار النوبة واسلامهم»، القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٥، ص ٢٧٧). والفضل فى ذلك يرجع إلى بلاد المغرب، ونتيجته أن التأثير المغربى واضح فى بلاد السودان الغربية فكانت «كتابتهم بالخط المغربى على طريقة المغاربة» كما يقول ابن فضل الله العمرى فى مسالك الابصار (وكلامه عن مالى) «ولباسهم عمائم بحنك مثل الغرب، ولبسهم شبيه بلبس المغاربة.

ورغم أن الإسلام سنى فى المغرب ورغم أنه دخل إلى السودان عن طريق المغرب فان الإسلام فى السودان كان له عاداته وتقاليده الخاصة به.

ومما يميز السودان الغربى ظاهرة الاستقلال، فالبلاد لم تخضع للسيطرة الاجنبية - باستثناء العصور الحديثة - ماعدا فترة قليلة لاتتجاوز العشر سنوات (من سنة ١٠٧٦ - ١٠٨٧م)، كانت فيها غانة تابعة للمرابطين، وفترة الحكم المراكشى فى جاو الذى استمر قرن من الزمان (١٥٩١ - ١٦٨٠).

المصادر التي نرجع إليها لدراسة تاريخ الإسلام في السودان الغربي، في فترة القرون الأربعة التي يشملها البحث (من القرن الخامس إلى القرن التاسع الهجري) تتمثل في : كتب التاريخ العام، وكتب تاريخ المغرب (لبيان الصلة بين السودان والمغرب) وكتب التاريخ الخاصة بالسودان.

ويعتبر كتاب تاريخ اليعقوبي من أقدم كتب التاريخ العام المشرقية. واليعقوبي هو أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح العباسي، توفي سنة ٢٨٤هـ / ٨٩٧م[٢]. وكان جده واضح مولى للخليفة العباسي[١] المنصور، ولي عمل ارمينية، وكان عاملا أيضا على مصر[٣]. وكان اليعقوبي مؤرخا وجغرافيا ورحالة، اشتهر بميوله الشيعية[٤]، وطاف العالم الإسلامي[٥]، وعاش طويلا بأرمينية وخراسان وزار الهند وفلسطين وتمتع برعاية الطولونيين أثناء مقامه الطويل بمصر والمغرب. وألف كتابا في التاريخ (يعرف بتاريخ اليعقوبي نشره Houtsma في ليدن ١٨٨٣) في جزئين أولهما يعالج التاريخ العام القديم، ويبدأ مثل مثل بقية كتب التاريخ العام بالكلام عن بدأ الخليقة وينتهي بظهور الإسلام.

---

(1) Blachére, Extraits des principaux geographes du moyen age, paris, 1932, p, 116.

(2) Brockelman supl,Vol I, p, 405.

(٣) الكندي، كتاب الولاة والقضاة، نشر رفن جست، بيروت، ١٩٠٨، ص ١٢١.

Blachére, Extraits des principaux geographes du moyen age, p, 116.

(٤) نفس المرجع ، ص ١١٦.

(٥) نفس المرجع، ص ١١٦.

(٦) كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، مطبوعات جامعة الدولة العربية، جـ١ ، ص ١٥٨.

والجزء الثانى فى تاريخ الإسلام يبدأ بالكلام عن مولد الرسول (ﷺ) ويتوقف عند احداث سنة ٢٥٩ هـ فى خلافة أحمد المعتمد على الله وهومرتب حسب الخلفاء لاحسب السنين.

ويتضمن الجزء الأول فصلا سريعا عن ممالك الحبشة والسودان، يتكلم فيه عن سودان المشرق والمغرب، ويتحدث عن كانم، ومملكة ملل، ثم عن مملكة الكوكو، ثم يحدثنا عن مملكة غانة[١].

وبعد اليعقوبى يأتى المسعودى، وهو أبو الحسن على بن الحسين بن على، من ذرية عبد الله بن مسعود رضى الله عنه[٢] ولذا عرف بالمسعودى، وهو من أسرة عربية عريقة فى بغداد[٣]. والحقيقة أن المسعودى من الكتاب القلائل الذين تجولوا فى البلاد المختلفة، تجول بفضول لمدة حوالى الأربعين عاما زار خلالها فارس والهند والصين، وزنزبار، وبلاد الشام وكذلك مصر، حيث توفى فى الفسطاط سنة (٤٣٦هـ / ٩٥٦م)[٤].

ويحتوى الكتاب على معلومات كثيرة وليدة التجربة ومشاهدة العيان.

والكتاب يبدأ بذكر المبدأ وشأن الخليقة، وينتهى بخلافة المطيع سنة ٣٣٦[٥].

---

(١) اليعقوبى، تاريخ اليعقوبى، طبعة بيروت، سنة ١٩٦٠، جـ١ ص ١٩٣ - ١٩٤.

(٢) ابن شاكر الكتبى، فوات الوفيات، طبعة التجارية، جـ٢، ص ٩٤، ابن النديم،الفهرست طبع مصر، ص ٢١٩ - ٢٢٠.

(3) Sauvaget, Historiens arabes,Paris, 1946, p, 39.

(٤) ابن شاكر الكتبى، Sauvaget, Historiens arabes,P, 39.

فوات الوفيات، جـ٢، ص ٩٤.

(٥) المسعودى، مروج الذهب، ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، طبعة التجارية ١٩٥٨، فى أربع أجزاء.

ويتضمن الجزء الثاني من «مروج الذهب» فصلا عن «ذكر السودان، وانسابهم واختلاف اجناسهم وأنواعهم وتباينهم في ديارهم، واخبار ملوكهم»، ويذكر لنا من بين سودان المغرب: الكانم، وكوكو، وغانة[1] وهو كمشرقى يهتم بالسودان الشرقى على وجه الخصوص، ويهتم بالعجائب والغرائب فهو يحدثنا عن الزرافة، وصيد الفيلة، والبقر والجواميس، وعن معدن الذهب.

ونتنقل إلى كتاب البكرى «ورغم أن كتاب البكرى من كتب المكتبة الجغرافية العربية الا أننا نذكره بين كتب التاريخ نظرا للمعلومات التاريخية الهامة التي يحويها بين دفتيه[2].

والبكرى هو أبو عبيد الله بن عبد العزيز بن محمد، ولد فى قرطبة سنة ٤٣٢ هـ / ١٠٤٠م وتوفى فيها سنة ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤م [3] ويرتفع نسبة إلى بكر بن وائل[4]، وهو ينحدر من بيت شريف، فقد كان أباؤه أصحاب ولبه وشلطيش، وظلوا فى امارتهم حتى غصبهم المعتمد ابن عبادولبة[5]. فلجأ عبد العزيز وصحبه ابنه أبو عبيد إلى قرطبة سنة ٤٥٦ هـ / ١٠٦٤م وانتقل ابنه ابو عبيد إلى بلاط المريه لدى السلطان محمد بن تمعن الذى قابله بترحاب

---

(١) المسعودى، مروج الذهب، جـ٢، ص ٤.

(٢) الاستاذ الدكتور سعد زغلول، تاريخ المغرب العربى، طبع دار المعارف ١٩٦٥، ص ١٤.

(3) Brock, G.A.L., Vol 1, p, 476, Suppl, Vol 1, p, 875 - 876.

(٤) انجيل بالنثيا، تاريخ الفكر الاندلسى، ترجمة الدكتور حسين مؤنس طبعة القاهرة ١٩٥٥، ص ٣٠٩، الاستاذ الدكتور حسين مؤنس، الجغرافية، والجغرافيون فى الاندلس من البداية إلى الحجارى، صحيفة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية بمدريد المجلدان السابع والثامن، مدريد ١٩٥٩، ١٩٦٠، ص ٣١٠.

(٤) كراتشكوفسكى، تاريخ الادب الجغرافى، ص ٢٧٥.

(٥) انجل بالنثيا، تاريخ الفكر الاندلسى، ص ٣٠٩.

وبعثه الأخير فى مهمة دبلوماسية لدى المعتمد بن عباد فى اشبيلية حيث استقر فيها. ولكنه رجع مرة ثانية إلى قرطبة بعد هزيمة المعتمد على ايدى المرابطين[1].

وأهم كتبه كتاب المسالك والممالك، وقد وصلنا منه الجزء الخاص بصفة المغرب (كتاب المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب - نشر دسلان، الطبعة الثانية، الجزائر، ١٩١١).

ويعتبر الفصل الخاص بـ « ذكر بلاد السودان ومدنها المشهورة واتصال بعضها ببعض والمسافات بينها ومافيها من الغرايب وسير أهلها» - من كتاب المغرب - من أهم ماكتب عن السودان الغربى. وفى هذا الجزء الخاص ببلاد السودان نجد معلومات متنوعة متباينة، معلومات اقتصادية واجتماعية، ومعلومات عن المعتقدات والديانات المختلفة، وعن العادات والتقاليد وكذلك يحدثنا عن العجائب والغرائب. فهو مثلا يكلمنا عن مملكة غانة وعن التنظيم السياسى فيها، عن نظام توارث الملك، وعن جلوس الملك للناس والمظالم، عن العادات المتبعة فى تحية الملك، ويكلمنا عن خطط المدينة، وعن الذهب فى هذه البلاد، وعن المكوس التى يتقاضاها ملك غانة على التجارة، وعن طريقة التبايع، ويحدثنا عن مدينة تكرور وسلى، وعن ملل. وعن مدينة كوكوا، وعن دخول الإسلام إلى هذه المدن فى منتصف القرن الخامس الهجرى وهى الفترة التى كان البكرى معاصرا للأحداث فيها وبمثابة شاهد عيان فهو يكتب فى سنة ٤٦٠هـ / ١٠٦٧ - ١٠٦٨م.

وهو يحدثنا أيضا عن المدن التى تعتبر أبواب السودان مثل زويلة، وغدامس، وسجلماسة، وأودغست ويرسم لنا صورة واضحة عن الصحراء

---

(١) كراتشكوفسكى، ص ٢٧٥.

الموصلة بين بلاد المغرب وبلاد السودان.وعن قبائل بين لمتونة وبنى جدالة من صنهاجة ودورها فى جهاذ السودان.

ومعلومات البكرى فى هذا الجزء تنقسم إلى قسمين: معلومات نقلها عن المؤرخين السابقين، ومعلومات معاصرة. ويبدو أن البكرى استقى معلوماته عن بلاد السودان من التجار، والمسافرين الذين جولوا فى هذه الأماكن، إلى جانب اطلاعه على وثائق وسجلات ديوان قرطبة.

ثم ننتقل إلى العمرى، وهو شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله بن مجلى بن دعجان بن خلف بن نصر بن منصور بن عبد الله بن عبيد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوى[1] وهو ينحدر من أسرة عربية أصيلة، تصعد فيما يزعم إلى الخليفة عمر، حيث أضاف أفرادها إلى إسمهم لقب العمرى[2].

ولد شهاب الدين بدمشق فى سنة (٧٠٠ هـ / ١٣٣٢م) وتلقى تعليمه هناك[3]. وقرأ العربية على كمال الدين بن قاضى شهبة ... وقرأ الاحكام على ابن تيمية[4]. وقد ربطته تقاليد اسرته بعمل الدواوين[5] وكما يذكر المقريزى فان اسرة العمرى قد تولت منصب (كاتب السر) بمصر ودمشق مدة قرن من الزمان تقريبا خلال العصر المملوكى[6]. وكان أبوه يتولى منصب

(١) المقريزى، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، طبعة النيل سنة ١٣٢٥ هـ، جـ٣، ص ٩١، ابن حجر، الدرر الكامنة فى اعيان المائة الثامنة، الطبعة الأولى حيدر أباد الدكن، ١٣٤٨ هـ، جـ١، ص ٣٣١ (ترجمة رقم ٨٢٨).

(2) G. Demombynes, Masalik El Absar fi Mamalik El Amsar, L'Afrique moins L'Etypte, Paris, 1927, Preface, p. II.

(٣) ابن حجر، الدرر الكامنة، جـ١، ص٣٣١. Blachére, extraits, , 301.

(٤) ابن حجر، الدرر الكامنة، جـ١، ص ٣٣١.

(٥) كراتشكوفسكى، تاريخ الادب الجغرافى، ص ٤١٠.

(٦) المقريزى، الخطط، جـ٣، ص ٩٠ - ٩١.

كتابة سر دمشق من قبل السلطان الناصر محمد بن قلاوون. وفى سنة ٧٣٠هـ / تقلد كتابة السر بالديار المصرية[١]، وقد شغل شهاب الدين فترة منصب القاضى بمصر[٢]، ثم خلف أباه محيى الدين فى كتابه السر للسلطان الناصر محمد[٣].

وظل شهاب الدين فى وظيفة كاتب السر[٤]، إلى أن غضب عليه السلطان – وعزل بأخيه القاضى علاء الدين – وسجن لفترة تقرب من العام فى قاعة الصاحب من قلعة الجبل، وافرج عنه سنة ٧٤٠هـ، وأقام بداره، ثم استدعاه السلطان وولاه كتابة السر بدمشق سنة ٧٤٠هـ / ١٣٤٠م[٥]، وظل يباشر مهام الوظيفة حتى مات بدمشق فى ٩ ذو الحجة سنة ٧٤٩ هـ / ٢٨ فبراير ١٣٤٩م بالطاعون[٦].

(١) المقريزى، الخطط، جـ٣، ص٩١.

(٢) المقريزى، الخطط، جـ٣، ص ٩١.

(٣) المقريزى، الخطط، جـ٣، ص٩١.

(٤) عن كاتب السر، أو صاحب ديوان الانشاء، انظر القلقشندى، صبح الاعشى، جـ١، ص ١٠١، ١٠٤.

(٥) المقريزى، الخطط، جـ٣، ص ٩٢.

(٦) ابن حجر، الدرر الكامنة، جـ١، ص ٣٣٣، ابن الوردى، تاريخ ابن الوردى المسمى تتمة المختصر فى أخبار البشر، جـ٢، ص ٣٥٤، (احداث سنة ٧٤٩) يقول: «وفيها فى ذى الحجة بلغنا وفاة القاضى شهاب الدين أحمد بن فضل الله العمرى بدمشق بالطاعون. منزلته فى الانشاء معروفة وفضيلته فى النظم والنثر موصوفة ولى كتب السر للسلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون بالقاهرة بعد وفاة أبيه يحيى الدين ثم عزل باخيه القاضى علاء الدين وكتب السر بدمشق ثم عزل وتفرغ للتأليف والتصنيف حتى مات عن نعمة وافرة. دخل رحمة الله قبل وفاته بمدة معرة النعمان فنزل بالمدرسة التى أنشأتها ففرح لى بها وانشد فيها بيتين أرسلهما إلى بخطه وهما:

وفى بلد المعرة دار علم ... بنى الوردى فيها كل مجد
هى الوردية الحلواء حسنا ... وماء البئر فيها ماء ورد

فأجبته بقولى:

وللعمري عدد من المؤلفات لعل من أهمها الموسوعة الكبرى في الجغرافية والتاريخ الموسومة بمسالك الابصار في ممالك الامصار، وإلى جانب الموسوعة الكبرى، للمؤلف مصنف آخر شهير، عنوانه «التعريف بالمصطلح الشريف» والعنوان يحمل في ثناياه الهدف الرئيسي من تأليف الكتاب، فالكتاب يؤرخ لفن كتابة الانشاء ولديوان الانشاء ونظمه وقوانينه[1] ولكنه بفضل المنهج الذى اتبعه المؤلف أصبح مصدرا هاما بالنسبة للتاريخ والجغرافية التاريخية[2].

وينقسم الكتاب إلى سبعة أقسام الأول في رتب المكاتبات.والثاني في عادات العهود والتقاليد والتفاويض والتواقيع والمراسيم والمناشير. والثالث في نسخ الاعيان والرابع في الامانات والدفن والهدن والمواصفات والمناسخات. والخامس في نطاق كل مملكة وماهو مضاف اليها من المدن والقلاع والرساتيق. والسادس في مركز البريد والحمام ومراكز هجن الثلج والمراكب المسفرة به في البحر والمناور والمحرقات. والسابع في أوصاف ماتدعو الحاجة إلى وصفه[3].

وفي القسم الأول «رتب المكاتبات» يحدثنا عن ملك التكرور صاحب مالي وعن بلاده، ورسم المكاتبة إليه، وكذلك عن رسم المكاتبة إلى صاحب برنو، وصاحب الكانم[4]، والكتاب نشر في القاهرة سنة ١٣١٢هـ / ١٨٩٤م.

امولانا شهاب الدين انى   حمدت الله اذ بك تم مجدى
جميع الناس عندكم نزول   وانت جيرتنى ونزلت عندى

Brock, G.A.L. Vol II, p. 141, Vol II, p. 175, G. Demom Bynes, L'Afrique moins L' Egypte, introduction, p. II.

(١) أ.د. جمال الدين الشيال، مجموعة الوثائق الفاطمية، طبعة القاهرة ١٩٥٨، طبعة أولى، ص ١٠.

(٢) كراتشكوفسكى، تاريخ الأدب الجغرافى، ص ٤١١.

(٣) العمرى، التعريف، ص ٢٧-٢٩.

(٤) العمرى، التعريف، ص ٢٧-٢٩.

أما موسوعة العمرى الكبرى. مسالك الابصار فى ممالك الامصار، فيبلغ عدد اجزائها السبعة والعشرين جزءا[1]، ولكن الموسوعة فيما يبدو كانت تتألف من اثنين وثلاثين جزءا كما أثبت ذلك أحمد زكى باشا[2].

ومسالك الابصار كتب بلغون شك بين سنوات (١٣٤٢ – ١٣٤٩)[3].

والجزء الأول من مسالك الابصار نشر في القاهرة سنة ١٣٤٢هـ / ١٩٢٤م وقد قام بتحقيقه، أحمد زكى.

والجزء الخاص بأفريقية (عدا مصر) ترجمة مع هوامش، ج.ديمومبين تحت عنوان L:Afrique moins L'Egypte , paris , 1927. ويتكلم العمرى فى الباب التاسع والعاشر من الكتاب عن ممالك السودان الإسلامية فى الباب التاسع يتحدث عن ممالك مسلمى السودان على ضفة النيل الممتد إلى مصر. ويشتمل على فصلين.

الفصل الأول عن النوبة، والثانى عن مملكة الكانم.

أما الباب العاشر فيتكلم فيه عن مملكة مالى[4].

وهذا الجزء مهم جدا، فهو يمثل أقدم المعلومات التى وصلتنا عن مملكة مالى.

ويبدو من وصف العمرى أن غانة بدأت تتوارى فى الظلال من الناحية السياسية ونزلت عن مسرح الحوادث ليعليه أقليم آخر هو مالى.

---

(١) كراتشكوفسكى، تاريخ الادب الجغرافى، ص ٤١١.

(٢) كراتشكوفسكى، تاريخ الأدب الجغرافى، ص ٤١١.

(3) Demom Bynes, Masalik, introd, p. II.

(٤) العمرى، مسالك الابصار فى ممالك الامصار، نشر وتحقيق أحمد زكى باشا الجزء الأول، ص ١٢

الدكالي وهو ممن اقام بمالي ٣٥ سنة مضطربا في بلادها مجتمعا بأهلها ،، والأمير أبو الحسن علي بن أمير حاجب (والي القاهرة والقرافة) وقد صحب السلطان منسي موسى في زيارته للقاهرة، وهو يعتبر شاهد عيان ومعاصر، والأمير أبو العباس أحمد بن علي الحاكي المهندار..

هذا عن الروايات الشفوية. اما الروايات المدونة فيذكر العمرى كتاب المغرب لابن سعيد[1].

ويعتبر الفصل الخاص« باخبر عن ملوك السودان المجاورين للمغرب من وراء هؤلاء الملثمين ووصف احوالهم والالمام بما اتصل بنا من دولتهم» في كتاب العبر لابن خلدون، من أهم ماكتب عن السودان الغربي.

وهو ابو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون ولي الدين التونسي الحضرمي الاشبيلي المالكي[2] ينتسب إلى بيت اصله من اشبيلية، انتقل عند الجلاء وغلب ملك الجلالقة ابن ادفونش عليها، إلى تونس، في اواسط المائة السابعة كما يقول ابن خلدون[3].

---

(١) وهو ابو الحسن علي الغرناطي، اشتهر بابن سعيد، ولد بقلعة يحصب فيما بين سنتي (٦٠٥ / ٦١٠هـ) صحب اباه إلى الحج سنة ٦٣٨، وذهب ابن سعيد إلى القاهرة واقام بها حتى عام ٦٤٨هـ، مات بدمشق سنة ٦٨٥ / ١٢٧٤م. والاسم الكامل لكتابه المعروف بالمغرب هو كتاب «فلك الارب، المحيط على لسان العرب» وينقسم إلى كتابين كبيرين: «المغرب في حلى المغرب، والمشرق في حلى المشرق. انجل بالنثيا، تاريخ الفكر الاندلسي، ص ٢٤٤، كراتشكوفسكي، تاريخ الادب الجغرافي العربي، ص ٣٠٦ ومايليها.

(2) Brock, G.A.L., Vol II, p, 242, Suppl, Vol II, p, 342.

(٣) ابن خلدون ، العبر ، جـ٧، ص ٣٨٠.

وأصله من عرب حضر موت[1] ولد بتونس في غرة رمضان سنة ٧٣٢هـ / ١٣٣٢م، وقد درس على عدد من العلماء التونسيين والمغاربة، عمل في خدمة ملوك الحفصيين في تونس، وكذلك بنى عبد الواد في تلمسان،وبنى مرين في فاس، وبنى الاحمر النصريين في غرناطة[2]، ثم رحل إلى المشرق ووصل إلى الاسكندرية ومنها إلى مصر سنة ٧٨٤ / ١٣٨٣م (في سلطنة الظاهر)[3]. وجلس للتدريس بالجامع الأزهر[4]، ـ ـى قضاء المالكية بمصر سنة ٧٨٦هـ، ثم عزل عن القضاء، وتوجه لقضاء فريضة الحج سنة ٧٩٠هـ[5]، وبعد أن قضى فرضه رجع إلى القاهرة، وقضى بقية ايامه عاكفا على قراءة العلم وتدريسه[6]. ومات في القاهرة، في ٢٥ رمضان سنة ٨٠٨هـ / ١٧ مارس ١٤٠٦م[7].

ويعتبر كتاب ابن خلدون من أهم المصادر، وذلك للسببين المعروفين اللذين اختص بهما ابن خلدون واولهما: ملكة المؤرخ العبقرى الموهوب التى جعلته يفهم التاريخ بمعناه الحقيقى الشامل، الذى يتلخص فى أن الحدث التاريخى أكبر من أن يكون حدثا سياسيا فقط، بل هو نتيجة لتفاعل عدد من العوامل السياسية والجغرافية والاقتصادية والاجتماعية. وكذلك النفسية ايضا.

---

(١) ابن خلدون، العبر، جـ٧، ص ٣٧٩.

(٢) الاستاذ الدكتور سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربى ، ص ١٧م.
Sauvaget, historiens arabes, p, 137.

(٣) ابن خلدون، العبر، جـ٧، ص ٤٥١

(٤) ابن خلدون، العبر، جـ٧، ص ٤٥٢.

(٥) ابن خلدون، نفس المصدر، ص ٤٥٥

(٦) ابن خلدون، العبر، جـ٧، ص ٤٦٢

(٧) احمد بابا التنبكتى، نيل، Brock, G.A.L, Vol II, p, 299, Suppl, Vol II, 344.

الابتهاج بتطريز الديباج، هامش على الديباج المذهب لابن فرحون، طبع مصر سنة ١٣٢٩، ص ١٦٩

وهذا مادعا ابن خلدون إلى الكلام عن كل هذه الفنون فى المقدمة حتى جعل مفهوم التاريخ اشبه مايكون بمهفوم الحضارة، أى جعله تاريخا للامم والشعوب بدلا من سير الملوك والامراء أو طبقات الاعيان وهذا ماسماه البعض «فلسفة التاريخ». وهوفى الحقيقة ليس الا التاريخ كما ينبغى أن يكون[1].

وفى الفصل الخاص بالخبر عن ملوك السودان المجاورين للمغرب.... يحدثنا عن غانة، ثم يبين لنا كيف ضعف ملكهم، وتغلب الملثمون وفرضهم الجزية عليهم، وحمل كثير منهم على الإسلام، وتغلب أهل صوصو عليهم. ثم يحدثنا عن أهل مالى وظهورهم على غيرهم من السودان. وتتوقف رواية ابن خلدون عند أواخر القرن الثامن الهجرى سنة ٧٩٢ هـ.

ويستقى ابن خلدون معلوماته تلك من أهل البلاد انفسهم أو ممن زاروا هذه الاقاليم واقاموا بها وخبروها: مثل الشيخ عثمان فقيه أهل غانة، وقد لقيه وكان «قدم مصر سنة ٧٧٩ حاجا بأهله وولده»[2]. والقاضى الثقة ابو عبد الله محمد بن وانسول[3].

وعن العمرى وابن خلدون نقل القلقشندى – فى موسوعته الكبرى المعروفة بصبح الاعشى فى صناعة الانشاء – الجزء الخاص بممالك مسلمى السودان.

وكتاب القلقشندى عبارة عن دائرة معارف فى التاريخ والجغرافية والادب والفن والدين والاجتماع. وكما يفهم من العنوان فان الهدف الاساسى من تأليف الموسوعة هو «ان تكون مرجعا من أجل كتاب

---

(١) الاستاذ الدكتور سعد زغلول، تاريخ المغرب العربى، ص ١٦م.

(٢) ابن خلدون، العبر،جـ٦ ، ص ١٩٩ .

(٣) ابن خلدون، العبر، جـ ٦ ، ص ٢٠٢ .

الدواوين أى عمال ديوان الانشاء»[1].

والقلقشندى هو شهاب الدين ابو العباس أحمد بن على[2]، ولد فى عام ٧٥٦هـ / ١٣٥٥م ببلدة تدعى «قلقشندة» وهى من أعمال مديرية القليوبية بمصر[3]، واليها نسب. وهو من أصل عربى من قبيلة بنى بدر من فزارة من قيس عيلان[4].

وفى سنة (٧٩١هـ/ ١٣٨٩م) التحق بالعمل فى ديوان الانشاء[5]، وقد هيأله عمله فى كتابه الانشاء اخراج هذا المصنف الكبير.

وفى الفصل الخاص بممالك السودان الإسلامية ينقل القلقشندى معلوماته عن العمرى فى كتابيه «التعريف بالمصطلح الشريف»، و «مسالك الابصار»، وكذلك ينقل عن ابى الفدا فى «تقويم البلدان» وعن المؤرخ المغربى الكبير ابن خلدون، فى كتابه العبر وديوان المبتدأ والخبر - وكان القلقشندى معاصرا لابن خلدون الذى عاش بمصر فى تلك الفترة - وعن ابن سعيد.

وعمله فى ديوان الانشاء جعله فى موقف يسمح له بالاطلاع على الوثائق والكتب التى ترد إلى السلطان وهو يحفظ لنا نسخة من الكتاب الذى

(١) كراتشكوفسكى، تاريخ الادب الجغرافى، ص ٤١٦ .

(٢) ويطلق ابن حجر، ابناء الغمر، جـ٣، ص ١٧٥، ترجمة رقم (٣).

- (ذكر من مات فى سنة احدى وعشرين وثمانمائة من الاعيان) على مؤلف القلقشندى اسم «صبح الاعشى فى معرفة الانشاء»

(٣) السخاوى، الضوء اللامع، جـ٢، ص ٨، Brock, G.A.L, Vol II, p, 134, Suppl. Vol II, p. 164.

(٤) القلقشندى، نهاية الارب فى معرفة انساب العرب، تحقيق الابيارى، طبع القاهرة، ١٩٥٩، ص ١٧٤ - ١٧٥.

(٥) القلقشندى، صبح الاعشى، جـ ١، ص٨.

ورد على الملك الظاهر برقوق سنة ٧٩٤هـ (أى فى الوقت الذى كان فيه القلقشندى يعمل فى ديوان الانشاء) من صاحب البرنو ابى عمر وعثمان بن ادريس.

وقد فرغ المؤلف من تأليف الكتاب فى ٢٨ شوال سنة ٨١٤ هـ/ ١٤١٢م[1].

وللكتاب مختصر اطلق عليه القلقشندى اسم... «ضوء الصبح المستفر وجنى الدوح المثمر». وقد طبع الجزء الأول منه فى مطبعة الواعظ بالقاهرة فى سنة ١٣٢٤هـ[2].

وتوفى القلقشندى فى ١٠ جمادى الاخرة سنة ٨٢١هـ/ ١٦ يوليه ١٤١٨م[3].

ننتقل الآن إلى الكلام عن الكتب الخاصة بتاريخ السودان.

فى مقدمة الكتب كتاب محمود كعت «تاريخ الفتاش فى اخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس وذكر التكرور وعظائم الأمور وتفريق انساب العبيد من الأحرار»[4]. وهو القاضى محمود كعت بن الحاج المتوكل كعت، وقراءة هذا الاسم الاخير كما يقول دلافوس ظل مشكوكا فيها، وقد كان القاضى محمود كعت من أصل وعكرى أى سننكى (أوسركله) وكان يقيم فى تنبكت، ولكنه ينتمى إلى عائلة تسكن فى كرمن (وهو الاسم الذى يطلق

(١) القلقشندى، صبح الاعشى، جـ١٤، ص ٤٠٤.
(٢) مقدمة كتاب صبح الاعشى، جـ١، ص ٢٣.
(٣) ابن حجر، انباء الغمر، جـ٣، ص ١٧٥.
Brock, G.A.L. Vol II, p. 134, Suppl. Vol II, p. 164.
(٤) محمود كعت، تاريخ الفتاش، نشر هوداس ودلافوس، طبع باريز ١٩١٣، ص ١١.

على مقاطعة مجاورة لتنبكت وتقع على النيجر وكان مركز هذه المقاطعة هو تندرم على الضفة اليسرى للنيجر بقرب بحيرة فت[1].

ولد فى عام ٨٧١هـ / ١٤٦٨م، ولانعرف الكثير عن سيرة حياته سوى تلك المعلومات التى نستقيها من خلال الكتاب نفسه والتى يذكرها المؤلف عرضا فى سياق الكلام. ويبدو أنه سلك نفس الطريق الذى يسلكه الشباب فى ذلك الوقت من دراسة القرآن والحديث والفقه واللغة.

وقد شغل محمود كعت وظيفة القاضى وهى من أجل الأعمال فى سلطنة سنغى، وكان القضاة يتمتعون بمركز ممتاز ومقربين لدى الاساكى من ذلك مايذكره المؤلف عن اسكى الحاج محمد (١٤٩٣ - ١٥٢٩) وكان قد «جعل للقضاة اذا جاءوه يأمر لهم يبسط حصير الصلاة لهم»[2]. وكذلك ليس هناك «من ينادى على عبده ويرسله بأمر ولايقدر أن يأبى ويفعل له فى الأمر مايفعل فى امر اسكى الا القاضى»[3].

واستحق محمود كعت بسمعته العلمية لقب الفع (ألفا) أى الفقيه وكان صديقا شخصيا لاسكيا الحاج محمد، وقد صحبه فى رحلته التى ذهب فيها إلى بيت الله الحرام، لاداء فريضة الحج، وزيارة قبر الرسول ﷺ سنة ٩٠٢هـ[4]. كما كان مستشارا مسموعا لخلفائه. فهو اذن كان فى مركز يسمح له بالمشاركة فى الاحداث المهمة فى بلده.

وبدأ القاضى محمود كعت فى تأليف الكتاب سنة ٩٢٥ هـ / ١٥١٩م،

---

(١) دلافوس، ترجمة تاريخ الفتاش، بالفرنسية، هـ٢، ص ٦.

(٢) محمود كعت، تاريخ الفتاش، ص ١١.

(٣) نفس المصدر، ص ١١.

(٤) محمود كعت، تاريخ الفتاش، ص ١٦.

في سن الخمسين كما يقول هو.

والكتاب عبارة عن تاريخ لمملكة سنغى فى عصر الأساكى، وهو يبدأ الكلام عن عصر اسكيا الحاج محمد ويتضمن معلومات عن الغزو المراكشى لبلاد السودان فى عصر اسكى اسحاق (سنة ٩٩٩هـ / ١٥٩١م)[1]، وكان محمود كعت شاهد عيان للفتح المغربى.

الكتاب يحوى بعض المعلومات الضئيلة - السابقة لعصر المؤلف خاصة بمملكة مالي وملكهم ملكى كنك موسى، وايضا عن شيء على وعصره، وهى عبارة عن مجموعة من الروايات الشفوية جمعها المؤلف من أفواه شيوخه وأصدقائه.

ومن بين الكتب التى نقل عنها يذكر كتاب «درر الحسان فى أخبار بعض ملوك السودان» تأليف باب كور بن الحاج محمد بن الحاج الأمين[2]. وكذلك كتاب «كفاية المحتاج فى معرفة ماليس فى الديباج» لاحمد بابا التنبكتى.

أما الجزء الأكبر والأهم من الكتاب فيتناول الفترة التى عاصرها المؤلف

---

(١) نفس المصدر، ص ١٥٢.

(٢) تاريخ الفتاش، يشير إليه مرارا، صفحات ٤٤، ٥٢، ٩٢، ٩٣، ١٢٦، ١٤٦ وهذا المؤلف الذى يعنى عنوانه تقريبا (درر الحسان فى أخبار بعض ملوك السودان) مجهول لدينا وسوف يكون من المهم بدون شك أن يعثر على نسخة منه، ومحمد بن الأمين كانوا، والد المؤلف ورد ذكرة فى تاريخ السودان على اعتبار انه فلت باعجوبة من المذبحة التى راح ضحيتها فى ٢٠ أكتوبر ١٥٩٣، فقهاء تمبكتو (تاريخ السودان - الترجمة الفرنسية من ٢٥٨ - ٢٦١). وكان محمود كعت قد مات منذ حوالى شهر فى هذه الفترة. وتبعا لبعض مقتطفات نفس المؤلف التى يرد ذكرها بعد ذلك، يبدو انه قد كتب حوالى منتصف القرن السابع عشر على أقل تقدير.
دلافوس، ترجمة تاريخ الفتاش، بالفرنسية، هامش ١، ص ٨٣.

وعاش أحداثها وشارك فيها وكان بمثابة شاهد عيان لما يجرى خلالها، وهو عبارة عن مذكرات شخصية كتبها المؤلف بنفسه.

وتوفى العلامة الفقيه محمود كعت، فى أول المحرم سنة ١٠٠٢ هـ / ٢١ سبتمبر ١٥٩٣ م ودفن بتنبكت[1].

ورواية تاريخ الفتاش تقف فى عام ١٥٩٩م بعد ست سنوات من وفاة محمود كعت، بينما يشار لتواريخ تستمر حتى سنة ١٦٦٤ - ١٦٦٥م. وفى الحقيقة كما يقول دلافوس فان محمود كعت لم يحرر شخصيا الا جزءا ضئيلا من تاريخ الفتاش كما ورد الينا وهى التى تناسب بدون شك الجزء الأغلب من الفصول الستة الأولى من ترجمتنا والتى تحتوى بعد المقدمة، نوعا من المدح لاسكيا الحاج محمد، وكبار الشخصيات المختلطة بتاريخه، ومذكرة عن دولة مالى، وكيمغ وجار، وشى على واسكيا الحاج محمد، ومع ذلك فان بعض المشاهد لم تكتب رأسا بواسطته حيث انها نقلت من الأوراق التى قد يكون تركها. ومحمود كعت، فى الواقع لم يكن ليتم عمله ولكنه كتب وهو يهدف إلى استكمال مذكرات ووثائق مختلفة - وأولاده وكثيرا منهم قد شغلوا وظائف هامة تركوا أيضا أوراقا ومذكرات وأخيرا فان أبنا لاحدى بناته أخذ وثائق العائلة واستكملها ونسقها واكمل الرواية التى بدأها جده وهكذا، فالى هذا التعاون من الجد والاخوال والحفيد يرجع تاريخ الفتاش. والمصنف الحقيقى للمؤلف هو (سبط) محمود كعت، بينما الموحى بالفكرة هو محمود كعت، ونحن نجهل شخصية وتاريخ ميلاد هذا المصنف وقال لنا فقط أن والده كان يسمى المختار قنبل وأن أمه كانت ابنه الفع محمود كعت، وكلمنا عن أخواله أولاد محمود كعت، وهؤلاء الأخوال هم القاضى

(١) السعدى، تاريخ السودان، ص ٢١١، الترجمة الفرنسية، ص ٣٢٢.

اسماعيل كعت والقاضى محمد الأمين كعت، ويوسف كعت، والقصة نفسها تنتهى فى عام ١٥٩٩، ولكن بالنسبة لبعض الشخصيات فان آخر المؤلفين يذكر تواريخ تستمر حتى ١٦٦٥ : وهكذا كما يقول دلافوس يمكننا القول أن تاريخ الفتاش الذى بدأه محمود كعت سنة ١٥١٩ قد اكمله سبطه ابن المختار حوالى ١٩٩٥ على أقل تقدير أى بعد عشر سنوات من انتهاء تاريخ السودان لعبد الرحمن السعدى، وهكذا فان أحد هذين المؤلفين سابق وفى نفس الوقت لاحق ولو لمدة قصيرة على الثانى[١].

السعدى، تاريخ السودان.

واسمه بالكامل عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران بن عامر السعيدى ((السعدى) نسبة إلى قبيلة بنى سعد[٢]. أو إلى الأمراء السعديين حكام مراكش[٣].

ويبدو أن أصل الأسرة من البيضان فهو يذكر أن جد جدته أم والده الفقيه عبد الله البلبالى. هو والله أعلم أول البيضان صلى بالناس فى تلك المسجد (مسجد سنكرى) فى أواخر دولة التوارق وفى أوائل دولة سن على[٤].

---

(١) دلافوس، مقدمة تاريخ الفتاش بالفرنسية، ص ١٨ - ١٩.

(٢) السعدى، تاريخ السودان، ص ٢١٣، الترجمة الفرنسية، ص ١٢٥. وعن بنى سعد، انظر، القلقشندى، نهاية الارب فى معرفة انساب العرب، تحقيق الابيارى، طبعة القاهرة ١٩٥٩، ص ٢٨٤ - ٢٨٥، القلقشندى صبح الاعشى، جـ١، ص ٣٤٠ يقول: « من قبائل قيس هوازن ومن هوازن بنو سعد الذين كان رسول الله ﷺ رضيعا فيهم وهو بنو سعد بن بكر بن هوازن.قال فى العبر : وقد افترق بنو سعد هؤلاء فى الإسلام ولم يبق لهم حى فيطرق الا أن منهم فرقة بافريقية من بلاد المغرب بنواحى باجة يعسكرون مع جند السلطان.

(3) Houdas, Histoire du Soudan, introduction, p, XIII.

(٤) السعدى، تاريخ السودان، ص ٥٧، الترجمة الفرنسية لهوداس، ص ٩٢ - ٩٣

وينتسب السعدى إلى أسرة نبيلة بتنبكت[1]، ولد فى سنة ١٠٠٤ هـ /، ٢٨ مايه ١٥٩٦م[2].

وتقلد مؤلفنا عدد من الوظائف العامة فى الدولة، عمل فى وظيفة شاهد فى مدينة جنى[3]، وإلى جانب ذلك كان نائبا للإمام فى الصلاة فى مسجد سنكرى ثم تولى إمامة المسجد بعد وفاة شيخة الإمام محمد بن محمد بن أحمد الخليل فى سنة ١٠٣٦هـ / ١٦٢٧م[4]. ويذكر لنا السعدى أنه بعد ذلك بعشر سنوات فى سنة ١٠٤٦هـ «عزل من الإمامة ظلما وعدوانا»[5]، ورجع إلى تنبكت واستقبل من أهلها استقبالا طيبا[6].

واخيرا فى سنة ١٠٥٦ هـ، توجت أعماله السابقة بشغله لوظيفة الكاتب[7]. واحتل مركزا مباشرا فى أعمال بلده، ولعب دور الوسيط مرارا لدى امراء السودان المختلفين[8]. ويحتمل أن تكون فكرة كتابة هذا التاريخ الذى سمح فيه بالربط بين أحداث الماضى والحاضر قد اختمرت فى ذهنه خلال هذه الفترة[9].

وبالرغم من العنوان العام (تاريخ السودان) فان هذا المؤلف لايعالج فقط

---

(١) هوداس، مقدمة ترجمة تاريخ السودان للسعدى، ص ١٣.

(٢) السعدى، تاريخ السودان، ص ٢١٣، الترجمة الفرنسية، ص ٣٢٥.
Brock, G.A.L, Vol II, P, 467, Suppl, Vol II, p, 716.

(٣) السعدى، تاريخ السودان، ص ٢٣٥ -٢٣٦.

(٤) السعدى، تاريخ السودان، ص ٢٤٤.

(٥) السعدى، تاريخ السودان، ص٢٥٨.

(٦) السعدى، تاريخ السودان، ص٢٥٨.

(٧) السعدى، تاريخ السودان، ص٢٧٧.

(٨) هوداس، مقدمة الترجمة الفرنسية لتاريخ السودان للسدى، ص ٩٣.

(٩) نفس المصدر والصفحة.

الا تاريخ جزء من السودان[1]. وهو فى الحقيقة لايتكلم بطريقة مفصلة الا عن امبراطورية سنغى وخصوصا عن غزو واحتلال مراكش للمنطقة الواقعة على ضفاف المجرى الأوسط للنيجر والجزء الأعلى شمالا من المنحنى الذى يكون النهر الافريقى الكبير.

ولم يتكلم المؤلف عن امبراطورية مالى الا فى بضع كلمات قليلة. ونحن نشعر مع ذلك أن اهتمامه الأكبر هو تعظيم تنبكت (تنبكتو) المدينة التى ولد[2] فيها. وأن يميز الدور المجيد الذى لعبته هذه المدينة فى عالم السود[3].

وفى الوقت الذى كان عبد الرحمن بن عمران بن عامر السعدى يكتب تاريخه عن السودان، كانت تنبكت قد بدأت الدخول فى عصر اضمحلالها. والاجانب الذين فتحوا هذه المدينة التجارية لم يستطيعوا مطلقا ادارتها وأن يجعلوا منها منهلا للثراء لبلادهم[4]. وبذرت مظالمهم واغتصاباتهم الخراب فى الشعوب السوداء ذات الطبيعة الهادئة. وفى الفترة التى انتهت فيها رواية المؤرخ كان قد حل موعد طرد الغزاة بصفة نهائية من هذه البلاد التى احتلوها سنوات طويلة[5].

ومما كتبه السعدى فان تاريخ السودان يتكون من جزئين لهما طابع مختلف.

أولهما وهو يكون أكثر من نصف النص، يمثل ملخصا للمعلومات التى

(1) Houdas, introduc, p. I.

(٢) نفس المصدر والصفحة، السعدى تاريخ السودان، ص ٢١ عند كلامه عن تنبكت «التى هى مسقط رأس وبغية نفسى».

(٣) هوداس، مقدمة ترجمة كتاب تاريخ السودان، بالفرنسية، ص ١.

(٤) هوداس، مقدمة تاريخ السودان، بالفرنسية، ص ١، ص ٢.

(٥) هوداس، مقدمة تاريخ السودان، بالفرنسية، ص ٢.

جمعها المؤلف من الروايات الشفوية والمكتوبة[1]. والثانى يمثل على عكس ذلك طابع المذكرات الشخصية والمعلومات التى تضمنها أتت جميعها منَ شهود عيان، وأغلبها من المؤلف نفسه الذى كان مختلطا مباشرة بالاحوال السياسية فى بلده[2].

والجزء الأول بأكمله جاف بعض الشيء وموجز فهو قد كتب بناء على معلومات لم يبين مصدرها الا قليلا جدا، وأتت بدون شك، من الروايات الشعبية، وهى تحمل فى طياتها أوجه النقص وعدم التأكد التى تلازم هذا النوع من المعلومات[3].

وهل كانت توجد وثائق مكتوبة عن كل هذه الفترة السابقة للقرن السادس عشر؟ ونظرا لعدم وجود أى بيان أكيد أو دقيق فانه ليس أمامنا الا التخمينات[4]. وفى الواقع فانه باستثناء معجم سير أحمد بابا، فاننا لانقابل أى اشارة أخرى عن أعمال سابقة ومستعملة[5]. وكاشارة وحيدة فان الكاتب يكتفى أحيانا بالقول انه حصل على هذه الواقعة من أحد أخوانه أو عن طريق أحد العلماء[6]. وحتى فيما يخص تاريخ مراكش فانه لايذكر الاكتاب «الحلل الموشية فى ذكر الاخبار المراكشية»[7] وبرغم ذلك كما يقول

(١) نفس المصدر والصفحة.

(٢) نفس المصدر، ص ٢.

(٣) نفس المصدر، ص ٢.

(٤) هوداس، المقدمة، ص ٣.

(٥) هوداس، المقدمة، ص ٣.

(٦) السعدى، تاريخ السودان، ص ٦٢ يقول «وحدثنى بعض الشيوخ المعمرين من أهل تنبكت، ص ٥٩ : يقول «كما وقفت عليه فى بعض التواريخ وسمعت من بعض الفقهاء الذى له حفظ واعتناء بمعرفة التواريخ».

(٧) السعدى، تاريخ السودان، ص ٢٥، الترجمة الفرنسية، ص ٤٢.

هوداس Houdas فانه من المحتمل انه كانت هناك نصوص أخرى تحت عينه. وسكوته في هذه الناحية لايوحي قطعا أن حوليات عن السودان لم تكتب قبل ذلك. ومن المحتمل أن يعثر في يوم ما على بعض هذه الأعمال التى نجهل اليوم عناوينها[1].

والجزء الثاني من تاريخ السودان بالغ الحيوية. ويتمثل فيه رخاء في التفصيلات. وهنا فان المؤلف لايتكلم الا عن ماشاهده، أو ماقصه عليه شهود عيان جديرين بالثقة. والوظائف العامة التي تقلدها وضعته في علاقات مع أكبر الشخصيات وأكثر من ذلك فان كفايته الشخصية جعلته يكلف بمهام سياسية ذات أهمية كبيرة[2]. وهو يقصها بنفسه ويغوص كثيرا في التفاصيل التي تبدو أحيانا دقيقة. والاهتمام الذى يبديه نحو بعض الاحداث يبدو لنا احيانا مبالغا فيه. ولكن عددا من هذه الحوادث غير ذات قيمة في ظاهر حالها بالنسبة لنا ميزة اخبارنا عن الوسط وعن البيئة التي نشأ فيها[3].

والسعدى مثل الأغلبية الساحقة من المؤرخين العرب، يكتب دون خطة محدودة من قبل. فهو يجهل فن التكوين اللغوى، واللغة التي يكتب بها أبعد ماتكون عن الصواب المطلق. فهو لايخشى استعمال الكلمات التي لم تجد مكانها في المعاجم القديمة ، ويتصرف وفق هواه مع القواعد العربية[4]. ونحس من وقت لاخر أنه يفكر بعبارات سودانية وأنه يكتب بلغته. ورغم ذلك فان افكاره لايكتنفها الغموض الا قليلا جدا. ويجوز لنا أن نرجح أن نواحي

(١) هوداس، مقدمة كتاب تاريخ السودان للسعدى، بالفرنسية، ص ٤٢.

(٢) نفس المصدر والصفحة.

(٣) هوداس، نفس المصدر، ص ٣.

(٤) هوداس، مقدمة تاريخ السودان، بالفرنسية، ص ٤.

الغموض القليلة التى نجدها فى كتابه انما نتجت بسبب اخطاء اقترفها النقال[1]. ونحن نعلم انه فى البلاد الإسلامية أكثر منه فى أى مكان آخر فان النساخ يعلقون أهمية كبيرة على جمال الخط أكثر من النقل الصحيح.[2]

ولايتعين علينا أن نطالب شخص نما فى قلب افريقية، وعاش فى بداية القرن السادس عشر الميلادى، أن يدلى بنصيب كبير فى نقد الأحداث التى يرويها، ولايجب أن نطلب منه البحث عن أسباب الوقائع أو أن يستخلص منها النتائج[3]، ومع ذلك وفى الجزء الثانى من كتابه فانه يبين لنا بوضوح أن الكاتب يكون افكارا، عن الاشياء التى تدور تحت عينيه، وان تقديره بالرغم من كونه غامضا، فانا نستنتج بالفعل الاشياء التى لم يقلها[4].

وبالرغم من نقص المنهج والفجوات التى تتخلله فان «تاريخ السودان» يسمح لنا بالوضع الذى هو عليه أن نعرف بطريقة عامة التنظيم العسكرى والادارى لجزء كبير من السودان خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر من عصرنا - ونجد عرضا للأسباب المختلفة التى أدت إلى فترات متعاقبة من الرواج ومن الفقر. وسنجد فى المقام الأول الاضرار التى تنتج عن النظام الاقطاعى حيث لايفكر كبار الاقطاعيين الا فى تحطيم الوحدة الحكومية للبلاد ويقودون بهذه الوسيلة الهجمات التى تأتى من الخارج[5]. وستأتى بعد ذلك الاخطاء التى ارتكبها المغاربة وهى اخطاء ألبت عليهم مشاعر الشعوب المغلوبة وتجعلنا نفهم الجهود التى ابداها الوطنيين لطرد هؤلاء الاجانب من بلدهم[6].

---

(١) نفس المصدر والصفحة.

(٢) هوداس، مقدمة تاريخ السودان ، بالفرنسية، ص ٤.

(٣) هوداس، المقدمة، بالفرنسية، ص ٥.

(٤) هوداس، المقدمة ، ص٤.

(٥) هوداس، مقدمة تاريخ السودان، بالفرنسية، ص ٥.

(٦) هوداس، المقدمة ، ص ٥.

وهنا وهناك نقابل بعض الاخبار القصيرة عن تاريخ الشعب المغربى فى بلاده، وهذه الاخبار تسمح لنا بمراجعة بعض روايات المؤرخين المغاربة عن بلادهم وتوقف السعدى عند احداث سنة ١٠٦٦ هـ / ١٦٥٥م.

هذه هى أهم الكتب التاريخية من المصادر التى تتناول الفترة التى ندرسها.

وبعد ذلك تأتى الكتب الجغرافية.

والكتب الجغرافية مهمة بالنسبة للتأريخ للسودان الغربى، وذلك لأن الجغرافية العربية وثيقة الصلة بالتاريخ، وبمرور الوقت استطاعت الجغرافية أن تنفصل عن التاريخ انفصالا غير تام على كل حال[١].

والجغرافية العربية تنقسم إلى نوعين: **أولهما الجغرافية الرياضية** وتضم فرعين هما:

علم الاطوال والعروض Le science des longitudes et des latitudes.

وعلم تقويم البلدان Le détermination de la position des pays[٢].

وثانيهما الجغرافية الادبية أو الوصفية وتشتمل على فرعين هما:

علم المسالك والممالك Le science des itineraires et des etats.

وعلم عجائب البلدان Le science des merveilles du monde.

---

(١) الاستاذ الدكتور سعد زغلول عبد الحميد،ملاحظات عن مصر كما رآها ووصفها الجغرافيون والرحالة المغاربة فى القرنين ٦، ٧ للهجرة (١٢-١٣م)، نقد للمصادر، مجلة كلية الآداب، جامعة الاسكندرية، المجلد الثامن، ١٩٥٤، ص ٩١

(٢) الاستاذ الدكتور سعد زغلول، ملاحظات عن مصر كما رآها ووصفها الجغرافيون والرحالة المغاربة ،ص ٩١

[illegible]
الاقتصادية والاجتماعية ومايختص بعادات الشعوب وتقاليدها...الخ[1].

وفي كتب الجغرافيين القدماء من المشارقة أمثال: ابن خرد اذبة واليعقوبي، وابن الفقيه، والاصطخري، والمسعودي، والمقدسي لانجد معلومات كافية عن بلاد السودان بشكل عام وعن سودان المغرب بشكل خاص. ويعلل الاصطخري (توفي سنة ٣٤٠هـ) ، وينقل عنه ابن حوقل، عدم اهتمامه ببلاد السودان بسبب انها بلادجاهلية غير متحضرة وفي ذلك يقول: «ولم نذكر بلاد السودان في المغرب والبجة والزنج ومن في اعراضهم من الأمم لان انتظام الممالك بالديانات والآداب والحكم، وتقويم العمارات بالسياسة المستقيمة وهؤلاء مهملون لهذه الخصال ولاحظ لهم في شيء من ذلك فيستحقوا أفراد ممالكهم بما ذكرنا به سائر الممالك[2].

هذا بينمانجد الوضع مختلف لدى الجغرافيين المغاربة، «فبلاد المغرب وثيقة الصلة من الناحية الجغرافية ببلاد السودان الغربية»[3]، ومن هنا أولوها اهتمامهم.

من كتب النوع الأول كتاب الخوارزمي والمعلومات عنه قليلة للغاية

يذكر لنا ابن النديم أن اسمه محمد بن موسى وكنيته أبو جعفر، وأصله

---

(١) سعد زغلول، تاريخ المغرب العربي، ص ٢١م.

(٢) الاصطخري ، مسالك الممالك، نشر دجوية، ليدن ١٩٢٧، ص ٤-٥، ابن حوقل صورة الأرض، نشر كريمر، ليدن ١٩٣٨، ص ٩-١٠. وانظر فيما بعد الفصل الخاص بـ «بلاد السودان».

(٣) أ.د. سعد زغلول، تاريخ المغرب العربي، ص ٤٠.

من خوارزم، وكان منقطعا إلى خزانة الحكمة للمأمون، وهو من أصحاب علوم الهيئة[1]. وهو من جغرافي النصف الأول من القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) وآخر ذكر ورد له مقترنا بوفاة الخليفة الواثق سنة ٢٣٢هـ / ٨٤٣م، ويبدو أنه توفى بعد ذلك بقليل[2].

ويطلق على الكتاب اسم «صورة الأرض»، وقد ورد بالكتاب اسم غانة مما يدل على أن العرب قد عرفوها فى تلك الفترة المبكرة.

وقد نشر Hons V Mzik الكتاب فى فينا سنة ١٩١٦.

ثم ننتقل إلى أكبر جغرافي انجبه الاندلس في رأى دوزى وهو البكرى[3].

وأهم كتبه كتاب المسالك والممالك، وقد وصلنا منه الجزء الخاص بصفة المغرب - كتاب المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب - (نشر دسلان) الطبعة الثانية، الجزائر ١٩١١م، وللكتاب أهمية تاريخية كبرى لأنه ينقل بعض كتب تاريخ المغرب الأصلية التى لم تصل الينا[4]. (وعن البكرى انظر ماقبل ص ٧).

وبعد البكرى يأتي الادريسي: وهو ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن ادريس المعروف بالشريف الادريسى[5]، ولد بمدينة سبتة في سنة ٤٩٣ هـ / ١١٠٠ م، وكانت تابعة فى ذلك العصر للمرابطين[6]. ونحن نعرف القليل

(١) ابن النديم، الفهرست، طبعة مصر، ص ٣٨٣.

(٢) كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ص٩٩

(٣) انجل بالنثيا، تاريخ الفكر الاندلسي، ترجمة الدكتور حسين مؤنس، ص ٣١٠.

كراتشكوفسكي، تاريخ الادب الجغرافي، ص ٢٧٤.

(٤) أ.د. سعد زغلول، تاريخ المغرب العربي، ص ٢٢م.

(٥) دوزى، مقدمة صفة المغرب، بالفرنسية، ص ٢، انجل بالنثيا، الفكر الاندلسي، ص ٣١٢.

(6) Brock. G.A.L, Vol I, P, 477, Blachére, extraits, p. 190, Dozy, introd, p, III.

جدا عن حياته، فهو حفيد لادريس الثاني الحمودي أمير مالقه، ويبدو أنه تلقى علومه في قرطبه، وقد بدأ أسفاره منذ سن مبكر، فزار كثيرا من نواحي الأندلس والمغرب[1]، وفي سنة ٥١٠هـ / ١١١٦ - ١١٧٠م، وهو لم يتجاوز السادسة عشر من عمره زار آسية الصغرى، وزار سوريا ومصر ثم زار صقلية حيث لقي اعجاب ملكها رجار، فاقام عنده[2]، وهناك الف كتابه المعروف، «نزهة المشتاق في اختراق الافاق» ويعرف ايضا بكتاب رجار[3] وانتهى من تأليفه سنة ٥٤٨هـ / ١١٥٤ م وأكثر الاحتمالات انه مات نسبته سنة ٥٦٠ هـ / ١١٦٦م[4]

ونشر دوزى ودجويه الجزء الخاص بافريقية والاندلس تحت اسم «صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس» (مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الافاق) ليدن ١٨٦٦، واتبعا النص بترجمة فرنسية مع هوامش بعنوان

Description de L'Afrique et de L'Espagne

والجزء الخاص بالسودان يتضمن معلومات مهمة عن السودان في عصره (القرن السادس الهجرى) فهو يحدثنا عن غانة أكبر بلاد السودان قطرا وأكثرها خلقا وأوسعها متجرا[5]. وينفرد بذكر معلومات منها أن ملك غانة ينتسب إلى صالح بن عبد الله بن الحسن بن على ابن طالب ويتكلم بافاضة عن التبر بأرض ونقاوة. ،كذلك يتضمن معلومات مهمة جدا عن التجارة المتبادلة بين المغرب وبلاد السودان ومعلوماته يستقيها من بعض السفار الثقات،

---

(١) انخل بالنثيا، تاريخ الفكر الاندلسي، ص ٣١٣، بلاشير، ص ١٩٠

(٢) بالنثيا، تاريخ الفكر الاندلسي، بلاشير، ص ١٩٠

(٣) ابن خلدون، المقدمة، طبعة على عبد الواحد وافي، جـ ١، ص ١٨٤

(4) Blachère, Extraits, p, 191, Brock, G.A. L, Vol I, p, 477.

(٥) الادريسي، صفة المغرب، ص ٦، والترجمة الفرنسية، ص ٧

وكذلك من بعض الثقات من متجولى التجار فى بلاد السودان[١].

وبعد الادريسي يأتى كتاب الاستبصار، وعنوانه الكامل هو «كتاب الاستبصار فى عجائب الامصار» ويتضمن (وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب والسودان) وهو لكاتب مراكشى من كتاب القرن السادس الهجرى، الثاني عشر الميلادى. وقد قام بنشره وتحقيقه الاستاذ الدكتور سعد زغلول عبد الحميد، وهو من مطبوعات جامعة الاسكندرية.

والجزء الخاص ببلاد السودان يعتمد فيه اعتمادا كبيرا على البكرى. ويهتم بصفة خاصة بذكر الثروة الزراعية والمعدنية فى بلاد السودان فهو يستطرد فى ذكر الشب الأبيض وحجر المغناطيس.

وكذلك يقول انه اطلع على الرسائل الرسمية الصادرة باسم غانة ملك أحد هذه البلاد إلى يوسف بن تاشفين[٢].

وإلى كتب الجغرافية تضاف كتب الرحلة التى تتميز بتسجيل المعلومات وليدة التجربة ومشاهدة العيان[٣].

أهم الرحلات – بالنسبة لموضوع البحث – رحلة ابن بطوطة.

وهو ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم اللواتى الطنجى، اللواتى نسبة إلى قبيلة لواته البربرية (وهى فرع من بربر البتر) ولد بمدينة طنجة فى ١٧ رجب سنة ٧٠٣هـ / ٢٤ فبراير ١٣٠٤م[٤]. خرج من

(١) الادريسي، صفة المغرب، ص ١٠، ص ٣٢.،

(٢) كتاب الاستبصار، المقدمة ص ن، ث، ص ٢١٩.

(٣) أ.د. سعد زغلول، تاريخ المغرب العربى، ص ٢٤م.

(٤) رحلة ابن بطوطة، طبعة التجارية فى جزئين، القاهرة ١٩٦٤ جـ١، ص ٤.
Gibb, Ibn Battuta travels in Asia and Africa, London, 1939, Introduc, p, 2, Brock, G.A.L, Vol II, p, 256, Suppl, Vol II, p, 365,

طنجة فى سنة ٧٢٥هـ/ ١٣٢٥م، وهو فى سن الثانية والعشرين، «معتمدا حج بيت الله الحرام وزيارة قبر الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام»[1]. ولكن المقادير ساقته والقت به فى مختلف البلاد ولم يقدر له العودة إلى بلده الا بعد أكثر من ربع قرن. ووصل بلاط السلطان أبى عنان فى أواخر شعبان سنة ٧٥٠هـ / نوفمبر ١٣٤٩م. ولكن تجوله لم يقف عند هذا الحد فقد قام بزيارة الاندلس ورجع إلى المغرب مرة ثانية. وفى أول المحرم عام ٧٥٢هـ ١٨ فبراير ١٣٥٢م ثم خرج فى رحلة كانت وجهته فيها بلاد السودان الغربية.

من أهم ماتمتاز به الرحلة الوصف الدقيق للطريق من سجلماسة إلى مالى. وكان بحكمها فى ذلك الوقت السلطان منسى سليمان، كذلك حوت الرحلة معلومات متايينه أهمها ماهو خاص بالعادات والتقاليد والنظم المتبعة فى البلاد.

وفى طريق العودة زار معادن النحاس فى تكدا، ومن هناك وفى ١١ شعبان سنة ٧٥٤هـ / ١٢ سبتمبر ١٣٥٣م بدأ رحلة عصيبة استغرقت بضع شهور فى صحبة رفقه من تجار الرقيق، وصل معها إلى بلاد هكار بعد أن مر على غات. ووصلت القافلة إلى بواد (وهى من أكبر قرى توات) ومنها وصل إلى سجلماسة ومنها سار فى ظروف صعبة وكان الثلج يتساقط فى الطريق حتى وصل إلى فاس فى نهاية سنة ٧٥٤هـ / ١٣٥٣م. وفى هذه المدينة ظل على مايبدو حتى مات فى ٧٧٩ / ١٣٧٧م[2].

= Blachére, extraits, p. 348.

(١) رحلة ابن بطوطه، ص ٤-٥، الترجمة الانجليزية لجب، ص ٤٣.

(2) Brock, G.A.L., Vol Ii, p, 257, Suppl, Vol II, p. 366.

وهذا بينما يذكر جب فى مقدمة ترجمة رحلة ابن بطوطه انه مات فى سنة ١٣٦٨ أو ١٣٦٩ = ٧٧٠هـ.

Gibb, Ibn Battuta travels in Asia and Africa, introduction, p, 2.

وإلى السلطان أبى عنان يرجع الفضل فى ظهور وصف رحلة ابن بطوطة إلى النور، يتضح ذلك بجلاء من قول ابن جزى «وصدر الامر العالى لعبد مقامهم الكريم.. محمد بن محمد بن جزى الكلبى اعانه الله على خدمتهم.. ان يضم اطراف ما املاه الشيخ أبو عبد الله من ذلك مشتملا فى تصنيف يكون على فوائده مشتملا... ونقلت معانى كلام الشيخ أبى عبد الله بالفاظ موفيه للمقاصد ...»[1]

ومن هذا النص يتضح أن رحلة ابن بطوطه الموسومة باسم «تحفة النظار فى غرائب الامصار وعجائب الاسفار» ليست من تصنيف ابن بطوطه ولكن الذى قام بصياغتها صياغة ادبية وفقا لرواية ابن بطوطه هو ابن جزى. وانتهى ابن جزى من تقييدها فى عام ٧٥٦ هـ / ١٣٥٥[2] ولم يعمر ابن جزى طويلا فقد وافاه الاجل فى نفس العام التالى[3].

وبعد ابن بطوطه يأتي الحسن بن محمد الوزان.

والملاحظة الأولى الجديرة بالتسجيل هى أن اسمه الغريب يشير إلى ماالكتنف سيرة حياته من تعقيد كبير.

اسمه المعروف به في البلاد العربية هو الحسن بن محمد الوزان الزياتى[4]، ولكن اسمه الذى ورد فى مؤلفاته التى كتبها هو جون ليون الغرناطى وترجمته بالعربية يوحنا الأسد الغرناطى[5]، ولد فى غرناطة فى تاريخ غير محدد بين ١٤٨٩ – ١٤٩٥ / ٨٨٥– ٩٠١هـ، والوزان تعنى الوزان،

(١)ابن بطوطه، الرحلة، طبعة التجارية، جـ١ ، ص٤.

(٢) رحلة ابن بطوطة، طبعة التجارية، جـ٢ ، ص ٢١١ ترجمة جب، ص ٣٣٩.

(3) Blachére, extraits, p, 350.
(4) Brock, G.A.L, Suppl, Vol II, p, 710.
(5) Brock, G.A.L, Suppl, Vol II, p, 710.

ويبدو أن هذا كان اسم العائلة التى عمل احد اسلافها فى وظيفة تتعلق بالوزن. والزياتى تبرز فيما يبدو اسم قبيلته الاصلية.[1]

وبعد وقوع غرناطة فى ايدى النصارى فى يناير سنة ١٤٩٢م، والتى تلاها طرد المسلمين، لجأت عائلة الحسن إلى فاس حيث احتلت مكانا مرموقا. واتبع الطفل فى دراسته نفس النهج الذى لازال يتبعه مثقفو اليوم فى مدرسة فاس وفى جامعة القرويين الإسلامية. وفى سنة ١٥١١م وفى سن السابعة عشر صحب الحسن أحد أعمامه فى رحلة دبلوماسية إلى تمبكتو (تنبكتو)[٢]. وقد قضى الجزء الأكبر من سنوات ١٥١٤ - ١٥١٥ فى مراكش، حيث كان فى خدمة السلطان، كما كلف بمهام سياسية غالبا وتجارية أيضا، وفيما بعد قام بأعباء مماثلة لدى السلطان محمد سلطان فاس[٣].

وسافر الحسن فجأة من فاس فى أغسطس ١٥١٥م / ٩٢١هـ ويبدو من غير المؤكد أنه كلف بسفارة لدى سليم، سلطان القسطنطينية[٤]. ولانعلم شيئا عن المكان الذى بدأ الحسن منه رحلته إلى القسطنطينية، ولاعن تاريخ سفره، وكذلك لانعرف شيئا عن مده اقامته بالشرق. غير أنه كان موجودا فى مصر فى يونيو ١٥١٧-٩٢٣هـ، وفى رشيد، فى نفس الوقت الذى كان فيه هناك امبراطور الترك، السلطان سليم[٥]. وقام خلال اقامته بالشرق بالحج إلى مكة، وعاد من مصر إلى مراكش فى ١٥١٨ مارا بطرابلس[٦] وانتهت جولته

(1) Jean-Léon L'Africain, description de L'Afrique, N.édition, traduite de L'italienpar A. Epaulard, Paris 1956, introduct, p, VII.

(٢) ليون الافريقى، وصف افريقية، بالفرنسية، جـ١، المقدمة، ص ٧، كراتشكوفسكى، ص ٤٥٠.

(٣) ليون الافريقى، وصف افريقية، المقدمة، ص ٨.

(٤) ليون الإفريقى، وصف افريقية، المقدمة، ص ٩.

(٥) ليون الافريقى، وصف افريقية، الترجمة الفرنسية، المقدمة، ص ٩.

(٦) ليون الافريقى، وصف افريقية، المقدمة، ص ٩، كراتشكوفسكى، تاريخ الادب الجغرافى العربى، ص ٤٥١.

نهـاية محزنة. فـينمـا هو فى طريق العودة وأثناء نزوله فى جـربة وقع فى أسـر القرصان الصقلى بترو Pietro الذى صحبه إلى ايطاليا وهناك قدمه هدية إلى البابا ليون العاشر ، وقد احسن الباب استقباله واخيرا عمد الحسن بن محمد الوزان الزياتى على يد البابا فى كنيسة القديس بطرس بروما فى ٦ يناير ١٥٢٠ تحت اسم جيوفانى ليونى[١]. واقامة ليون فى ايطاليا غير معروفة بدقة، وقام بتدريس اللغة العربية فى بولونيا[٢]، ومن بين مولفاته معجم عربى عبرى لاتينى - وكان المامه الجيد باللغة الاسبانية خير معين له على اجادة الايطالية واللاتينيـة - الفـه فى سنة ٩٣٠هـ /١٥٢٤م لاتزال مـخطوطتـه مـحـفـوظة بالاسكوريال[٣]، وتمكن ليون أو الحسن، ربما فى سنة ١٥٢٨ ، بطريقـة مـا من الافلات راجعا إلى افريقية (تونس) وهناك مالبث أن طرح المسيحية وعاد ثانية إلى الديانة الإسلامية، وقد توفى الحسن الوزان على مايبدو بتونس فى أواخر عهد بنى حفص وذلك فى عام ١٥٥٢م[٤].

وقد وجدت مزاعم تقول بأن الأصل العربى «لوصف افريقيـا» كـان موجودا لدى المؤلف عندما وقع فى الأسر، وقيل فيما بعد بأن مخطوطته وقد وجدت طريقها إلى أحد محبى الكتب فقدت فى الطريق إلى نابلى عند هجوم القراصنة[٥]، وعلى الرغم من كل ذلك فان القـول بأنه قد وجد مصنف تام فى يد ليون الافريقى عند وصوله إلى ايطاليـا قول ضـعيف وأغلب الظن أن الأمـر اقـتـصـر على قطع مـتـفـرقـة وتخطيط ذى طابع عـام[٦].

---

(١) نفس المراجع السابقة.

(٢) ليون الافريقى، وصف افريقية، الترجمة الفرنسية، جـ١ ، المقدمة ص ٩.

(٣) كراتشكوفسكى، تاريخ الادب الجغرافى العربى، ص ٤٥٢.

(٤) نفس المرجع، ص ٤٥٢.

(٦) كراتشكوفسكى، تاريخ الادب الجغرافى العربى، ص ٤٥٢.

وماسينيون Massignon بوجه عام لايعتقد فى وجود مخطوطه عربية للكتاب ويعتبر القول بذلك محض خطأ بل انه يرى خلافا لذلك أن ليون الافريقى لم يدون الكتاب باللغة العربية وانما صاغ مذكراته وملاحظاته باللغة الايطالية رأسا[١].

وقد انتهى جيوفانى ليونى (أو الحسن الوزان) من تدوين كتابه فى أثناء وجوده بروما فى ١٠ مارس سنة ١٥٢٦[٢].

وينقسم المصنف تبعا للمتن الايطالى إلى تسعة كتب، يعالج فى الكتاب السابع، بلاد السودان[٣]. وفى الفصل الخاص ببلاد السودان يحدثنا الحسن الوزان عن ولاته (ايوالاتن) وعن أهميتها التجارية، وعن عادات الناس، وطريقة حياتهم التى تشبه حياة جيرانهم الذين يقطنون الصحراء... وعن غينيا (جنى) ومملكة مالى – وثراء سكانها وبسببه احترافهم التجارة «وهم الاكثر تمدنا، أكثر ذكاء، وأكثر احتراما من كل السودان»[٤].

ويكلمنا أيضا عن تمبوتو Tombutto[٥] بتأسيس المدينة، منازلها، مساجدها، قصر الملك، السكان وعادتهم، ...ثروة الملك، وعن جند الملك من الفرسان، تجارة الملح. وعن مملكة Gago (كوكو – كاغ) ... وعن ونقارة Guangara ومعدن الذهب الموجود فيها ... وعن مملكة البرنو.

ومن كلام الحسن (عن بلاد السودان) يبدو أنه قام برحلتين، الأولى فى

---

(١) تاريخ الادب الجغرافى العربى، ص ٤٥٢.

(2) L. Massignon, Leo Africanus, Ency de L'islam, Vol III, p. 23.

(٣) ليون الافريقى، وصف افريقية، الترجمة الفرنسية، نشر A.Epaulard باريز ١٩٥٦، فى جزئين، الجزء الثانى، ص ٤٦١، ومابعدها Pays des Noirs .

(٤) ليون الافريقى، وصف افريقية، الترجمة الفرنسية، جـ٢، ص ٤٦٦.

(٥) ليون الافريقى، نفس المصدر، ص ٤٦٧.

سنة ١٥١١ في صحبة عمه، والرحلة الثانية لايذكر تاريخها[١].

ومعلومات الحسن تنقسم إلى قسمين: معلومات منقولة تتروح بين الصواب والخطأ، ومعلومات وليدة مشاهدة العيان والتجربة وهي المعلومات الخاصة بعصره.

وقليلا مايشير الوزان إلى مصادره، ولكنه يورد اسم البكرى والمسعودى وابن الرقيق. واذا كان مصنف ليون له صفات ممتازة ويمدنا بوثائق غاية في الأهمية فانه يوجد به عدد من الأخطاء التي ترجع لاسباب عديدة[٢]، منها، انه قد دون مصنفه من الذاكرة، ولم تكن ذاكرته تسعفه دائما، وعلى الرغم من أن الوصف الجغرافي عنده يتميز بالدقة الشديدة الا أن مادته التاريخية وتواريخه ليست في المستوى المرجو[٣].

وللكتاب عدة طبعات ظهرت الطبعة الأولى لراموزيو Ramusio في البندقية سنة ١٥٥٠ تحت عنوان Navigationi Viaggi .

وتلى ظهور الطبعة الايطالية ظهور الترجمتين اللاتينية والفرنسية، وكذلك الترجمة الانجليزية، وأحدث طبعة لوصف افريقية هي الترجمة الفرنسية الحديثة لايبولار.

ثم يأتي بعد ذلك كتب الطبقات وهي نوعين: كتب طبقات عامة مثل (ابن خلكان: وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان) **وكتب طبقات عامة (اقليميا) خاصة موضوعيا مثل:** طبقات المالكية والشافعية، والحنفية،

---

(١) كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ص ٤٥٠، ليون الافريقي، وصف افريقية، جـ٢، ص ٤٦٩.

(٢) ليون الافريقي، وصف افريقية، جـ١، المقدمة، ص ١٠.

(٣) كراتشكوفسكي، نفس المرجع، ص ٤٥٢.

والحنابلة، وطبقات الصوفية، وطبقات الاطباء والحكماء، واللغويين والنحويين، والقضاة، والفقهاء، وكتب خاصة اقليميا.

وميزة هذه الكتب تتلخص فى أنها تهتم بالتاريخ الاجتماعى والحضارى، أكثر من اهتمامها بالتاريخ السياسى[1]. ويهمنا منها الكتب الخاصة بالسودان الغربى.

ويعتبر أحمد بابا التنبكتى ممثلا للنوع الأول (كتب الطبقات الخاصة موضوعيا العامة اقليميا) واسمه بالكامل أبو العباس أحمد بن أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد اقيت المدعو بابا التكرورى الصنهاجى السودانى[2]

ولد أحمد بابا بقرية اروان بتنبكت فى ٢١ ذى الحجة عام ٩٦٣ هـ / ٢٦ أكتوبر ١٥٥٦ م من عائلة بربرية تنحدر من قبيلة مسوفة[3].

وهو ينتسب إلى اسرة اشتهرت فى مجال العلم والرياسة فى تلك الحاضرة السودانية. وتعدد فيها العلماء والائمة والقضاة وتوارثوا رياسة العلم مدة طويلة تقرب من مائتى سنة[4] خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر[5].

(١) الاستاذ الدكتور سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربى، ص ٣٦م.

(٢) السعدى، تاريخ السودان، ص ٣٥، الترجمة الفرنسية لهوداس، ص ٥٧ - ٥٨، السلاوى، الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى، طبع القاهرة، جـ٣، ص ٦٣.

Brock. G.A.L. .Vol II, P, 618, Suppl. Vol II, p, 715 - 716, L.Provençal Les historiens de la chorfa, 1923, p, 250 - 251. (Ahmed BaBa).

ويسميه المحبى فى خلاصة الاثر فى اعيان القرن الحادى عشر، طبع مصر سنة ١٢٨٤ هـ الجزء الأول، ص ١٧٠ «أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد اقيت، ابن عمر ابن يحيى بن كدالة بن مكى بن نيق بن لف ابن يحيى بن تشت بن تنفر بن حيراى ابن البيخر بن نصر بن ابى بكر بن عمر الصنهاجى الماسنى السودانى يعرف بابا صاحب كتاب الديباج.

(٣) المحبى، خلاصة الأثر، جـ١ ص١٧٠.

Brock, G.A.l. Vol II, P, 618, Suppl. Vol II, P, 715, Ency de L'islam, Nouvelle édition, tome I, Levraison 5, p, 288.

(٤) السلاوى، الاستقصا، جـ٣، ص ٦٣.

(٥) ency de L'islam , p, 288.

ودرس أحمد العلوم الاسلامية من قرآن وحديث وفقه ونحو وبيان ومنطق وتاريخ وهو يعدد لنا شيوخه ويترجم لهم في مؤلفه «نيل الابتهاج بتطريز الديباج» وعلى رأس شيوخه والده وأعمامه وبعض أفراد أسرته[١].

أما أشهر شيوخه الذين يذكرهم فهو شيخه محمد بن محمود بن أبي بكر الونكرى التنبكتى (عرف ببغيغ)، (ولد سنة ٩٣٠ هـ وتوفى ١٠٠٢ هـ)، وقد ختم عليه الموطأ، وتسهيل ابن مالك، واصول السبكى، وألفيه العراقى وصغرى السنوسى، وحكم ابن عطاء الله، ورجز المغيلى، وقرأ عليه أيضا صحيح البخارى، وصحيح مسلم..[٢].

والمت بالأسرة كارثة كبيرة عقب الغزو المراكشى، ودخول جند المنصور السعدى مدينة تنبكت سنة ١٠٠٠ هـ / ١٥٩٢م[٣]، ورفضت الأسرة الاعتراف بسيطرة بلاد مراكش، وسئم أهل السودان ملك المغاربة وكانت آذانهم صاغية لآل آقيت، وتخوف السلطان المنصور منهم وربما نمّ اليه بعض اخبارهم، فكتب إلى عامله محمود زرقون بالقبض عليهم وتغريبهم إلى مراكش[٤]. فقبض على عدد كبير منهم الفقيه أحمد بابا «فحملوا مصفدين في الحديد ومعهم حريمهم ونهبت خزائن كتبهم، وسقط هو (أى أحمد

---

(١) أحمد بابا التنبكتى، نيل الابتهاج، (هامش على كتاب الديباج المذهب لابن فرحون)، الطبعة الأولى، مصر ١٣٢٩هـ، صفحات ٩٣، ٩٤، ٩٥، ١٠٢، ٢١٨، ٣٦٠، السعدى، تاريخ السودان، صفحات ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦ الخ.

(٢) السعدى، تاريخ السودان، ص٤٥، ٤٦.

(٣) السلاوى، الاستقصا، جـ٣، ص ٤٣.
Ĕncy de L'islam, tome I, P, 288.

(٤) السلاوى، الاستقصا، جـ٣، ص ٦٣، الوفرانى، نزهة الحادى باخبار ملوك القرن الحادى، نشر هوداس، باريز ١٨٨٨، ص ٩٧، السعدى، تاريخ السودان، ص ٢١٢.
Brock, G. A.L, Vol II, p, 618, Suppl, Vol II, p, 716.

بابا) عن الجمل الذى كان يحمله فانكسرت رجله»، وكان القبض عليهم فى آخر المحرم سنة ١٠٠٢هـ - ووصلوا مراكش أول رمضان سنة ١٠٠٢ هـ / ١٥٩٤ م. وبقوا فى مراكش مسجونين عامين، وفى سنة ١٠٠٤ هـ/ ١٥٩٦ م اطلق سراح الفقيه أحمد - (ومن معه) - على ان يظل بمراكش، وهناك انقطع أبو العباس للتعليم فى جامع الشرفاء «فتنافس كبار طلبة مراكش فى الأخذ عنه مع كون لسانه معقدا لايفهم الا بعد ممارسة»[1].

وفى ذلك يقول أحمد بابا فى «تكميل الديباج» «ولما خرجت من المحنة طلبوا منى الاقراء فجلست بعد الاياية بجامع الشرفاء بمراكش من أقوى جوامعها، اقرأ مختصر خليل قراءة بحث وتحقيق ونقل وتوجيه، وكذا تسهيل ابن مالك، وألفيه العراقى، فختمت على نحو عشر مرات، وتحفة الحكام لابن عاصم والسبكى، والحكم والجامع الصغير، قراءة تفهم مرارا وغيرذلك. وازدحم على الخلق وأعيان طلبتها ولازمونى وأفتيت فيها لفظا وكتابة بحيث لاتتوجه الفتوى غالبا الا إلى وعينت لها مرارا، فابتهلت لله أن يصرفها عنى، واشتهر اسمى فى البلاد من سوس الاقصى إلى بجاية والجزائر وغيرهما»[2]. وظل أحمد باب مقيما بمراكش إلى أن توفى المنصور فى سنة ١٠١٦هـ / ١٦٠٧ م، فاذن له ولده وخليفته زيدان - ولمن معه من المنفيين السودانيين فى الرجوع إلى تنبكت[3].

(١) أليفى بروفنسال، نخب تاريخية جامعة لاخبار المغرب لاقصى ، باريز ١٩٤٨ ، ص ٩٤ «أسر الفقيه أحمد بابا بمراكش «نقلا عن كتاب صفوة من انتشر للافرانى (وربما كان صحة الاسم اليفرنى) (نسبة إلى بنى يفرن).

(٢) بروفنسال، نخب تاريخية جامعة، ص ٩٤، المحبى، خلاصة الاثر، جـ١ ، ص ١٧١ ، ١٧٢ ، الوفرانى، نزهة الحادى، ص ٩٧ ، السلاوى، الاستقصا، جـ٣، ص ٦٣.

(٣) الوفرانى، نزهة الحادى ص ٩٧ ، ليفى بروفنسال، نخب تاريخية جامعة، ص ٩٤، (نقلا عن الوفرانى، فى صفوة من انتشر)، السلاوى، الاستقصا جـ٣، ص ٦٣.
Brock, G. A.L, Suppl, Vol II, p, 716.

وفى تلك الفترة قام الفقيه بأداء فريضة الحج، ثم عاد إلى مسقط رأسه، حيث كرس جهوده للعلم، ومات فى ٦ شعبان ١٠٣٦ هـ / ٢٢ ابريل ١٦٢٧م[١].

ولأحمد بابا مايزيد على الاربعين مؤلفا فى الفقه المالكى، والنحو ، والموضوعات الأخرى، ولكن أهم مؤلفاته الذى وصلنا كاملا هو كتاب «نيل الابتهاج بتطريز الديباج» وهو عبارة عن معجم سير لفقهاء المالكية ذيل فيه على كتاب ابن فرحون «الديباج المذهب فى معرفة اعيان علماء المذهب» الذى توقفت تراجمه عند سنة ٧٦١هـ. وقد جمع أحمد بابا فى مصنفه تراجم لعلماء المالكية ممن ليس فى ديباج ابن فرحون، وكذلك زاد فى بعض التراجم التى ذكرها، وهو مرتب حسب الحروف الابجدية.

وفرغ من تقييده فى سنة ١٠٠٥هـ / ١٥٩٦م بمدينة مراكش[٢].

ومن خلال تراجمه لفقهاء المالكية فى بلاد السودان يعطينا فكرة واضحة عن الحياة العلمية والفكرية فى هذه البلاد - وخاصة مدينة تنبكت.

ونشر الكتاب فى فاس سنة ١٤١٧ هـ.

وطبع فى القاهرة ، هامش على كتاب «الديباج المذهب» لابن فرحون، سنة ١٣٢٩.

وللكتاب اسماء أخرى مثل «تكملة الديباج» و «ذيل الديباج» و «توشيح

محمود كعت، تاريخ الفتاش، ص ١٨٢.

(١) السعدى، تاريخ السودان، ص ٢٤٤، الترجمة الفرنسية ، ص ٣٧١، السلاوى، الاستقصا ، جـ٣، ص ٦٣

Brock, G. A.L, Suppl, Vol II, p, 716.Suppl, Vol II, p. 716, Ency de L'islam nouv. Edition, p, 288.

(٢) احمد بابا، نيل الابتهاج، ص ٣٦١.

الديباج» و «اليواقيت الثمنية فى أعيان مذهب عالم المدينة»[١].

«كفاية المحتاج فى معرفة من ليس فى الديباج» وهذا المصنف عبارة عن تهذيب واختصار لكتابه الأول[٢].

«اللآلى السندسية فى فضائل السنوسية» أو «المواهب القدوسية فى المناقب السنوسية». و«معراج الصعود» أو «الكشف والبيان لأصناف مجلوب السودان»[٣] وهو مصنف فى ذم الرق كتبه فى مراكش.

ثم يأتى كتاب « تذكرة النسيان فى اخبار ملوك السودان».

ويمثل النوع الثانى (كتب الطبقات الخاصة اقليميا). وهو لمؤرخ غير معروف حفيد الفع محمد بن الأمير صود[٤]، ينحدر من سنغى[٥]. ويذكر لنا المؤلف أن جد والده اسمه القع (الفقيه) الأمين بن محمد صود كان يعمل معلم للصبيان[٦].

ولد المولف فى سنة ١١١٢ هـ / ١٧٠٠ فى مدينة تنبكت[٧].

والكتاب عبارة عن تاريخ فى صورة تراجم Histoire biographique للباشات المراكشيين الذين حكموا السودان، وكذلك الاساكى من أهل سنغى، والقضاة، وأئمة الجامع الكبير، منذ الفتح المغربى للبلاد سنة ١٠٠٠

---

(1) Brock , G.A.L, Suppl, Vol II , p, 716.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية، المجلد الأول، الترجمة العربية، ص ٤٥٨.

(3) Brock , G.A.L, Suppl, Vol II , p, 716.

(٤) تذكرة النسيان فى اخبار ملوك السودان، النص العربى، نشر هوداس، باريز ١٨٩٩، ص ١٤.

(5)Brock , G.A.L, Suppl, Vol II , p, 468.

(٦) تذكرة النسيان ، ص ٤.

(٧) تذكرة النسيان، ص ٨.

Brock , G.A.L, Suppl, Vol II , p, 468.

هـ ، ١٥٩٢م ومجيء القائد جودر، وحتى سنة ١١٦٤هـ ، ١٧٥١م.

والكتاب متأخر عن الفترة التي ندرسها، ولكن أهميته تتلخص في انه يعطينا صورة واضحة وحية عن الحياة الاجتماعية، والعادات والتقاليد في بلاد السودان خاصة مدينة (تنبكت) ومن بين الأشياء الهامة التي يرويها لنا قراءه صحيح البخاري في شهر رمضان، ومنزل الإمام بمثابة الحرم ويحدثنا أيضا عن طريق التعامل بالودع.

ومن بين الظواهر التي حرص على تسجيلها حرص على تسجيل مرات سقوط المطر في سكت، واحتفال الناس بذلك[1]

والكتاب مرتب على حروف المعجم

---

(١) تذكرة النسيان، ص ١٥١

الباب الأول

الصحـراء والسـودان

الفصل الأول

أ – الصحراء.

ب– السودان

الباب الأول

الصحراء والسودان

الفصل الأول

أ - الصحراء

تمهيد:

ان الكلام عن انتشار الإسلام فى السودان الغربى، يقودنا إلى الحديث عن الصحراء الكبرى في شمال افريقية. فعبر هذه الصحراء انتشر الإسلام والحضارة الإسلامية من بلاد المغرب إلى بلاد السودان. فالصحراء كانت منذ القدم طريقا للمواصلات والربط بين المغرب وبلاد السودان أكثر منها حاجزا وفاصلا بينهما كما قد يخطىء البعض، وبالتالى كانت همزة الوصل بين المنطقتين مما أدى إلى المزج بين البيضان والسودان منذ أقدم العصور.

امتداد الصحراء:

فالصحراء «الكبرى» شمال افريقية[١]، اذ تمتد من ساحل المحيط الاطلنطى (البحر المتوسط) (موريتانيا) غربا، حتى حدود سودان النيل فى الشرق، أى لمسافة ٤٠٠٠ كيلو متر، كما أنها تمتد لمسافة ١٥٠٠ كيلو متر بين الشمال والجنوب، أى بين أطلس وتمبكتو (تنبكت)[١]. وبذلك يحدها بلاد المغرب (ليبيا وتونس والجزائر والمغرب) من شمال، وبلاد السودان

---

(1) E.F. Gautier, Le Sahara, Payot, Paris, 1928, p. 9.

(٢) ريمون فيرون، الصحراء الكبرى - الجوانب الجيولوجية. مصادر الثروة المعدنية. استغلالها. ترجمة الدكتور جمال الدين الدناصورى، القاهرة، ١٩٦٣.

من الجنوب[١]. فالصحراء تكاد تعزل كلاً من البلدين وأن كانت فى نفس الوقت وسيلة الربط بينهما.

وقد ميز الجغرافيون المحدثون خصوصا بين الصحراء الشرقية أى الصحراء الليبية والصحراء الوسطى والصحراء الغربية[٢].

والعرب أول ما عرفوا السودان المغربى عرفوه عن طريق الصحراء الشرقية، حيث كان هناك طريق يسلك من واحات مصر[٣]، ويمر بالواحات الداخله والكفرة[٤]، ويتجه إلى السودان الغربى متجها إلى غانه، ومنها إلى أودغشت، فعدل عنه فى القرن الرابع إلى طريق سجلماسة، وذلك بسبب توافر الرياح السافية للرمال على القوافل، وهلاك أكثر من رفقة، وأيضا عدوان اللصوص على القوافل، فأمر ابو العباس احمد بن طولون (حكم من ٢٥٤هـ/ ٨٦٨م إلى سنة ٢٧٠-٨٨٤م)، بقطع الطريق ومنع أن يخرج عليه أحد[٥].

ويورد العمرى (يكتب فى سنة ٧٣٨ هـ) فى «مسالك الأبصار»، رواية

---

(١) ابن حوقل، صورة الأرض، نشر كريمر، طبع ليدن، ١٩٣٨، جـ١، ص ٨٣، البكرى، المغرب، نشر دسلان، الجزائر ١٩١١، ص ٢١، أبو الفدا، تقويم البلدان، نشر رينو ودسلان، باريز، ١٨٤٠، جـ١، ص ١٢٢.

(2)Actes du VII Congrés de l'Institut des Hautes-études Marocaines, Compte rendu des séances, p, 9, Hesperis, Tome XI, 1930.

(٣) ابن حوقل، صورة الأرض، جـ١، ص ١٥٣، حيث يقول: «واما الواحات فانها بلاد كانت معمور بالمياه والاشجار والقرى والروم قبل فتحها، وكان يسلك من ظهرها إلى بلاد السودان بالمغرب على الطريق الذى كان يؤخذ ويسلك قديما من مصر إلى غانة فانقطع ..»، الادريسى، صفة المغرب، ص ٢٢، الاستبصار، ص ١٤٧ - ١٤٨.

(٤) ادم متز، الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى أو عصر النهضة فى الإسلام، ترجمة د. عبد الهادى أبوريده، الطبعة الثالثة، القاهرة ١٩٥٧، جـ٢، ص ٤١٣.

(٥) ابن حوقل، صورة الأرض، جـ١، ص ٦١، ص ١٥٣.

يفهم منها أن الطريق من مصر إلى بلاد السودان، عبر الواحات اتخذ مرة ثانية.

ونص هذه الرواية: «وبلاد مالي وغانة ومامعها يسلك إليها من غربي صعيد مصر على الواحات، في بر مقفر يسكنه طوائف من العرب ثم من البربر إلى عمران يتوصل منه إلى مالي وغانة ...»[1].

وتوصف الصحراء بأنها موخشة جدبة مقفرة، إلا أن الأمر ليس كذلك فمنابع المياه والواحات تنتشر في أرجائها، وبفضلها أمكن للرفاق أن تقطع الصحراء من أقصاها إلى أدناها.

أما الصحراء التي ليس فيها ماء ولا خصب إلا القليل فهي صحراء المغرب الأقصى الجنوبية (الصحراء الغربية) موريتانيا الآن – حيث كان يقطن الملثمون – الموصلة بين سجلماسة وغانة.

حـدودها :

وهذه الصحراء التي يحدها من ناحية الغرب البحر المحيط، ومن الشرق نهر النيجر عندما يثني شمالاً إلى جهة تنبكت ومن الشمال منطقة سجلماسة التي يقال لها اليوم تافيلالت، وبلاد السودان من الجنوب. ويوجد بها الماء القليل الذى يتزود به من مواضع معلومة.

وصف الطرق الموصلة إلى السودان :

ومن أقدم الروايات التي وصلت إلينا، والتي تتكلم عن الصحراء الموصلة بين المغرب وبلاد السودان، رواية البكرى (يكتب في سنة ٤٦٠هـ/ ١٠٦٧–١٠٦٨م) على أيام المرابطين. ويصف لنا البكرى «الطريق من وادى

(١) العمرى، مسالك الابصار، المخطوط، ص ١٠٩، والترجمة الفرنسية لديمومبين، ص ٨٠ وهامش ١ حيث يقول جودفروا ديمومبين. «أنه الطريق المعتاد بين مصر والسودان».

درعة إلى الصحراء إلى بلاد السودان، وصفا دقيقا. فمن وادى درعة، على بعد خمس مراحل، وادى تارجا (ترجا عند صاحب الاستبصار)[١]. وهو أول الصحراء، وبعد مسيرة يومين أو ثلاث، يوجد الماء، وبعد ذلك تصل إلى «رأس المجابة»[٢]، وبعد هذه المجابة يذكر البكرى عددا من الآبار غير العذبة[٣]، قبل الوصول إلى جبل أدرار وزال ومعناه بالبربرية جبل الحديد. ومن هذا الجبل تبدأ «المجابة الكبرى»[٤] ويوجد الماء فيها على بعد ثمانية أيام، وبعدها قرية تسمى مدوكن منها إلى غانة مسيرة أربعة أيام.

ويتضمن كتاب البكرى أيضا وصفا «للطريق من مدينة تامدلت إلى مدينة أودغست»[٥] فمن مدينة تامدلت إلى بير الجمالين مرحلة[٦] (يبدو من اسمها أنها كانت موقفا لقوافل الجمال التى تجوب الصحراء). وهى بئر عميقة يبلغ عمقها مسافة أربع قامات، وبعد هذه البئر شعب ضيق لا يسمح إلا بمشى الأبل بعير أثر بعير، ثم جبل يدعى أزور، وهو جبل متحجر تنسحج

---

(١) البكرى، المغرب، ص ١٦٣، الترجمة الفرنسية لدسلان، ص ٣٠٩، الاستبصار ص ٢١٣.

(٢) «المجابة» تعنى الاجزاء التى تغطيها الرمال المتحركة، والتى ينعدم فيها الماء تماما. الادريسى، الترجمة الفرنسية لكتاب صفة المغرب، ص ٣٧، هامش٢.

(٣) ...... إلى بيو تسمى تزامت وهى بير غير عذبة قد حفرت فى حجر صلد من عمل الأول، وفى الشرق من هذه البئر بئر الجمالين، وبالقرب منها بير تسمى ناللى غير عذبة أيضا البكرى، المغرب، ص ١٦٣، الترجمة الفرنسية لدسلان، ص ٣٠٩.

(٤) البكرى، المغرب، ص ١٦٤، الترجمة الفرنسية لدسلان، ص ٣١٠.

(٥) تامدلت: بلد من بلاد المغرب، شرقى لمطة أسسها عبد الله بن ادريس العلوى، وهى كثيرة العمارة حافلة بالأسواق، بينها وبين مدينة درعة مسيرة ٦ أيام فى عمارة متصلة .ابن حوقل، صورة الأرض، جـ١ ص ٩٢، البكرى، المغرب، ص ١٦٣، الاستبصار، ص ٢١٣، ياقوت، معجم البلدان، طبعة وستنفلد، جـ١، ص ٨١٢.

(٦) انظر فيما بعد الفصل الخاص بانتشار الإسلام فى بلاد السودان.

فيه حافر البعير من المشي حتى تحفي. وبعد هذا الجبل ماء يسمى تندفس[١]، وهو عبارة عن أبار على السطح يحفرها المسافرون ولاتلبث أن تنهار، ثم بير كبير يقال لها وين هيلون، وبعدها «أرض سواء صحراء» ربما وجد فيه الماء متبقيا من مياه الأمطار على صفا تحت الرمل[٢]، وبعد هذه الصحراء يجد المسافرون ماء يقال له تازقي، وبعده بير احتفرها عبد الرحمن بن حبيب في حجر صلب، وعمقها أربع قامات، وبعدها مكان يسمى أوكازنت وهو أرض يحفر أهل القوافل عن الماء فيها فيجدونه على عمق ذراعين أو ثلاث ثم تأتي «مجابة رمل معترضة لاماء فيها»، ويستمر الطريق إلى موضع يقال له وانزمين وهو أبار ماء قريبة الرشاء[٣]، (وهذا يعنى أن المياه بها قريبة من السطح)، يوجد فيها الماء العذب، ويحف بها جبل طويل صعب. وبعد هذا الماء جبل واران وهي «مجابة في كثبان رمل». ويذكر البكري عدداً من الآبار، وبعدها جبل يدعى أزجوفان، ثم منطقة من الرمال تصل إلى ماء يقال له بئر واران، ومنها إلى أرض تمتلئ بالآبار. وقبل الوصول إلى أودغست يوجد شرف عال مشرف عليها[٤]، وتعتبر مدينة أودغست أول بلاد السودان وبينها وبين غانة خمسة عشر يوما[٥].

(١) «تندوف، وهي تقع على سفح هضبة درعة، يحتمل أنها انشئت مكان آبار تندفس التي ذكرها البكري».

- De la chapelle, Equise d'une histoire du sahara accidental, p, 36, note I.

(٢) البكري، المغرب، ص ١٥٧، «الصفا، العريض من الحجارة الاملس، جمع صفاة، والصفاة الحجر الصلد الضخم الذى لاينبت شيئا». ابن منظور، لسان العرب، جـ ١٤، ص ٤٦٢.

(٣) «والرشاء رسن الدلو»، ابن منظور، لسان العرب، طبعة بولاق، جـ ١٩ ص ٣٧.

(٤) البكري،المغرب، ص ١٥٧.

(٥) البكري، المغرب، ص ١٦٨ ويذكر البكري «أن المسافة من تامدلت إلى أودغست أربعون مرحلة». البكري، المغرب، ص ١٥٩.

وأودغست أو (أودغشت)، مدينة في المغرب الأقصى في الجنوب في الصحراء، ويفترض الدكتور بارث، "H.Barth" أن أودغست كانت تقع بين خطي طول ١، ١١ غربي جرينتش، وبين خطي عرض ١٨، ١٩ شمالا، غير بعيد من «قصار» Ksar «وبركة» Barka، أي أنها كانت جنوب غربي موقع تجكة "Tidjika" في موريتانيا الفرنسية[١].

ويصف لنا الأدريسي (توفي سنة ٥٤٨هـ/ ١١٥٤م)، الصحراء التي كان يسلكها المسافرون إلى أودغست وغانة (وهو يستقي معلوماته تلك من بعض الثقات من المسافرين ومن متجولي التجار في بلاد السودان، ويطلق عليها اسم صحراء نيسر (نيسر - نيستر)، ولعل نيسر تحريف لاسم ينتسر، وهم قبيلة من صنهاجة ذكرهم البكرى عند كلامه عن «الطريق من وادى درعة إلى الصحراء إلى بلاد السودان، قال: «..... ومن هذا بالجبل مجابه ماؤها على ثمانية أيام وهي المجابة الكبرى، وذلك الماء في بني ينتسر من صنهاجة .....»[٢]، وهي صحراء قليلة الأنس، لايقطنها أحد، ويوجد بها الماء القليل، ويتزود به من مجابات معلومة، وهذه المجابات تمشى فيها القوافل يومين وأربعة وخمسة وستة واثنى عشر يوما قبل أن تجد الماء[٣]. وإحدى هذه المجابات مجابة نيسر، وهي تقع في بداية الطريق من سجلماسة إلى غانة وهي ممتدة لمسافة ١٤ يوما لايوجد فيها ماء، وتتزود القوافل بالماء لسلوك هذه المجابات في الأوعية على ظهور الجمال، وأكثر أرضها رمال تثيرها الرياح وتنقلها من مكان إلى مكان[٤].

(1) G.Yver Awdag ost, encyclopédie de l'islam, Nouvelle édition paris, 1958, Tome I, Livraison 13, p, 50.

(٢) البكرى، المغرب، ص ١٦٤.

(٣) الادريسى، صفة المغرب، ص ٣، الترجمة الفرنسية، ص ٢.

(٤) الادريسى، صفة المغرب، ص ٣، ص ٣١، الترجمة الفرنسية، ص ٢، ص ٣٧.

وفى القرن السابع الهجرى يصف لنا ابن سعيد (توفى سنة ٦٨٥هـ)، الذى ينقله أبو الفدا) الصحراء الواقعة بين سجلماسة وغانة ويطلق عليها اسم صحراء يسر (نيسر عند الإدريسى)، وهى تقع غربى مدينة أودغست. وهذه الصحراء طويلة عريضة «ليس فيها ماء ولامرعى»، ويعانى المسافرون فيها من شدة العطش والحرارة الشديدة، وربما هبت عليهم ريح جنوبية، يكون نتيجتها نشف المياه التى توجد بقربهم، ولذلك يلجئون إلى المياه التى تكون فى بطون الجمال فينحرون بعضها ويترمقوا بما فى بطنة[١].

ويصف ابن بطوطة فى رحلته إلى السودان الغربى (منتصف القرن الثامن الهجرى/١٤م) الطريق الصحراوى الذى قطعه من سجلماسة إلى إيوالاتن[٢]، وصفا دقيقا. ويلاحظ أنه رغم بعد الطريق عن العمران إلا أن به بعض مواضع المياه المعروفة.

ومدينة سجلماسة تقع فى شمال وادى درعة، على طرف الصحراء، وتليها المفارة الكبرى التى تفضى إلى غانة من بلاد السودان[٣]. وبعد سجلماسة وعلى بعد خمسة وعشرين يوما توجد قرية تغازى (تغاز لدى محمود كعت والسعدى)[٤]، وأرضها عبارة عن رمل بداخله معدن ملح

---

(١) ابو الفدا ، تقويم البلدان، ص ١٣٩.

(٢) ابوالاتن، جمع ولات، يكتب اسمها أيضا فى شلك ولاتن (انظر، أحمد بابا التنبكتى، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، كتب على هامش كتاب الديباج المذهب لابن فرحون، طبع القاهرة ١٣٢٩هـ، ص ١٦١.

-Gibb, Ibn Battuta travels in Asia and Africa, p, 378, note 6.

(٣) البكرى، المغرب، ص ١٣٧ ، القلقشندى، صبح الاعشى، ٢٠٠ - ٢٠١، ابو الفداء تقويم البلدان، جـ١ ، ص ١٣٧ ، القلشندى، صبح الاعشى، جـ٥، ص ١٦٣.

(٤) محمود كعت، تاريخ الفتاش، ص ٣٤، السعدى، تاريخ السودان، ص ١١، والترجمة الفرنسية لهوداس ص ٢١، ابن بطوطه، الرحلة، طبعة التجارية، جـ٢، ص ٢٩١، والترجمة الانجليزية لجب، ص ٣١٧.

ولهذا لايوجد بها أشجار، أما ماء تغازى فهو زعاق. أى أقرب إلى الملوحة، ومنها يتزود بالماء لدخول الصحراء التى تليها، والتى تقطعها القوافل وهى تحمل مؤنتها من ا لماء فى عشرة أيام، إذ لا يوجد فيها الماء إلا نادراً فى بعض الغدران[1]، التى خلفتها الأمطار.

ويلى ذلك تاسرهلا[2]، وهى فيما يبدو محط ذ، أممية للقوافل التى تخترق الصحراء مترددة بين الغرب وبلاد السودان. وهى إحساء[3] ماء تعرس فيه القوافل وتقيم لمدة ثلاث أيام يستجمون ويملئون قربهم بالماء «ويخيطون عليها التلاليس» خوفا من الريح.

وبين تاسرهلا وبين ثغر مالى المسمى أيوالاتن صحراء ذات طبيعة متباينة، رملية مجهلة، لايوجد فيها طريق واضح ظاهر، أو أثر، وإنما هى رمال تقذف بها الرياح، فترمى تلالا من الرمال فى مكان وبعد ذلك تراها قد انتقلت إلى مكان آخر. ولاتهتدى فيها الرفاق، ولا يمر الوارد، إلا بالدليل «التكشيف» الخبير من مسوفة الملثمين «الظواعن بذلك القفر» يستأجره التجار فيتقدم إلى أيوالاتن ليعلن قرب وصول القافلة، ويخرج الناس إلى الصحراء للقاء القافلة وهم يحملون قرب الماء للبيع، هذه الرحلة من سجلماسة إلى أيوالاتن تستغرق شهرين وأيوالاتن بالنسبة لابن بطوطة تعتبر أول «عمالة السودان»[4].

(١) «جمع غدير، والغدير: كل ماء غودر من ماء المطر فى مستنقع صغيرا كان أوكبيرا». ياقوت، معجم البلدان، طبعة القاهرة، جـ٦، ص ٢٦٩.

(٢) تاسرهلا: يحتمل أن تكون مايدعى لدى الادريسى بئر تيسر فى صحراء ازواد. جب، ترجمة رحلة ابن بطوطة، ص ٣٧٧، هامش٥.

(٣)الاحساء، جمع حساء، وهورمل يغوص فيه الماء حتى اذا صار إلى صلابة الأرض امسكته فتحفر عنه العرب وتستخرجه.

ياقوت، المشترك وصفا والمفترق صقعا، طبع وستفلد، جوتنجن، سنة ١٨٤٦، جـ١، ص ١٤، ابو الفداء، تقويم البلدان، جـ١، ص ٩٩، ابن بطوطه، الرحلة، جـ٢، ص ١٩٩، الترجمة الانجليزية، ص ٣١٩.

(٤) ابن بطوطه، الرحلة ،ص ١٩٣، الترجمة الانجليزية، ص ٣١٩.

ووصف ابن بطوطة هذا ينبض بالحياة والحركة، وهو ربما لايتميز كالبكري - بالدقة الوثائقية الشديدة، ولكن أهميته تأتي من أنه نتاج للمعاناة والتجربة الشخصية. ونلحظ من وصف ابن بطوطه اختفاء «أودغست» المدينة التجارية الهامة، وحلت محلها ولات، التي كانت في وقت ما، عاصمة لصنهاجة أصحاب اللثام، والتي كانت تعتبر أول بلاد السودان، والحقيقة أن الوهن بدأ يدب فيها ابتداء من القرن السادس من الهجري / ١٢م، كما نستبين من وصف الأدريسي حيث يقول: «وهي مدينة صغيرة في صحراء ماؤها قليل وعامرها قليل وليس بها كبير تجارة ولاهلها جمال ومنها يتعيشون[1].

واحات الصحراء همزة وصل بين المغرب والسودان :

وكذلك واحات الصحراء «الكبرى» كانت همزة الوصل بين المغرب والسودان[2]. فمن بواد (بودى عند ابن خلدون)، (وتقع عند الطرف الشمالي لوادى توات)، (وتوات مجمع القوافل الآتية من بلاد السودان تقع في قلب صحراء الجزائر الحالية)، يسلك الطريق إلى بلاد هكار، وهي قليلة النبات كثيرة الحجارة، طريقها وعر، ثم إلى كاهر[3] وهي أرض كثيرة الأعشاب، ومنها إلى تكدا، والطريق يستمر من تكدا إلى كوكو من بلاد السودان[4]

(١) الادريسي، صفة المغرب،ص ٣٢، الترجمة الفرنسية، ص ٣٨.

(٢) أ.د. محمد زغلول، تاريخ المغرب العربي، ص٥٥.

(٣) ابن بطوطه، الرحلة، طبعة التجارية، جـ٢، ص ٢٠٧ - ٢١٠، الترجمة الانجليزية، ص ٣٣٥ - ٣٣٨. ابن خلدون، العبر، جـ٧، ص ٥٦، «وكاهر هو متغير لاسم اير الذى اطلق على البلد كثيرة التلال المتفرقة السكان والتى تقع إلى جنوب، "in Azawa" أو "Asui" حسب ترجمة رحلة ابن بطوطه، هامش ٤٠، ص ٣٨٣.

(٤) مشكلة موقع تكدا الم يتفق عليها حتى الان. ومن المعلوم عموما على أساس تعريف =

وكانت وارجلى (وأرقلان)، وهى تقع فى صحراء الجزائر (صحراء المغرب الأوسط) جنوب بلاد الزاب قبلى بجاية بابالولوج السفر من الزاب إلى المفازة الصحراوية المفضية إلى بلاد السودان[1].

ومن غدامس (فى صحراء طرابلس)، يدخل إلى تاد مكة وغيرها من بلاد السودان[2] وأيضا من فزان وزويلة (التى يصفها الكتاب العرب بأنها أول حد بلاد السودان)، فى صحراء طرابلس (الصحراء الشرقيه)، يدخل إلى بلاد الكانم والبرنو[3].

ثروات الصحراء :

من هذا العرض الخاص بوصف صحراوات المغرب وطرقها الموصلة مابين الشمال والجنوب ومابين الشرق والغرب، نلاحظ أن الصحراء لاتعنى الجدب المطلق فالماء، موجود على طول الطرق وأن تنوعت اشكاله ما بين العذوبة والملوحة ومابين القرب أو البعد من سطح الأرض. ولهذا وجدت الحياة النباتية والحيوانية فى الصحراء متناثرة حسب موارد الماء ومتطورة بالنسبة لطبيعة الأرض ونوع الماء.

= بارث" Barth" لها، انه قرنها بـ "Tegidda n'tismet" ، ٩٧ ميل غرب شمال غرب اغاديس. جب ترجمة رحلة ابن بطوطه، هامش ٣٥، ص ٣٨٢.

(١) ابن خلدون، العبر، جـ٧، ص ٥١: ويقول الادريسى عن أهل ورقلان: «..... وهم وهبية اباضية نكار خوارج فى دين الإسلام، ويذكر أن المسافة من ورقلان إلى غانة ٣٠ مرحلة».

الادريسى، صفة المغرب وأرض السودان، ص ١٢١، الترجمة الفرنسية لدوزى ودغوية، ص ١٤١.

(٢) الاستبصار، ص ١٤٥ - ١٤٦، ياقوت، معجم البلدان، جـ٦، ص ٢٦٨؛ ابو الفدا، تقويم البلدان، جـ١، ص ١٤٧، القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٥، ص ٦٠٨.

(٣) البكرى، المغرب، ص ١٠، الاستبصار، ص ١٤٦؛ الادريسى، صفة المغرب، ص ١٣٣، ابو الفدا، تقويم البلدان، جـ١، ص ١٤٧.

الثروة النباتية :

ونباتات الصحراء على وجه العموم خشنة وبعضها لاثمر له مثل شجر الأهليلج، كما توجد بها أشجار الصمغ وشجر الحنا والحيف[١].

الثروة الحيوانية :

ويعتبر الجمل أهم ثروة حيوانية في الصحراء، لأنه أقدر الحيوانات على الحياة في القفر وورود المياه الملحة، وإلى جانب الجمل يوجد اللمط لصبره على العطش[٢]، وهذا الحيوان دابة دون البقر لها قرون رقاق حادة[٣]، ويتخذ من جلده تراس يقال لها الدرق اللمطية، وهي خفيفة لاينفذ إليها النشاب، ولايؤثر فيها السيف[٤]. ويوجد في الصحراء أيضا الفنك الجيد الكثير، ومنها يحمل جلودها إلى جميع البلاد[٥]. وبها كذلك البقر

(١) البكرى، المغرب، ص ١٥٧– ١٥٨.

(٢)ابو الفدا، تقويم البلدان، جـ١ ، ص ١٣٧.

(٣) الاستبصار، ص ٢١٤.

(٤) ابو حامد الاندلسي، تحفة الالباب، نشر وترجمة G.Ferrand, Journal asiatique, 1925, p, 44, trad Franc, p, 249.

(٥) الاستبصار ، ص ٢١٤.

فنك: « بالتأكيد هو نوع من الثعالب الصغيرة جدا في حجم القط، يسكن المناطق الحارة في أفريقية من الحبشة ودارفور حتى شمال افريقية في "Oran" وكان العرب يستخدمون فراءه. ولكن اسم فنك "Fanec" كان يطلق أيضا على حيوانات أخرى أو على الاصح على أنواع أخرمن الفراء سواء جاءت من الشمال أو من الوسط ويطلق الفرس فنك على ثعلب بلاد التتار الصغير، الذى يطلق عليه علماء الطبيعة اسم "Canis Carsak" وبالتركية الشرقية «قارساق On lit dans m: . والفنك حيوان فروته لأحسن الفراء وأعد لها قيل هو نوع من جراء الثعلب التركى وقيل يطلق على جرو ابن آوى في بلاد الترك.

Dozy, Supplément aux dictionnaires arabes, t.second. p.285.

«ويقول الدميرى في حياة الحيوان، طبعة التجارية، جـ١ ، ص ٢٢٥»، الفنك، كالمسل دويبه يؤخذ

=

الوحشى[1].

وتوجد الحيات فى الصحراء بكثرة «وهى طوال القدود غلاظ الأجسام»، ويصيدها السودان ويطبخونها بالملح والماء والشيح -بعد قطع رؤوسها- ويأكلونها وهى تعد لديهم من أطيب الطعام[2].

الثروة المعدنية :

أما أهم معادن الصحراء فهو معدن الملح، تحفر الأرض لاستخراج الملح، ويوجد الملح تحت قامتين أو أقل من سطح الأرض، ويقطع كما تقطع الحجارة[3].

ويوجد معدن ملح على بعد عشرين يوم من سجلماسة، ويسمى هذا المعدن تاتنتال (هل هو تغازى عند ابن بطوطة؟) ويشرف عليه - كما يقول البكرى - حصن مبنى بحجارة الملح، وكذلك بيوته ومشارفه وغرفة قد شيدت من كتل الملح[4]. وقد مر ابن بطوطة بتغازى أثناء رحلته إلى بلاد السودان، وتحدث عن بيوتها ومسجدها المشيد من حجارة الملح، وسقفها المبنية من جلود

=

منها الفرو. وقال ابن البيطار انه اطيب من جميع الفراء، ويجلب كثيرا من بلاد الصقالبة ويشبه ان يكون فى لحمه حلاوة. وهو ابرد من السمور واعدل وامر من السنجاب يصلح لاصحاب الامزجة المعتدلة.

(وحكمه) الحل لانه من الطيبات. ونقل الامام أبو عمر بن عبد البرفى التمهيد عن أبى يوسف انه قال فى الفنك والسنجاب والسمور كل ذلك سبع مثل الثعلب وابن عرس».

(١) ابن بطوطه، الرحلة، طبعة التجارية، جـ ٢، ص ١٩٠.

(٢) الادريسى، صفة المغرب، ص ٣١، الترجمة الفرنسية، ص ٣٧ - ٣٨.

(٣) البكرى، المغرب، ص ١٧١، الاستبصار، ص ٢١٤.

(٤) نفس المصادر السابقة.

الجمال[١] . ويوجد الملح أيضا فى توتك[٢] .

وإلى جانب الملح يوجد بالصحراء أيضا معدن الحديد، ويتركز خام الحديد في بعض الأماكن مثل جبل الحديد (Montagne de Fer) بالقرب من حديقة مركز فورت جورو (فى موريتانيا) . وقد أشار البكرى إلى جبل الحديد (فى القرن الخامس الهجرى/ ١١م) عند كلامه عن الطريق من «وادى درعة إلى الصحراء إلى بلاد السودان[٣] .

كما يوجد بالصحراء، النحاس وقد مر الرحالة ابن بطوطة فى أثناء رحلته قافلا من مالى إلى فاس (سنة ٧٥٤ هـ/ ١٣٥٤م)، باير، وقد نزل بأحد الأماكن ويدعى تكدا، وتحدث ابن بطوطة عن معدن النحاس بتكدا قال، «ومعدن النحاس بخارج تكدا يحفرون عليه فى الأرض ويأتون إلى البلد فيسبكونه فى دورهم ويفعل ذلك عبيدهم وخدمهم فاذا سبكوه نحاسا أحمر صنعوا منه قضباناً فى طول شبر ونصف بعضها رقاق وبعضها غلاظ، فتباع الغلاظ منها بحساب أربعمائة قضيب بمثقال ذهب وتباع الرقاق بحساب ستمائة وسبعمائة بمثقال...»[٤] .

---

(١) ابن بطوطه، الرحلة، جـ٢، ص ١٩١ ، الترجمة الانجليزية لجب، ص ٣١٨، ويقول القزوينى فى كتابه آثار البلاد وأخبار العباد، ص ٢٥ - ٢٦ عن تغازة: «حدثنى الفقيه على الجنجانى انه دخلها فوجد سور المدينة من الملح، وكذلك جميع حيطانها، وكذلك السوارى والسقوف، وكذلك الابواب فانها من صفائح ملحية مغطاة بشىء من جلد الحيوان كى لايتشعب أطرافها، وذكر أن جميع ماحول هذه المدينة من الأراضى سبخه وفيها معدن الملح....»

(٢) «توتك: معدن ملح (تحت الأرض)، وبين توتك وتادمكة ست مراحل» البكرى، المغرب، ص ١٨٣ .

(٣) ريمون فيرون، الصحراء الكبرى، ترجمة الدكتور جمال الدين الدناصورى، ص ٢٩٣-٢٩٤، البكرى ، المغرب، ص ١٦٤-١٥٦ ، الدمشقى، نخبة الدهر، فى عجائب البر والبحر،ص ٢٣٩ ، وانظر ماسبق، ص ٤٢ .

(٤) ابن بطوطه، الرحلة، طبعة التجارية، جـ٢، ص ٢٠٩ .

ب- بلاد السودان

لانجد في كتب الجغرافيين القدماء من المشارقة - (ابن خرداذبة، واليعقوبي وابن الفقيه، والاصطخرى، والمسعودى، والمقدسى) - معلومات كافية عن بلاد السودان بشكل عام وعن سودان المغرب بشكل خاص. ويعلل الاصطخرى (توفي سنة ٣٤٠ هـ) (وينقل عنه ابن حوقل) عدم اهتمامه ببلاد السودان بسبب أنها بلاد جاهلية غير متحضرة، وفي ذلك يقول: «ولم تذكر بلد السودان في المغرب والبجة والزنج ومن في أعرافهم من الأمم لأن انتظام الممالك بالديانات والآداب والحكم وتقويم العمارات بالسياسة المستقيمة وهؤلاء مهملون لهذه الخصال ولاحظ لهم في شئ من ذلك فيستحقوا أفراد ممالكهم بما ذكرنا به سائر الممالك ...»[1].

هذا بينما الوضع مختلف بالنسبة للنوبة والحبشة، لاتصال العرب الوثيق خاصة بأرض الحبشة ومعرفتهم بأحوالهم قبل الإسلام. يبدو ذلك واضحا من الأدب التاريخي والجغرافي، فتقول رواية الطبرى أن الرسول ﷺ أمر المسلمين أن يخرجوا إلى أرض الحبشة. وكان بالحبشة ملك صالح يقال له النجاشي

---

(١) الاصطخرى، مسالك الممالك، ص ٤-٥. ويقول نص ابن حوقل: «ولم اذكر بلدان السودان في المغرب والبجة والزنج ومن في أعراضهم من الأمم لأن انتظام الممالك بالديانات والآداب والحكم وتقويم العمارات بالسياسة المستقيمة وهؤلاء مهملون في هذه الخصال ولاحظ لهم في شيء من ذلك فيستحقوا به أفراد ممالكهم بما ذكرت به سائر الممالك». ابن حوقل، صورة الأرض، جـ١ ص٩-١٠ وكلمة زنك كلمة فارسية تعني مصرى Egyptian، وحبشي Ethiop، ومور Moor، وأسود Negro.

Steingass, A Comprehenive Persian English dictionnary, Second impression, London, 1936, p, 627.

وفي ذلك يقول ابن خلدون: «الحبشة والزنج والسودان أسماء مترادفة على الأمم المتميزة بالسواد، وأن كان اسم الحبشة مختصا منهم بمن تجاه مكة واليمن والزنج بمن تجاه بحر الهند .....»، ابن خلدون، المقدمة، ص ٨٤ «المقدمة الثالثة في المعتدل من الاقاليم والمنحرف وتأثير الهواء في الوان البشر والكثير من أحوالهم»، والترجمة الانجليزية لروزنتال، جـ١، ص ١٧١.

لايظلم أحد بأرضه... وكانت أرض الحبشة متجرا لقريش يتجرون فيها يجدون فيها رفاغا من الرزق وأمنا ومتجرا حسنا»[١].

ولأن النوبة والحبشة كانتا تدينان بالنصرانية، وكانتا تعرفان نظما وتراتيب إدارية لم يعرفها بقية السودان نظرا لاتصالهما بمملكة الروم. وفى ذلك يقول نص الاصطخرى : «غير أن بعض السودان المقاربين لهذه الممالك المعروفة يرجعون إلى ديانة ورياضة وحكم ويقاربون أهل هذه الممالك مثل النوبة والحبشة فانهم نصارى يرتسمون بمذاهب الروم وقد كانوا قبل الإسلام يتصلون بمملكة الروم على المجاورة لأن أرض النوبة متاخمة لأرض مصر والحبشة على بحر القلزم... ويتصلون بمصر والشام من طريق بحر القلزم»[٢].

لكن مع مرور الوقت أخذ الابهام يتبدد بعد أن اتصل العرب ببلاد السودان، وأزدادت المعلومات عن البلاد وخاصة سودان المغرب لدى الجغرافيين المغاربة بسبب العلاقات الوثيقة بين بلادهم وبين بلاد السودان الغربية. ومن ثم نجد معلومات فى كتب البكرى والأدريسى فى القرنين الخامس والسادس الهجريين تمدنا بالمعلومات القيمة عن دوله وثرواته وحضارته.

التسمية (بلاد السودان) :

بلاد السودان تعنى بلاد السود (أى الجنس الأسود)، والنسبة هنا «بالسمة والجهة»[٣] وذلك فى مقابلة بلاد البيضان ويقصد بها شمال أفريقية

(١) الطبرى، تاريخ الرسل والملوك، نشر وتحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، مجموعة ذخائر العرب، طبع دار المعارف، القاهرة، ١٩٦١، جـ٢، ص ٣٢٨. وانظر أيضا، ابن خلدون، العبر، القسم الثانى من الجزء الثانى، ص ٨.

(٢) الاصطخرى، مسالك الممالك، ص٥، ابن حوقل، صورة الأرض، جـ١، ص ١٠.

(٣) ابن خلدون، المقدمة، طبعة التجارية، ص٥٨ (المقدمة الثالثة فى «المعتدل من الأقاليم والمنحرف وتأثير الهواء فى الوان البشر والكثير من أحوالهم»، والترجمة الانجليزية لروزنتال، جـ١، ص ١٧٣.

(المغرب) والصحراء[١].

والسودان صيغة جمع أسود والمقصود الرجال ذوى البشرة السوداء الذين يعرفون أيضا الأساود؟ وعلى نفس الوزن استخدم العرب كلمة البيضان أى الرجال ذوى البشرة البيضاء[٢].

وبلاد السودان اسم أو مصطلح يقصد به الكتاب العرب كل الأقاليم شبة الصحراوية فى أفريقية شمال نطاق الغابات الاستوائية، والتى انتشر فيها الإسلام، والواقعة جنوب الصحراد الكبرى.

حدود السودان :

أما عن حدود بلاد السودان فهى كما يقول الاصطخرى (توفى سنة ٣٤٠هـ) وابن حوقل (توفى سنة ٣٦٧هـ)، من المغرب البحر المحيط (المحيط الأطلنطى) ومن الشرق الصحراء الموصلة بينهما وبين أرض مصر على ظهر الواخات، ومن الشمال الصحراء الممتدة بينها وبين أرض المغرب، وينتهى حد بلاد السودان من ا لجنوب إلى الصحراء التى يقول الجغرافيين المشارقة أنه لايثبت فيها عمارة لشدة الحر...[٣].

---

(١) البكرى، المغرب، ص ١٥٩ (يطلق على البربر اسم البيضان).

(٢) في القاموس، السواد نقيض البياض سود وساد واسود اسودادا واسود اسويدادا ويجوزفي الشعر اسواد تحرك الالف لئلا يجمع بين ساكنين وهو أسود والجمع سود وسودان» ، ابن منظور، لسان العرب، جـ٤ ص٢٠٩.

– وجاء في القاموس البياض ضد السواد يكون ذلك فى الحيوان والنبات وغير ذلك مما يقبله غيره – والبيضان من الناس خلاف السودان.

ابن منظور، لسان العرب، جـ٢، ص ٣١٩.

(٣) الاصطخرى، مسالك الممالك، ص ١٠–١١، ابن حوقل، صورة الأرض، جـ١، ص ١٥–١٦.

– وتقول رواية صاحب كتاب «حدود العالم» عن بلاد السودان: «شرقها وجنوبها مصاقبة للأراضى الجنوبية الخالية من السكان وغربها المحيط الغربى، شمالها الصحراء التى تفصل السودان عن المغرب. وهو اقليم واسع وممتد للغاية ويبلغ حوالى سبعمائة (٧٠٠) فرسخ.

Hudud al Alam the regions of the world A persian geography A.D

=

وتقـول رواية القلقـشندى (توفى سنة ٨٢١هـ/ ١٤٨١م)، عن بلاد السودان أنه يحدها من الغرب البحر المتوسط، ومن الشرق بحر القلزم مما يقابل اليمن، ومن الشمال الصحراء الممتدة بين مصر وبرقة وبلاد البربر من جنوبى المغرب إلى البحر المحيط، ومن الجنوب الخراب مما يلى خط الاستواء[١].

ويبدو من نص القلقشندى أن العرب كانوا يعتقدون أن خط الاستواء ينهى بلاد السودان، وأن وراءه لايوجد عمران، وهو اعتقاد باطل، ويظن أن هذا التوهم مبعثة أن العرب لم يتوغلوا فى أرض السودان تجاه الجنوب بل اقتصر نشاطهم شمال نطاق الغابات الاستوائية التى تقع جنوب السودان «والتى كانت وسائل النقل والاتصال فيها صعبة جدا إلى وقت قريب بحيث لاتسمح بدخول مؤثر بواسطة الأجانب»[٢].

ومفهوم السودان بهذا الشكل عام وشامل، ويعنى جنوب الصحراء (الكبرى) – ولكن الكلمة عندما استخدمها الجغرافيون العرب المشارقة لم يكن لها هذا المعنى الشامل فقد سموا الأجزاء الشرقية من السودان بأسمائها السياسية المعروفة.

= 372-982 A.D translated and explained by V.Minorsky, Oxford, 1937. "Discourse on Sudan and its towns, p,165.

ويقول الزهرى فى كتاب الجغرافية عن حد بلاد السودان: «البحر الأعظم فى المغرب وحده فى الشرق بحر القلزم وساحل الحبشة، وحده فى الجنوب خط الاستواء وجبال الذهب المسماه بجبال تونا بلسان النوبة، وحده فى الشمال مما يلى المغرب مدينة نول، وفى وسطه مدينة ارمس، وفى شرقه مدينة وارقلان....» الزهرى، كتاب الجغرافية، تحقيق محمد حاج صادق.

B.d'etudes orientales t. XXI, année 1938, p. 119.

(١) القلقشندى، صبح الاعشى، جـ٥، ص ٢٧٣.

(2) Fage, an introduction to the history of West Africa, P. 4.

البجـــة :

فالإقليم الموجود في جنوبي صعيد مصر مما يلي الشرق فيما بين بحر القلزم وبين نهر النيل هوبلاد البجا[١]. وقاعدتهم مدينة سواكن ومن مدن البجا أيضا العلاقي وهي بالقرب من بحر القلزم[٢].

بلاد النوبـــة[٣] :

تقع في جنوبي مصر ممايلي المغرب على ضفتي النيل، ويحدها ناحية الشمال مصر ومن الشرق أرض البجـة وبحر القلزم[٤]. وقاعدتهم مدينة دنقلة (دمقلة)[٥].

مملكة الحبشة :

وهي مملـكة عظيـمة متسـعة الأرجاء، وأول بلادهـم من الجـهـة الغربيـة التكـرور[٦] مما يلي جهة اليـمن، وأولهـــا مـن ناحيـة الشـمال

(١) المسعودى، مروج الذهب، طبعة التجارية، جـ٢، ص ١٨، ابن حوقل، صورة الأرض، جـ١، ص ١٨، ابن حوقل، صورة الأرض،جـ١، ص ٥٠، الادريسى، صفة المغرب، ص ٢٦، ص ٢٧، الترجمة الفرنسية لدوزى ودغويه، ص ٥١، ص٥٢ القلقشندى، صبح الاعشى، جـ٥، ص ٢٧٤.

(٢) اليعقوبى، كتاب البلدان، ص ٣٣٤، المسعودى، مروج الذهب، جـ٢، ص ١٨، القلقشندى، صبح الاعشى، جـ٥، ص ٢٢٧٣-٢٧٤.

(٣) النوبة اشتقاق محتمل من الكلمة الهيروغليفية "Nb" «الذهب» الذى يظهـــر فى القبطيةNoob.

L.P.Kirvan, A survey of Nubian Origins, Sudan notes and records, Vol XX, 1937, part I, p, 47.

(٤) الاصطخرى، مسالك الممالك، ص ١١، الادريسى، صفة المغرب، ص ١٠، ابن خلدون، المقدمة (الفصل الخامس بالجغرافية)، ص ٥٥، الترجمة الانجليزية لروزنتال، جـ١، ص١٢١، القلقشندى، صبح الاعشى، جـ٥، ص ٢٧٥.

(٥) الادريسى، صفة المغرب، ص ١٠، ص ١٤، العمرى، مسالك الابصار، الترجمة الفرنسية لديمومبين ، ص ٤٧، القلقشندى، صبح الاعشى،جـ٥، ص ٢٧٥.

(٦) ومن المفهوم جيدا أن هذا ليس هو التكرور السودانى. يقترحM.C أن يكون التكرور منطقة فى Metemma ويحددها فى المنطقة الصحراوية للـ«المسالك» فى حزيزة اللباب، ديمومبين، الترجمة الفرنسية لمسالك الابصار للعمرى، هامش٢ ص٢٢

الشرقي بحر الهند واليمن[1].

بلاد الزنـــج :

وهي أطول أراضي السودان، وهي لاتتصل بمملكة غير الحبشة[2]، وهي على بحر الهند[3]، في مواجهة اليمن وفارس وكرمان إلى أن تحاذى بعض أرض الهند[4].

السودانان الأوسط والغربي :

بعد أن تحددت مسميات الأقاليم الشرقية من السودان بمفهومة العام من البجة إلى النوبة إلى الزنج إلى الحبشة أصبحت حدود السودان الحقيقي عند الكتاب ممايلي الحبشة غربا إلى سواحل البحر المحيط، يفهم ذلك من نص القزويني (توفى سنة ٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م)، حيث يقول عن بلاد السودان «هي بلاد كثيرة وأرض واسعة، ينتهي شمالها إلى أرض البربر، وجنوبها إلى البراري، وشرقها إلى الحبشة، وغربها إلى البحر المحيط....»[5].

وابتداء من القرن الخامس الهجري (١١م)، ميز الجغرافيون العرب الأقاليم الغربية البعيدة من هذا السودان فاطلقوا عليها اسم (سودان الغرب – المغرب). يقول نص البيروني (توفى سنة ٤٤٠هـ / ١٠٤٨م). والبجة على سوادهم لايقال لأرضهم أرض السودان، وذلك أن هذا الاسم يقع في العرف على

---

(١) القلقشندي، صبح الاعشى، جـ٥، ص ٢٠٣.

(٢) الاصطخري، مسالك الممالك، ص ١١، ابن حوقل، صورة الأرض، جـ١، ص ١٦.

(٣) ابن خلدون، العبر، جـ٦، ص ١٩٨، (ينقل عن ابن سعيد).

(٤) الاصطخري، مسالك الممالك، ص ١١، ابن حوقل، صورة الأرض، جـ١، ص ١٦.

(٥) القزويني آثار البلاد وأخبار العباد، طبعة بيروت ١٩٦٠، ص٢٤.

أرض السودان بالمغرب المجلوب منهم الخدم[1].

ومما يجدر الإشارة إليه أن بلاد السودان فى عرف الجغرافيين المغاربة هى بلاد السودان الغربى.

هكذا كان مفهوم السودان عام تم تحددت الأجزاء الشـ [illegible] منه باسماء مميزة مثل الحبشة والزنج وبذلك أصبح السودان يمثل الجناح الغربى من دولة الإسلام فأبن حوقل يقول : «..... فأما مملكة الإسلام فان شرقيها أرض الهند وبحر فارس، وغربيها مملكة السودان السكان على البحر المحيط المتصلين ببرارى أودغست وصحاريها تجاه أوليل[2]. وبناء على ذلك فاذا كان السودان يمثل الجناح الغربى لدولة الإسلام فان الأقاليم البعيدة منه سميت «بسودان الغرب» لأنها تسامت المغرب ابتداء من فزان شرقا إلى البحر المحيط غربا[3].

ففى مقابل برقة وأفريقية جنوبا إلى سمت المغرب الأوسط وجدت بلاد الكانم (والبرنو) التى تعادل نيجيريا الشمالية حالية[4].

وقد ورد اسم كانم لأول مرة فى رواية اليعقوبى (توفى سنة ٣٨٤هـ)، عند ذكره للسودان الذين غربوا وسلكوا نحو المغرب، فانهم قطعوا البلاد فصارت لهم عدة ممالك. «فأول ممالكهـم الزغاوة وهم النازلون بالموضع الذى

---

(١) البيرونى، الجماهر فى معرفة الجواهر، الطبعة الأولى، مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية، حيدر اباد الدكن سنة ١٣٥٥، ص ١٦٢.

(٢) ابن حوقل، صورة الأرض، جـ١، ص ١٠

(٣) ابو الفدا، تقويم البلدان، جـ١، ص ١٤٩، عندما يتكلم عن زويلة يقول انها «من أطراف سودان الغرب»، قاعدة بلاد فزان.

(٤) العمرى، مسالك الابصار، الترجمة الفرنسية لديمومبين، ص ٤٥، القلقشندى صبح الاعشى، جـ٥، ص ٢٨٠، يقول عن الكانم «والكانم بكاف بعدها الف ثم نون مكسورة وميم فى الاخرة». قال فى «مسالك الابصار» وبلادهم بين افريقية وبرقة فى الجنوب إلى سمت الغرب الأوسط.

يقال له كانم». ويبدو من نص اليعقوبي أن قبيلة زغاوة – التي كانت تجوب الصحراء بين موطن أهل اللثام والنيل – هي التي أسست دولة كانم[1].

أما البرنو وهي منطقة تقع غربي تشاد، فأقدم من ذكر اسمها العمري (يكتب في سنة ٧٣٨هـ)، في كتابة «التعريف بالمصطلح الشريف». هذا ويلاحظ أن العمري لم يذكر مملكة البرنو في موسوعته الكبرى «مسالك الأبصار في ممالك الأمصار»[2].

وغربي الكانم في مقابل المغرب الأقصى تقع بلاد كوكوا ومالي وغانة والتكرور ويصف ابن بطوطة في رحلته (منتصف القرن الثامن الهجري/ ١٤م)، إلى بلاد السودان، ذلك الطريق الذي سلكه من أيوالاتن (ولات – بير) إلى مدينة مالي، حاضرة ملك السودان، وصفا دقيقا.

---

(١) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، طبعة بيروت، جـ١، ص ١٩٣.

(٢) العمري، التعريف بالمصطلح الشريف، طبع مصر، ١٣١٢، ص ٢٨، يقول عن صاحب البرنو: «بلاده تحد بلاد ملك التكرور، (مالي)، في الشرق، ثم يكون حدها في الشمال بلاد صاحب افريقية ومن الجنوب الهمج».

هذا وقد تعرض العمري لمملكة البرنو أيضا في «التعريف» عند كلامه عن (ملك التكرور) قال: «وهو صاحب مالي ... وحد مملكته في الغرب البحر المحيط، وفي الشرق بلاد البرنو وفي الشمال جبال البربر وفي الجنوب الهمج».

هذا وقد نقل عمر بن ادريس قاعدة بلاده إلى برنو ومنذ ذلك الوقت اصبح اسم مملكة الكانم معروفا بها.

وفي غرب تشاد لازالوا يسمون الكانوري Kanuri باسم برنو، وبدون شك فان تكوين from برنو هو لاشكال برن Baran وبرم Baram وهي جمع بر وتعني رجل ذكر Male، ومحارب Warrior في بعض اللغات الصحراوية. Palmer, Bornu Sahara and Soudan. London, 1936,p,6.

الطريق من أيوالاتن إلى مالى :

والمسافة بين أيوالاتن ومالى (نيني)، يقطعها المسافر المجتهد فى أربعة وعشرين يوما، وتلك الجادة يوجد بها الكثير من الأشجار (وذلك يسميها ابن بطوطة بالغابة). وهى أشجار عظيمة العمر وضخمة بحيث نستطيع القافلة بأكملها أن تستظل بظل أحداها، وبعضها لا أغصان لها ولا ورق، مع ذلك فالظل الذى يلقيه جسمها يكفى بحيث يستظل به إنسان. ورغم أن المياه غير موجودة فى هذه المواضع، إلا أنها كانت توجد فى أماكن ماكان يظن أن تكون فيها، من ذلك مايورده ابن بطوطه من أن بعض تلك الأشجار أستأنس داخلها وتجمع فيه ماء المطر، وأصبحت كبئر، يشرب الناس من الماء الذى يوجد فى داخلها[1]، وهكذا فهى تمكن الجماعات من الاستقرار فى أماكن لايكون بها آبار. وفى أشجار أخر يوجد نحل وعسل نحل، يجمعه الناس.

وهناك نوع آخر من الأشجار يشبه الآجاص والتفاح والخوخ

(١) ابن بطوطه، الرحلة، جـ٢، ص ١٩٥، الترجمة الانجليزية لجب، ص ٣٢١ - ٣٢٢ وشجرة الـ Baobab، التى يصل جذعها بسرعة إلى حجم كبير جدا، غالبا مايتم تجويفها صناعيا لتخزين المياه. وهكذا فهى تمكن الجماعات من الاستقرار فى أماكن لايكون بها ابار. وقد ادخلت هذه الاشجار لذلك الغرض إلى السودان الشرقى (كردفان) من غرب افريقية فى القرن الثامن عشر، ولكن وفقا لوصف ابن بطوطه يبدو أن عملية التجويف الصناعية لم تكن قد مورست بعد هناك. الترجمة الانجليزية لرحلة ابن بطوطه، ص ٣٧٨، هامش ٧.

- وهناك رواية يوردها القزوينى، صاحب كتاب آثار البلاد وأخبار العباد، ص ٥٧، تذكر نفس الأشجار ولكن فى الطريق من سجلماسة إلى غانة؟ تقول: «.... وحكى الفقيه ابو الربيع الملتانى أن فى طريق غانة من سجلماسة اليها اشجارا عظيمة مجوفة، يجتمع فى تجاويفها مياه الامطار فتبقى كالحياض، والمطر فى الشتاء بها كثير جدا، وتبقى المياه فى تجاويف تلك الاشجار إلى زمان الصيف. فالسابلة يشربونها فى مرورهم إلى غانة، ولولا تلك المياه لتعذر اليهم المرور اليها.

والمشمش، وفيها أيضا أشجار تخرج ثمرا يشبه الفقوس. ويستخرج من هذه الأرض حب كالفول(١) وعلى بعد عشرة أيام من أيوالاتن توجد قرية زاغرى(٢)، ويستمر الطريق من زاغرى إلى بلدة كارسخو(٣) وهى تقع على النهر الأعظم (النيجر) الذى ربط ابن بطوطة بينه وبين النيل(٤). وقبل الوصول إلى مالى (العاصمة)، يوجد نهر صنصرة وهو على بعد عشرة أميال(٥) منها ويجاز فى المعدية إلى مالى، وهى على مسيرة أربعة عشرة يوما من زاغرى.

---

(١) ابن بطوطه، الرحلة، طبعة التجارية، جـ٢، ص ١٩٥. Voyages d'ibn Batoutah, texte arabe accompagné d'un tradution par G. Defremery et le D R B. Sangiunetti, Paris, 1949, tome IV, p, 390.

(٢) ابن بطوطه ر، جـ٢، ص١٩٦، الترجمة الانجليزية لجب، ص ٣٢٢ زاغزى، قرنها دلافوس Delafosse، بديورDioura، وقد اوضح لنا ليبر Lippert انها نفس القرية التى سماها بارث Barth تورسنغه أو سنغا ture- ssangha جنوب شرق باسيكونو أو Bacikounou – الترجمة الانجليزية لرحلة ابن بطوطه ر، ص ٣٧٨، هامش ٩.

(٣) كارسخو اعتبر دلافوس Delafosse انها هىKara- Sakho أى سوق كارا «قرية من وتواجه ناحية كونجوكوروKongokuru الحالية، على الضفة الشمالية من النيجر على مسافة شمال كارا Kara ، جب الترجمة الانجليزية لرحلة ابن بطوطه، ص ٣٧٨، هامش ١٢.

(٤) ربط ابن بطوطه بين النيجر والنيل. (ربما عن طريق بحر الغزال) فابن بطوطه على الاقل كان يعتنق اقل وجهتى النظر خطأ التى كان معتقدا فيهما قبل اكتشافات منجو باركMungo Park والادريسى، يتبعه ليون الافريقى وكثير من الجغرافيين الاوروبيين الاوائل (القدامى) تخيلوا أن النيجر ينساب غربا (ناحية الغرب) وقرنوه بنهر السنغال. الترجمة الانجليزية لرحلة ابن بطوطه، ص ٣٧٩، هامش ١٧.

(٥) ابن بطوطه، جـ٢، ص ١٩٧، الترجمة الانجليزية ، ص ٣٢٣.

اسم صنصرة الذى اطلقه ابن بطوطه على مجرى يقع على بعد ١٠ أميال شمال مالى، وجد بارث Barth. ان الاسم لايزال يطلق على الرافد الصغير الذى يتصل بالنيجر تحت نياميا Niamina. جب، الترجمة الانجليزية لرحلة ابن بطوطه، ص٣٨٠، هامش ١٩.

الطريق من مالى إلى ميمة :

ومن مالى (العاصمة) يصف الطريق إلى ميمة. فمن مالى يصل إلى خليج كبير يخرج من النيل (النيجر)، لايعبر إلا فى المراكب، وذلك المكان يمتلئ بالبعوض، ولايستطيع أحد أن يمر بهذا الموضع إلا بالليل. ثم قرية قرى منسا[1] ويستمر الطريق من قرى منسا إلى ميمة[2]، فى منطقة يتوفر فيها الماء فى آبار خارجها.

يلى ذلك مدينة تنبكتو وبينها وبين النيل (النيجر) أربعة أميال[3]، ومنها أبحر ابن بطوطة فى النيل (النيجر) نزولا من تنبكت إلى كوكو التى يصفها بقوله : «وهى مدينة على النيل من أحسن مدن السودان، وأكبرها وأخصبها فيها الأرز الكثير، واللبن والدجاج، والسمك، وبها الفقوس العنانى الذى لانظير له .....»[4]. ثم يتحدر النيل (النيجر)، من كوكو إلى «مولى»[5] وهى

---

(١) ابن بطوطه، الرحلة، طبعة التجارية، جـ٢، ص ٢٠٦، الترجمة الانجليزية لجب، ص ٣٣٢. قرى منسا حدد دلافوس Delafosse موضعها قريبا من قريتى كوكرى Kokri ومسمن Massamane الحاليتين، شمال شرق سنسندغ Sansanding. وليس بعيدا من المكان السابق الذى حط فيه ابن بطوطه فى كارسخو. جب، الترجمة الانجليزية لرحلة ابن بطوطه، ص٣٨١، هامش ٢٩.

(٢) يبدو أن ميمة كانت احدى المدن الرئيسية فى المنطقة التى ذكرها ابن بطوطه اعلاه، تحت اسم زاغة. وفى العصور اللاحقة فان هذا الاسم قد اطلق على المنطقة اعلى البحيرات (وربما كانت تحتوى البحيرات ايضا، وطبقا لبارث Barth فان موضع ميمة لايزال موجودا، برغم انه اصبح قفرا، على بعد أميال قليلة غرب Lere جب، الترجمة الانجليزية لرحلة ابن بطوطه، ص ٣٨١، هامش ٣٠.

(٣) ابن بطوطه، الرحلة، جـ٢ ص ٢٠٦ الترجمة الانجليزية، ص ٣٣٣.

(٤) ابن بطوطه، الرحلة جـ٢ ص ٢٠٧، الترجمة الانجليزية لجب، ص ٣٣٤.

(٥) ومولى على مايبدو وهى الاقليم الذى اصبح اسمه فيما بعد مورى Muri على الضفة الشمالية للنيجر قرب Niamey وكانت Qumbri تشغل الضفة المقابلة (وربما كانت Qumburni التى تكلم عنها ابن بطوطه). جب، الترجمة الانجليزية لرحلة ابن بطوطه، ص ٣٧٩، هامش ١٤.

مدينة من بلاد الليميين[1] وهى أخر عمل فى دولة مالى[2].

نيل السودان :

مما تقدم رأينا أن ابن بطوطة يسمى نهر النيجر فى قلب السودان الغربى بالنيل وكان النيل هو نهر السودان، وهو مفهوم كلمة النيجر باللاتينية. والحقيقة أن النيل يعتبر العمود الفقرى لوحدة البلاد بالنسبة لتصور الجغرافيين العرب. فبلاد السودان - بالرغم من التسميات والتقسيمات المختلفة التى ذكرت فيما سبق - بلاد واحدة والنيل هو عامل الربط بينها جميعاً من الشرق إلى الغرب.

ولابأس من الإشارة إلى أن بعض الجغرافيين المسلمين قالوا بوجود نيل شرقى ونيل غربى. ويقول الأدريسى (الذى ينقله ابن خلدون فى المقدمة فى الفصل الخاص بالجغرافيا)، أن النيل يخرج من جبل عظيم خلف خط الاستواء يسمى جبل القمر، وهذا الجبل يخرج منه عيون كثيرة فيصب بعضها فى بحيرة وبعضها فى أخرى، وتخرج أنهار من البحيرتين، فتصب كلها فى بحيرة واحدة (يسميها ابن سعيد الذى ينقله أبو الفدا) بحيرة كورى[3]، ويخرج من هذه البحيرة نهران، يذهب أحدهما إلى ناحية

---

(١) الليميون عند ابن بطوطه، (اعتبرهم دلافوسDelafosse , Marquart سكان منطقة (اقليم) كب. ولكن هناك بالرغم من ذلك مايمكن ان يرجح وجهة نظر Cooley من أن الليميين مرادفة للملم الذين ذكرهم الجغرافيون العرب الاخرون. جب، الترجمة الانجليزية لرحلة ابن بطوطه، ص ٣٧٩، هامش ١٥.

(٢) ابن بطوطه، الرحلة، جـ٢، ص ١٩٦، الترجمة الانجليزية لجب، ص ٣٢٣.

(٣) ابو الفدا، تقويم البلدان، ص ١٥١، ص ١٥٤-١٦٣ يقول نقلا عن ابن سعيد: البحيرة (اى بحيرة كورى)، (تشاد) فى وسط افريقية، هى التى يخرج منها نيل مصر ومصبه البحر الشامى بحر الروم (البحر المتوسط)، ونيل مقدشو ومصبه فى البحر الهندى (المحيط الهندى)، ونيل غانة ومصبه فى البحر المحيط.

الشمال، ويمر ببلاد النوبة. ويسمى نيل مصر، ويذهب الآخر ناحية المغرب إلى أن يصب في البحر المحيط وهو نهر السودان (نيل السودان)[1] وهو يشبه النيل في زيادته ونقصانه وفلاحة أراضية[2]، وربما كان هذا التشابه هو السبب في تسميته بالنيل.

وهكذا لم يفرق الكتاب العرب بين نهرى النيجر والسنغال بل أطلقوا عليهما معا اسم نيل السودان. ولكن الحسن الوزان يعتبر المؤلف الوحيد الذى ذكر نهر النيجر في كتابة «وصف أفريقية» ، وفي ذلك يقول «في وسط أرض السود يمر نهر النيجر، الذى يبدأ من صحراء تسمى سو Seu حيث يخرج مر بحيرة كبيرة، وطبقا لما يؤكده الجغرافيون عندنا فان النيجر هو فرع من النيل حيث يختفي تحت الأرض ثم يخرج منها ثانية ليكون البحيرة[3].

---

(١) ابن خلدون، المقدمة، طبعة التجارية، ص ٤٧-٤٨ ، الترجمة الانجليزية لروزنتال ص ١٠١ . اما العمرى في «مسالك الابصار» فيقول عن النيل « .... وحدثني الشيخ الثبت سعيد الدكالى (وهو ممن أقام بمالى خمسا وثلاثين سنة، مضطربا في بلادها، مجتمعا بأهلها، قال، «المستفيض ببلاد السودان أن النيل في أصله ينحدر من جبال سود تبان على بعد كأن عليها الغمائم. ثم يتفرق نهرين: يصب احدهما في البحر المحيط إلى جهة بحر الظلمة الجنوبي، والأخر يصل إلى مصر حتى يصب في البحر الشامي».

قال الشيخ سعيد الدكالى : «ولقد توغلت في اسفارى في الجنوب مع النيل فرأيته متفرقا على سبعة أنهر، تدخل في صحراء منقطعة ثم تجتمع تلك الأنهر السبعة وتخرج من تلك الصحراء نهرا واحدا مجتمعا. كلا الرؤيتين في بلاد السودان. ولم اره لما اجتمع بالصحراء لاننا لم ندخلها، اذ لم يكن بنا حاجة إلى الدخول إليها.

- العمرى، مسالك الابصار في ممالك الامصار، نشر وتحقيق أحمد زكى، طبعة دار الكتب، ١٣٤٢هـ / ١٩٢٤ م، جـ١ ، ص ٧٠ - ٧١.

(٢) الدمشقي، نخبة الدهر ، ص١١٠.

(٣) ليون الافريقي، «وصف افريقية» بالفرنسية، جـ١ ، ص ٥ يقول النص

"Au milienw . la terre des Noirs passe le fleuve Niger qui commencé dans un desert appelé seu, et ou il sort d'un grand lac. d'aprés ce qu' affirment nos geographes, le Niger est une branche du Nil qui se perd sous la terre et en ressort pour former ce lac.

وحتى مطلع القرن التاسع عشر كانت افريقية كلها غير معروفة الا قليلا حتى لقد انشئت سنة ١٧٨٨ في انجلترا (جمعية تشجيع الكشف داخل افريقية). وقد اتجهت العناية أولا إلى حل مشكلة =

النيجر، وقدم منحو بارك عن طريق السنغال وغمبيا للوصول إلى باماكو، وانفق عدة أشهرتعلم خلالها الماندنجو لغة أهل البلاد. وعقب ذلك انضم إلى مجموعة من تجار الرقيق وسار معهم فى اقليم غامبيا على طول مجرى النهر إلى أن وصل إلى بيسانيا Pisnnia، وهى مركز تجارى كان يقع على غمبيا على بعد ٢٠٠ ميل من النهر، ومنها استمر فى طريقه شرقا، بعد أن تغلب على كثير من الصعوبات وفى ٢٠ يوليو ١٧٩٦، وصل إلى مدينة سيجو Segu عاصمة البمبر، حيث رأى النيجر، الذى يصفه بهذه الكلمات: « رأيت بسرور لانهائى الهدف الأساسى من بعثتى، يتمثل أمامى فى عظمة النيجر، الذى يتلألأ مع شمس الصباح، والذى يبلغ عرضه مثل عرض نهر التيمز Thames عند وست منستر West munster . والذى يتدفق ببطء ناحية الشرق... أن تدفق نهر النيجر ناحية الشرق .. لم يثر دهشتى حيث كنت مترددا كثيرا بصدده منذ تركت أوربا، ذلك رغم أننى كنت أفضل دائما الاعتقاد بأنه يجرى فى الاتجاه المضاد ، ولذلك فقد كنت اعدد الاستعلام عن هذا النهر، خلال تقدمى، وقد تلقرت من سودان Negroes من أمم مختلفة، تاكيدا واضحا أن المسار العام لهذا النهر ناحية شروق الشمس، الامر الذى لم يترك فى ذهنى أى شك ...» ومن سيجو Segu اتجه بارك إلى Silla حيث انهى رحلته هناك، وقرر العودة، ويصل إلى قرية كمليا Kamalia، فى الحوض الأعلى لنهر السنغال.... ومن Kamalia انضم بارك إلى قافلة من تجار الرقيق واتخذ طريقه إلى ساحل غرب افريقية ليصل من هناك إلى انجلترا، وقد قوبل عند عودته بفتور شديد – فنشر جيمس رنلJames Rennel كتابا بعنوان رحلات Travels ناقش فيه «انه من المستطاع التكهن ان نهر النيجر أو كما يسمى نهر جوليبا Joliba ينتهى إلى بحيرات فى الجزء الشرقى من أفريقية وأن هذه البحيرات تقع فى غانة وونجارة، ولهذا قرر بارك أن يذهب إلى منطقة ونجارة التى تبعد ١,٤٠٠ ميل عن سيجو، لرؤية هذه البحيرات، رغم أنه كان يعتقد أن النيجر ماهو الا رافد من نهر الكنغو، وانه يتفرع من النهر الأخير عند مصبه. وعلى أية حال ففى ٤ ماية ١٨٠٥ قام بارك برحلته الثانية ورافقه حوالى ٤٠ شخصا بدأوا رحلتهم من بيسانيا Pisania وشرقوا فى اتجاه النيجر حيث كان يأمل بارك فى الوصول اليه قبل بدء الفصل المطير، غير أن أمله لم يتحقق، ووصل إلى بمباكو Bambakoo فى ١٩ أغسطس بعد أن بقى من رجاله احياء احدى عشر فقط .. ومن سيجو واصل بارك سيره فى نهر النيجر إلى أن غرق هو ورجاله عند جنادل بيسا، بعد أن قام بدور كبير فى كشف نهر النيجر.

وبعد موت بارك لم تتوقف المجهودات الكشفية لحل مشكلة النيجر. ففى عام ١٨١٦. ارسلت رحلة كشفية ذات شقين للوصول إلى النيجر، احدهما ابحرت عن طريق الكنغو Congo تحت قيادة كابتن Tuckey والأخرى تقدمت شرقا من ساحل غرب افريقية متخذه طريقا بريا وتحت

خيرات البلاد :

غلات معدنية :

التبر :

كان التبر أهم غلة عند السودان «وعليها يعولون صغيرهم وكبيرهم»[(١)] ولكن فى القرن التاسع عشر كانت معادن الذهب تقترب من النفاذ وكان الانتاج ذو قيمة قليلة)[(٢)] . ونسجت الأساطير حول الذهب، وفى ذلك يقول

قيادة كابتن Campbell هذه الرحلة لم تنجح ولم يعد أحد من رجالها، هذا ويجب أن نلاحظ أنه رغم أن خط سير الرحلة السابقة قد وضع على أساس افتراض أن نهر النيجر يصب فى نهر الكنغو الا أنه فى عام ١٨٠٣ قد نشر أحد العلماء الالمان ويدعى رتشارد فى مجلة "Ephémerides" رأيه وهو يتضمن أن نهر النيجر يصب فى خليج غانة وأن (Geographiques) الانهار الموجودة على هذا الساحل والمعروفة باسم Oil rivers ماهى الا فروع لدلتا هذا النهر.

- وفى عام ١٨٢١ قام كابتن كلابرتون Clapperton ودنهام Denham واودنى Audney برحلة من طرابلس واتجهوا فيها إلى السودان مع قافلة من التجار. ومن هناك رحل كلا برتون عام ١٨٢٤ إلى بحيرة تشاد حيث أثبت أن نهر النيجر لايصب فيها، كما قام بعدد من الرحلات فى منطقة سكت Sokoto.

- وعقب ذلك حاول كلابيرتون سنة ١٨٢٥ أن يصل إلى نهر النيجر عن طريق ساحل غانة وفى هذه المحاولة نجح فى الوصول إلى بوسا Busa واستطاع أحد رفقاء كلابيرتون وهو رتشارد لاندر Richard Lander أن يهبط فى النيجر الادنى حتى بلغ خليج غانة سنة ١٨٣٠، وبذلك تأكد لديهم أن النيجر لايصب فى تشاد أو النيل.

H.J. Wood, exploration and discovery, London, 1951, pp, 131-132-133-134-135-136, Bovill the golden trade of the Moors, Chapter 20, p, 208.

ريمون فيرون، الصحراء الكبرى، ترجمة الدكتور جمال الدين الدناصورى، ص ١٢١

(١) الادريسى، صفة المغرب، ص ٨، الترجمة العربية، ص ٩ «والتبر هو الفتات من الذهب والفضة قبل أن يصاغا، فاذا صيغا فهما ذهبا وفضة، والتبرما كان من الذهب غير مضروب فاذ ضرب دنانير فهو عين». ابن منظور، لسان العرب، طبعة بيروت، جـ٤، ص ٨٨

(2)Bovill. The golden trade, p, 201.

ابن الفقيه عن بلاد غانة أنه كان «ينبت فيها الذهب نباتا فى الرمل كما ينبت الجزر ويقطف عند بزوغ الشمس»[1]. هذا بينما يقول نص البيروني : «وقد يضاف إلى ماقلنا من أساطيرا خرفي نبت الذهب في تلك البراري كالخرز وأنه لايعثر عليه إلا عند طلوع الشمس بلمعان شعاعها عليه»[2].

وفى القرن الثامن الهجرى، نجد العمرى (يكتب فى سنة ٧٣٨هـ) ، فى كتابه مسالك الأبصار يذكر نفس الرواية عن نبت الذهب، ولكنه يضيف أن هذا النوع من الذهب يوجد فى وقت الربيع عقب هطول الأمطار حيث ينبت فى مواقعها، وله ورق شبيه بالنجيل أصوله التبر[3].

ورغم عدم صحة هذه الرواية، فهى تعبر عن كثرة الذهب فى بلاد غانة التى أطلق عليها الكتاب اسم «أرض الذهب» أو «معدن الذهب».

وتطورت الرواية عن النباتات التى تمنح الذهب فى ألف ليلة وليلة، وفى ذلك تقوم الرواية وصل Boluqqiya إلى جزيرة صغيرة يبدو أن سهلها وجبلها مكونان من البلور. ورأى فيها العروق التى يصنع منها الذهب، وأشجار غريبة لم ير مثلها أبدا فى رحلاته، وكانت لزهورها لون الذهب. ورسا Boluqqia فى هذه الجزيرة، وتنزه فيها حتى المساء، وعندما هبط الظلام، أخذت زهور الجزيرة تلمع مثل النجوم. وسحر Boluqqiya بما يراه على هذه الجزيرة وقال: «أن

---

(١) ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، طبع ليدن سنة ١٣٠٢ ، ص ٨٧، ياقوت، معجم البلدان، جـ١ ، ص ٨١٢، القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، طبعة بيروت سنة ١٩٦٠ ، ص ١٨ .

(٢) البيروني، كتاب الجماهر فى معرفة الجواهر، طبعة حيدر أباد الدكن ١٣٥٥هـ، ص٢٤٠.

(٣) العمرى، مسالك الابصار بالترجمة الفرنسية، لديموميين ص ٧٠ - ٧١، القلقشندى، صبح الاعشى، جـ٥. ص ٢٨٩- ٢٩٠

زهور هذه الجزيرة هي تلك التى عندما تجففها الشمس وتسقط على الأرض وتحملها الريح تتجزأ تحت الحجارة، وتصبح أكسيرا، وعند ذلك يجمعونها ويصنعون منها الذهب[1]. أما الرواية السودانية - التى أمدنا بها السحرة كمايقول دلافوس Delafosse فهي تتكلم عن أمطار من الذهب جعلها تسقط على وكد ثعبان كمب المقدس[2]. وتوجد معادن التبر (فى غانة)، حول مدينة كوغة، وهذه المدينة كما يقول البكرى هى «أكثر بلاد السودان ذهبا»[3]. ويوجد أيضا فى مدينة غيارو[4]. وببلاد الفروبين أيضا معادن الذهب، ترابه أحمر، ويستخرج كما يستخرج الحديد والرصاص والنحاس والفضة[5]، حيث يحفر فى معادن الذهب الحفرة عمق قامة أو مايقاربها بها فيوجد الذهب فى جنباتها، ربما يوجد مجتمعا فى سفل تلك الحفاير[6].

ويوجد التبر فى ونقارة، وهى كما وصفها الأدريسى، جزيرة طولها ٣٠٠ ميل وغرضها ١٥٠ ميل يحيط بها النيل من كل جهة (وكان نيل الأدريسى يسير من الشرق إلى الغرب وكان يشبه بالتأكيد نهر السنغال)[7]، وفى شهر أغشت (أغسطس)، عندما ترتفع حرارة الشمس، ويفيض النيل، يغطى هذه الجزيرة لمدة معينة، ثم يأخذ النيل فى الإنحسار والجزر، والظاهر أنه عندما تفنر

---

(١) العمرى: مسالك الابصار، الترجمة الفرنسية لديموميين.
Additions, p, 253, p, 71, note 2.
(2) Delafosse, Les Negres, 1927, p, 69.
(٣) البكرى، المغرب، ص ١٧٩، الاستبصار، ص ٢٢٢.
(٤) البكرى، المغرب، ص ١٧٦، الاستبصار، ص ٢٢١.
(٥) الاستبصار، ص ٢١٩.
(٦) العمرى: مسالك الابصار، المخطوط، ص ١١٠، القلقشندى، صبح الاعشى جـ٥، ص ٢٨٩ - ٢٩٠.
(7) Bovill, the golden trade of the Moors,p, 194.

قوة الماء الحامل للذهب باقترابه من المستواة فيعجز عن حمله ويخليه للرسوب كما يفهم من رواية البيرونى[1]، ويأتى الناس من بلاد السودان إلى تلك الجزيرة يبحثون عن التبر الذى تركته المياه خلفها، ويبقون هناك حتى يرتفع الماء من جديد[2].

ويرجح المحدثون أن تكون ونجارة الأدريسى هى حقول الذهب فى بامبوك وبيط، وحقول الذهب هذه لاتقع على جزيرة ولكن البلاد التى توجد فيها تقطعها الأنهار من جهات كثيرة، فى الشمال السنغال وفى الغرب الفلمة وفى الشرقة النيجر، وفى الجنوب التينكسو Tinkisso حتى أنها تصبح قريبة جدا من كونها جزيرة. ولايزال الذهب يستخرج بانتظام بين أرتفاع وانخفاض الفيضانات من يناير حتى مايه تماما كما وصف الأدريسى وأخيرا فان جزءا من البلاد لايزال يطلق عليه جنجارة Gangara جونجارة Gwangara، جبنجارة Gbangara أو جنجارم Gangaram[3].

(١) البيرونى، كتاب الجماهر فى معرفة الجواهر، الطبعة الأولى حيدر أباد الدكن سنة ١٣٥٥، ص ٢٣٦ (فى ذكر اخبار الذهب ومعادنه).

(٢) الادريسى، صفة المغرب، ص ٨، الترجمة الفرنسية، ص ٩.

ويذكر العمرى فى كتاب «التعريف بالمصطلح الشريف»، ص ٢٧، رواية عن الذهب شبيهة بما ورد فى الادريسى، يقول: «ونبات الذهب بها (اى بمالى)، يبدأ فى شهر أغشت (أغسطس) وذلك عند أخذ النيل فى الارتفاع والزيادة فاذا انحط النيل تتبع حيث ركب عليه من الأرض فيؤخذ منه ماهو نبات يشبه النجيل وليس به فمن قرامبه الذهب ومنه مايوجد كالحصى والأول افحل واخلص واقوم فى العيار».

(2) Bovill, the golden trade of the Moors, p, 194.

وضع ليون الافريقى ونجارة فى الهوسا. كتب جونجارة Guangara تصاقب من أعلى من ناحية الجنوب الشرقى زنفارة Zanfara وهى مأهو له بالسكان، ويوجد ملك يحكمها بمعلك حامية من سبعة الاف من الرماة وخمسة الاف من الفرسان، وهو يحصل على دخل كبير من التجار ومن الضرائب التجارية.

وينطبق أيضا على بامبوك - بيط Bamhuk-Bure ماسرده لنا الكتاب المتقدمين عن التجارة. فالسنغال يملأ جميع الاشتراطات الى توفرت فى النهر الذى كان مسرحا للتجارة الصامتة Silent trading وكان النساء يحصلن على الذهب من حفر لايمكن أن تكون إلا مكامن فى الأرض قال ياقوت (توفى

- وقد يعني هذا أن ونجارة كانت جنوب شرق زنفارة أو أن زنفارة كانت جنوب شر نجارة. وهذا لعدم وضوح قد حير الكارتوجرافيين الذين قرأوه بعضا منهم بالطريقة الأولى والبعض الآخر بالطريقة الثانية. ولكن الجميع حتى نهاية القرن الثامن عشر وضعوا ونجارة فى الهوسا، على بعد مئات من الأميال شرق المكان الذى تنتمى إليه، وهكذا فانهم عمقوا جوانب الغموض الذى كان يحيط بشخصية ونقارة.
- ولكن ليون كان لديه أكثر من ذلك ليقوله عن ونقارة كتب يقول: كان سكانها أغنياء جدا وكانت لهم تجارة مستمرة مع البلاد المتاخمة، وكانت تقع إلى جنوبهم منطقة وفيرة بالذهب حتى أن تجار جونجارة Guangara كانوا غالبا يرتحلون إلى هذه المنطقة الوفيرة بالذهب، ونظرا لأن الطرق كانت قاسية وصعبة حتى أن جمالهم كانت لاتستطيع أن تخترق هذه الطرق لانهم كانوا يحملون سلعهم عل ظهور العبيد. وتأكيد ليوعلى غنى ونجارته Wangara يدل على أنه كان يعتقد انه يصف ونجارة الادريسى: ولكن كان هناك فرقا. بينما كانت الأخيرة (أى ونقارة الادريسى) منتجة للذهب فان ونجارة ليوكانت تحصل على ذهبها من الجنوب، (كما قال آخرون) بلاد «القباب».
- ونظرا لان ليون قد جاء من الغرب، حيث رأى جزءا كبيرا من تجارة الذهب، فان وضعه لونجارة حيث وضعها مدهش حقا. ومن المحتمل أن الخطأ قد نشأ من ازدواج معنى اسم ونجارة، ومن اطلاقها على شعب وعلى بلد معا. وفى الهوسا فقد كانت هناك جاليات من الماندنجوMandingoes كانوا يعرفون محليا باسم ونجارة أو ونجراوة Wangarawa وفى القرن التاسع عشر طبقا لبارث Barth فانهم كانوا التجار الاساسيين فى كتسينا Katsina وهى ليست بعيدة عن زنفارة، وربما كانوا ناسا مهمين فى عصر ليو، وعندما كان ليوفى زنقارة ربما سمع عن جالية من الونجارة أو المادنجو فى مكان ما إلى الجنوب الشرقى كانوا يتاجرون فى الذهب الذى يوجد فى هذه الانحاء، خصوصا فىGwari وربما قاده هذا إلى الاعتقاد انه كان مجاور الونجارة الادريسى

Bovill, the Golden trade of the Moors chapter 19, (Wangara) pp. 198-200.

ليون الافريقى بوصف افريقية، بالفرنسية، جـ٢، ص ٤٧٨-٤٧٩.

سنة ٦٢٦ هـ/ ١٢٢٩ م)، أن أصحاب المعادن يسكنون فيها[1].

غلات زراعية :

الأبنـــوس :

ويوجد بغانة كما يقول البكرى الأبنوس الجيد المجزع، وهو أكثر نبات أرضهم ومنه يحتطبون[2].

ويذكر محمود كعت صاحب «تاريخ الفتاش» أنه يوجد في أرض مملكة مل «شجرة كور التى لاتوجد مثلها فى الأرضين من التكرور إلا أرض برك[3]، ووجدت كذلك فى أرض سنغى شجرة كنكو ويستخدم خشبها فى البناء[4].

وإلى جانب ذلك وجد أيضا ببلاد السودان شجرة طويلة الساق دقيقة تسمى تورزى (توريرى عند صاحب الاستبصار)، وهى تنبت فى الرمال، ولها ثمر كبير منتفخ، داخله صوف أبيض، تصنع منه الثياب والأكسية، ولاتؤثر النار

---

(١) Bovill, op, cit, pp, 194 - 195. ياقوت، معجم البلدان، جـ١، ص ٨٢١.

(٢) البكرى ، المغرب ، ص١٧٧ ، «والابنوس شجر كقطعة حجر على رأسه نبت أخضر وخشبه صلب جدا لايقف على الماء بل يرسب وهو أشبه خشب بالحجر. قال الشيخ الرئيس اذا وضعته على الحجر فاحت منه رائحة طيبة ويجلو الغشاوة والبياض اذا حل بماء واكتحل به واذا احرقت نشارته على طابق ثم غسلت واكتحل به ينفع من الرمد اليابس وجرب العين وقال غيره ينفع من حرق النار ويحل نفخ البطن والله الموفق. القزوينى، عجائب المخلوقات والحيوانات وغرائب الموجودات، هامش على كتاب حياة الحيوان الكبرى للدميرى، طبعة سنة ١٩٦٣، جـ٢، ص ٤.

(٣) محمود كعت، تاريخ الفتاش، ص ٣٩، والترجمة الفرنسية لدلافوس وهوداس، ص ٦٧.

- كور: وهو اسم اعطى لجوز الكولا فى عديد من لهجات السودان وخاصة فى سنغى تاريخ الفتاش الترجمة الفرنسية، ص ٦٨، هامش ٥.

(٤) السعدى، تاريخ السودان، ص ١١٠.

فيما صنع من ذلك الصوف من الثياب[1].

الرقيـــق :

يعتبر الرقيق من أهم حاصلات السودان. (وعن الرقيق - الخدم) انظر فيما بعد الفصل الخاص بانتشار الإسلام فى بلاد السودان.

---

(1) البكرى، المغرب، ص ١٧٩.

الفصـــل الثـانى

أ- سكان الصحراء.

ب- سكان السودان.

الفصل الثانى

أ - سكان الصحراء

السودان

المفروض أن سكان الصحراء من العناصر البيضاء (البربر). لكن المعروف تاريخيا أن الصحراء وواحاتها كانت منذ أقدم العصور، معموره بجماعات من الأحابش (الأثيوبيين) المخلطين[١] وهم السودان حسب تفسير بعض المحدثين[٢].

وهم أناس أصحاب بشرة ضاربة للسواد Aū visage brulé نتيجة لعامل البيئة، إذ أسودت بشرتهم بفعل حرارة الشمس. وهم من نحاتى الصوان المهرة، ويقومون بزراعة النخيل فى الواحات[٣]، وكانوا يعيشون فى ظل مناخ قاس فيما يبدو ومثل اليوم[٤]. ويبدو أنهم كانوا يقطنون السفح الجنوبى للأطلس ويريد البعض العثور على أحفادهم فى الجماعة المعروفة بالحراتين "Harratin" فى واحات الغرب، وكانت بينهم وبين البيض (البيضان) علاقات وثيقة[٥]. وكان هذا العنصر يسكن مورطانية[٦] بأجمعها من أول Tiris وكدية أجيل Kediat

(1) Julien, Histoire de L'Afrique du Nord, Paris, 1915, p. 160, H. Terrasse, Histoire du Macoc, tome I, p. 2 II.

(٢) أ.د سعد زغلول، تاريخ المغرب العربى، ص ٥٤.

(٣) جوليان، تاريخ شمال افريقية، بالفرنسية، ص ١٦٠.

(٤-٥) De la chapelle, Esquisse d'une histoire du sahara occidental, Hespéris, tome XI, 1930, Fax I-II, p, 39. حرتانى Hartani ، وجمعها حراتين Hraten اسم اعطى لسودان واحات جنوب مراكش André Adam, le costume dans quelques trihus de L'Anti-Atlas, Hespéris, p. XXXIX anneé 1952, 3-4 trimestres, p. 482.

(٦) مورطانية: اسم يطلق على اقاليم المغرب الاقصى الخاضعة للدولة الرومانية (ويقول البكرى ان اسم طنجة مورطانية) أ.د سعد زغلول، تاريخ المغرب العربى، ص ٢٢، البكرى، المغرب، ص ٢١.

ijjjil[١] ، والحوض[٢] ، ووثنية النيجر.

غزو البربر الرحل الصحراء :

صنهاجة أهل اللثام. :

ويعتبر بربر صنهاجة الملثمون من أقدم سكان الصحراء، وقد أصحروا عن الأرياف - تبعاً للنصوص العربية - والعمران، وهجروا التلول منذ دهور قبل الفتح الإسلامي[٣] وسكنوا القفر وراء الرمال الصحراوية بالجنوب، «صاروا، ما بين بلاد البربر وبلاد السودان حجزا»[٤]. (ونكتفي بهذه الإشارة هنا إلى صنهاجة سنعالجها فيما بعد).

هذا ويحدد الكتاب المحدثون بناء على ذلك سكنى البربر، أهل البلاد حاليا في الواحات والصحراء بالعصر الروماني بعد أن احتلت روما البلاد، ومع توسع الاستعمار الروماني الذى استولى على الأرض الخصبة فى الشمال مما ترتب عليه التجاء البربر إلى الأقاليم الجنوبية الفقيرة فى الصحراء، وذلك ابتداء من أواخر القرن الثاني الميلادى[٥].

---

(١) «منطقة شمال وشمال غرب ادرار». De la chapelle, p, 36, note 2. الكدية من الفعل كدا. ويقال كدت الأرض تكدو كدوا وكدوا، فهي كادية اذا ابطأ نباتها.

والكدية الأرض المرتفعة، وقيل: هو كل شيء صلب من الحجارة والطين «لسان العرب»، جـ٥ ، ص ٢١٦.

(٢) عبارة ساحل السودانية تعني المنطقة الواقعة بين السنغال الأعلى والنيجر الأوسط، واقليم الحوض يكون الجزء من الصحراء الذى يقع مباشرة شمال الساحل نفس المرجع السابق، ص ٣٩، هامش٣.

(٣) ابن خلدون ، العبر، جـ٦ ، ص ١٨١ .

(٤) ابن خلدون ، نفس المصدر السابق.

(٥) أ.د. سعد زغلول، تاريخ المغرب العربي، ص ٥٤ - ٥٥.

وكان لانتشار الجمل واستخدامه على نطاق واسع أثره فى إنسيال البربر إلى الصحراء «وتوغل الجمل والبربرى، وأحدهما يحمل الأخر إلى الصحراء. وتغلب الرحل البيض على السود المتوطنين»[1].

وأستوطن البربر بكثرة جماعاتهم من الشمال، الصحراء كلها تقريبا حتى "inchiri"[2]، و "Khat"[3]، والحدود الشمالية للحوض[4] وفيما بعد فتحت هذه الهجرة الطريق أمام قبائل أخرى استطاعت، بفضل عددها، أن تتغلب رويدا رويدا على صحراء المغرب وأن تدفع الوطنيين (atuoctones) نحو الجنوب. ويبدو أن هذا الغزو قام غالبا على طول المحيط، ومن منطقة درعة وتغلغلت نحو الحوض وثنية النيجر[5].

زناتة :

تعد قبائل زناته أيضا من أقدم سكان الصحراء، وزناته «تشبه العرب فى كثير من الشعائر من بينها : سكنى الخيام وإتخاذ الأبل، وركوب الخيل، والقيام بالرحلتين»[6]. ومواطن زناته بشكل عام ببلاد النخيل مابين غدامس والسوس الأقصى، حتى أن عامة تلك القرى الجريدية بالصحراء منهم، وأكثرهم بالمغرب الأوسط حتى أنه ينسب إليهم ويعرف بهم فيقال وطن زناته،

---

(١) جوليان، تاريخ شمال افريقية، بالفرنسية، ص ١٦٠.

(٢) عمر من الأرض الصلبة يتجه من الشمال الشرقى إلى ناحية الجنوب الغربى من تلال الـ Ahchar وتلال الـ Amathich ، ويصل منطقة ادرار بساحل المحيط الاطلنطى إلى ناحية نواكشوط Noukchut نفس المرجع De la chapelle ص ٤٩، هامش ٢.

(٣) منخفض يفصل الادرار وتاجنت، نفس المرجع السابق، ص ٤٩، هامش ٣.

(٤) نفس المرجع السابق، ص ٤٩.

(٥) نفس المرجع السابق، ص ٤٩ – ٥٠.

(٦) ابن خلدون، العبر، جـ٧، ص ٢.

ومنهم بالمغرب الأقصى أم أخرى»[١]

ويوجد بطون منهم في واحات الصحراء، مثل : بنووار كلا، في واركلا (على بعد ثمان مراحل جنوب بسكره في جنوب المغرب الأوسط)، وسكانه في عصر ابن خلدون (القرن ٨ هـ/ ١٤م)، إلى جانب بني واركلا، أعقاب أخوانهم من بني يفرن ومغراوة[٢].

وفي قصور توات (على بعد ثلاثة مراحل قبلة سجلماسة)، وتمنطيت، وتيكارين، وتاسبيبت، وتيكداراربن[٣]، يوجد بنويامدس (وهم بطن من بطون بني وماتوا من زناتة)، وونطغير، ومصاب (بني عبد الواد وبني مرين، وهم أهل عدد وعدة «كما يقول ابن خلدون، وفيهم الرجالة والخيالة، ويعتمدون في معاشهم على بلح النخيل[٤]، وتوجد قبائلهم أيضا في تافيلالت (سجلماسة) حيث توجد قبائل مكناسة[٥] وفي هذه القبائل التجار إلى بلاد السودان.

اليهـــود :

إلى جانب صنهاجة اللثام، وزناتـــة، وجد اليهود أيضا في الصحراء. وتاريخ اليهود في بلاد المغرب غير واضح تماما. ونعرف عن طريق المصادر الرومانية وجود بعض الجماعات اليهودية في برقة على وجه الخصوص بين القرنين الأول والثاني للميلاد[٦].

(١) ابن خلدون، العبر، جـ٧، ص ٢.

(٢) ابن خلدون، العبر، جـ٧، ص ٥١.

(٣) ابن خلدون، العبر، جـ٧، ص ٥٩.

(٤) ابن خلدون، العبر، جـ٧، ص ٥٧.

(٥) ابن خلدون، العبر، جـ٧، ص ١٢.

(6) Fage, An introduction to the history of west Africa, Cambridge, 1962, p. 13.

وعندما فتح العرب شمال أفريقية فى القرن الأول الهجرى (السابع الميلادى)، وجدوا الجماعات اليهودية فى جادوا[١]، وفى قابس[٢]، واجد ابيه وأهلها الغالب عليهم اليهود كما يقول الأدريسى[٣]، وفى أغمات إيلان[٤]، وفى سجلماسة[٥].

ونجد فى الروايات التاريخية، مكان مرموق لليهود، إذ اهتم الرواة والمؤرخون باليهود فجعلوا لهم مكانة كبيرة فى الصحراء، فى واحات توات، وتمنطيت (تمنطيطة لدى أحمد بابا)[٤] وفى وادى درعة، ووادى نون[٥].

صنهاجة (أهل اللثام) :

أشرنا فيما سبق إلى أن بربر صنهاجة من أقدم سكان الصحراء، وقد تعددت قبائلهم من كدالة (جدالة)، ولمتونة[٦]، ومسوفة[٧]، وتريكة وتاوكا وزغارة ثم لمطة[٨]، مسراته[٩]، وسمسطة، وشرطة[١٠]، وازواد وبنى وارث،

(١) الاستبصار، ص ١٤٤.
(٢) ابن حوقل، صورة الأرض، جـ١، ص ٧٠.
(٣) الادريسى، صفة المغرب، ص ١٣٢.
(٤) الادريسى، نفس المصدر، ص ٦٩، ابو الفدا، تقويم البلدان، جـ١، ص ١٢٤.
(٥) البكرى، المغرب، ص ١٤٨، الاستبصار، ص ٢٠٢.
(6) De la chapelle, Histoire du sahara occidental, p, 52.
«وقام بحركة الجهاد ضد اليهود فى توات وتمنطيت فى القرن التاسع الهجرى / ١٥ م الإمام العالم محمد بن عبد الكريم المغيلى، وأمر جماعة «فلبسوا الات الحرب»، واتجهوا إلى كنائس اليهود فهدموها، وكان من يقتل منهم يهوديا يعطيه سبع مثاقيل».
احمد باب التنبكتى، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، هامش لكتاب الديباج المذهب فى معرفة اعيان المذهب لابن فرحون، طبع مصر، ١٣٢٩هـ، ص ٣٣٠-٣٣١.
(6)De la chapelle, Histoire du sahara occidental, p, 52.
(٧) ابن خلدون، العبر، جـ١، ص ١٨١ (ابن حوقل يكتبها فى شكل لموتونا) صورة الأرض جـ١ص ١٠٥.
(٨) البكرى، المغرب، ص ١٤٩، ابن حوقل، صورة الارض، جـ١، ص ١٠١ (يكتبها فى شكل بنو مسوفا).
(٩) ابن الاثير، الكامل فى التاريخ، طبعة التجارية، جـ٨، ص ٧٤.
(١٠) ابن حوقل، صورة الأرض، جـ١، ص ١٠١ -١٠٥.

وجزوله[1]. وبني نيتسر[2].

وقبيلة لمتونة أهم هذه القبائل، وفيهم بطون كثيرة، منهم بنو ورتنطق وبنوصولان وبنوناسجة[3]، وهم ظواعن رحالة، وكانت مواطن لمتونة الأولى في أقاليم تاجنت ومنطقة أودغست (أودغشت)[4]. وعن هذا الطريق قامت هذه القبائل بعد سنة أربعين وأربعمائة بجهاد السودان المجاورين وحملهم على الإسلام[5]. وكانت قبيلة جزولة ولمطة، تسكن المنطقة التي تمتد من وادي سوس إلى مدينة نول لمطة[6]. ويبدو أن مجالاتهم كانت تمتد على الطريق الموصل من تامدلت إلى أودغست[7] في الصحارى المجاورة للبحر المظلم (المحيط الأطلنطي[8])

وكانت قبيلة جدالة رحالة مابين ادرار مورطانية الاطلنطي (البحر المحيط[9])، ولذلك فهي أقرب القبائل إلى غانة وصنغانة[10].

---

(١) ابن حوقل، صورة الأرض، جـ١، ص ١٠١-١٠٥

(٢) البكري، المغرب، ص ١٥٧، ابن حوقل، جـ١، ص ١٠٥.

(٣) البكري، المغرب، ص ١٦٤.

(٤) ابن خلدون، العبر، جـ٦، ص ١٨١.

M. Delafosse, les Noirs de L'Afrique, p, 46.

(٥) البكري، المغرب، ص ١٦٤، ابن خلدون، العبر، جـ٦، ص ٢٠٠.

(٦) البكري، ص ١٦١، الاستبصار، ص ٢١٢، «مدينة نول لمطة من بلاد السوس، وهي مدينة كبيرة في أول الصحراء على نهر كبير يصب في البحر المحيط، وسميت نول لمطة لان قبيلة لمطة يسكنوها، ومنها إلى وادي درعة نحو ٣ مراحل». الاستبصار ص ٢١٣، البكري، المغرب، ص ١٦١-١٦٢، الادريسي، صفة المغرب، ص ٦٠.

(٧) البكري، المغرب، ص ١٥٧.

(٨) الادريسي، صفة المغرب، ص ٥٨.

(٩) البكري، المغرب، ص ١٦٤، Delafosse, les Noirs de L'Afrique, p, 46.

(١٠) البكري، المغرب، ص١٧٢.

وأما قبيلة مسوفة فتمتد مواطنها بين أودغست في الجنوب وسجلماسة في الشمال[١]، في صحراء موحشة مقفرة[٢]، قليلة الماء ليس لهم مدينة يأوون إليها إلا وادى درعة[٣] والملثمون كانوا يعتمدون في معاشهم علي الأبل، يشربون ألبانها، ويأكلون لحومها مقددة ومطحونة[٤]، وإلى جانب تمر الواحات حتى أنهم «لايعرفون البر ولا الشعير ولا الدقيق»[٥]، ولايعرفون حرثا ولا زرعا. «وهم بفضل جمالهم يجوبون الصحراء من أدناها إلى أقصاها طولا وعرضا، ينقلون المتاجر والحضارة إلى قلب الصحراء والسودان أو يبحثون عن موارد المياه البعيدة. وحتى أيامنا هذه لوحظ أن الطوارق (حفدة الملثمين) يقودون قطعانهم من الجمال من الحدود المراكشية من إيجيدى Igiudi ومن ريودى أورو (Rio de Oro) للسقيا من نهر النيجر»[٦].

وأهم ما تتميز به هذه القبائل هو اتخاذ اللثام. «وكان لايرى من وجوههم غير عيونهم»[٧] وأصبح اللثام علما عليهم «تميزوا بشعارة»[٨]، ويبدو أنهم كانوا يتلثمون في الصحراء لاتقاء الحر والبرد كما يفعل العرب[٩]. وقبائل

(١) ابن حوقل، صورة الأرض، جـ١، ص ١٠١، ابن بطوطه، الرحلة، جـ٢، ص ١٩٢، الترجمة الانجليزية لجب، ص ٣١٧، ص ٣٢٠، السعدى تاريخ السودان، ص ٢٥، الترجمة الفرنسية، ص ٤٢.

(٢) البكرى، المغرب، ص ١٤٩، الاستبصار، ص٢٠١.

(٣) البكرى، المغرب، ص ١٤٩، الاستبصار، ص ٢٠١.

(٤) ابن حوقل، صورة الارض، جـ١، ص ٢٠١، البكرى، المغرب، ص ١٧٠، الاستبصار، ص ٢١٣-٢١٤، ابن بطوطه، الرحلة، جـ٢، ص ١٩٢، الترجمة الانجليزية، ص٣١٧.

(٥) ابن حوقل، نفس المصدر، جـ١، ص ١٠١.

(٦) أ.د. سعد زغلول، تاريخ المغرب العربي، ص ٥٠

(٧) ابن حوقل، صورة الارض، جـ١، ص ١٠٢.

(٨) ابن خلدون، العبر، جـ٦، ص ١٨١.

(٩) ابن الاثير، الكامل، جـ٨، ص ٧٦، الدمشقى، نخبة الدهر، ص ٢٦٧.

صنهاجة ترفع نسبها إلى العرب إلى حمير[١] .

توغل صنهاجة فى بلاد السودان :

وكثير من قبائل صنهاجة الملثمين زحفت نحو الجنوب، ولقد دفعهم إلى ذلك البحث عن أراض أقل جفافا، وجابوا أكثر المواضع الصالحة للرعى التى كانت تستوطنها الجماعات السودانية، بل ربما أن بعض صعاليك الرمال هؤلاء (كما يسميهم جوليان) قد وصل إلى السودان فى القرن الرابع الميلادى ليؤسس دولة غانة[٢] والروايات السودانية تؤكد ذلك وتقول أن أصل ملوك غانة من صنهاجة [٣] .

وتمكن بربر قبيلة لمطة الوثنيون فى النصف الثانى من القرن السابع الميلادى من فرض السيطرة السياسية على السنغى المزارعين على ضفاف النيجر الأوسط[٤] . ولما كان هؤلاء الغزاة من البربر عادة أقل عددا من الشعوب التى غزوها فانهم امتصوا وعبر الزمن ذابت دماؤهم فى دماء أهل البلاد[٥] .

ـ وقبائل صنهاجة من الملثمين كما تقول النصوص «الغالب على ألوانهم السمرة»[٦] إما لعامل البيئة، وذلك لانهم كانوا كلما توغلوا فى الجنوب أزدادوا سوادا «لأن الشمس تسامت رؤوسهم مرتين فى كل سنة ... فيكثر الضوء

---

(١) ابن الاثير، الكامل، جـ٨، ص ٧٤.

(٢) جوليان، تاريخ شمال افريقية، بالفرنسية، ص ١٦٠ .

(٣) محمود كعت، تاريخ الفتاش، ص ٤٢.

(4) Fage, an introduction to the history of west Africa, p, 27.

- ابن خلدون، جـ٦ ، ص ١٤١ ، يقول عن هوارة «... وكانوا ظواعن وأهلين ومنهم من قطع الرمل إلى بلاد القفر وجاوز لمطة من قبائل الملثمين مما يلى كوكو من السودان تجاه افريقية».

(5) Fage, op-cit, p, 9.

(٦) ابن الاثير، الكامل، جـ٨، ص ٧٦.

لأجلها ويلح القيظ الشديد عليهم وتسود جلودهم لأفراط الحر[١].

ـ وإما لامتزاجهم بالسودان، عن طريق الزواج، ويؤكد ابن عذارى ذلك عندما يقول عن ابراهيم بن الأمير ابى بكر بن عمر «أما ابراهيم فلم يعرف أمه وكان أسود الجلدة»[٢]. كما يقول أيضا عن ابراهيم بن الأمير يوسف بن تاشفين....» وهو المشتهر بابن تاغيشت وهى أمة سوداء»[٣].

ويقول الدمشقى عن قوم من لمطة أنهم «أشبه بالبربر وبالسودان»[٤]. والواقع أن قبائل صنهاجة (زناجة) الصحراء، قبائل انتقال، وليس من الغريب أن يكون فيهم الدم الأسود، كما يلاحظ الكتاب المتقدمون. وقد أثبتت نتائج الأبحاث الحديثة صحة هذا القول[٥].

وقد أدت الصلة الوثيقة بين قبائل البربر (أهل اللثام) وبين السودان إلى اختلاط الأمر على الكتاب، فهم يعتبرون بعض القبائل بربرية فى رواية، وسودانية فى رواية أخرى، وخاصة من كان يعيش منهم فى مناطق الانتقال بين الصحراء والسودان. ولقد ترتب على ذلك ظهور نظرية عكسية لتحول

---

(١) الاصطخرى، مسالك الممالك، ص ٤٤، ابن حوقل، صورة الأرض، جـ١، ص ١٠٣، ابن خلدون، المقدمة، طبعة التجارية، ص ٨٤، الترجمة الانجليزية لروزنتال جـ١، ص ١٧٠.

(٢) ابن عذارى، الجزء الخاص بالمرابطين، نشر Huici Miranda, Héspépris Tamuda. Vol II, Fax I, p, 53.

(٣) ابن عذارى، نفس المصدر السابق، ص ٩٠ ـ

(٤) يذكر جوتييه فى كتابه ماضى شمال افريقية، ص ٤٢، «انه من بين الاصول التى يرجع اليها البربر الاصل الزنجى».

(٥) الدمشقى، نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر، طبعة A. Mehren، ليبزج، ١٩٢٨ ص ٢٤٠.

البيض إلى سودان تعبر عن إمكان تحول جماعات من السودان إلى قبائل من البربر البيض. فيذكر ابن حوقل أن بنى تانماك ملوك تادمكة : «يقال أن أصلهم سودان أبيضت أبشارهم وألوانهم لقربهم من الشمال وبعدهم عن أرض كوكو»[1].

أما فى رواية البكرى والاستبصار فان أهل تادمكة بربر مسلمون وهم يتنقبون كما يتنقب بربر الصحراء[2].

ويضع اليعقوبى والمسعودى، زغاوة، بين قبائل السودان «الذين غربوا وسلكوا نحو المغرب»، وهم من أبناء كوش بن حام[3].

ويضع ابن خلدون زغاوة بين قبائل صنهاجة الملثمين، فى إحدى الروايات، وفى رواية أخرى نقلا عن ابن سعيد يعتبرهم سودان[4].

وكذلك أهل بغامة يقول عنهم الأدريسى أنهم «سودان برابر احرقت الشمس جلودهم، وغيرت ألوانهم، ولسانهم لسان البربر، وهم قوم رجالة[5]».

ب- سكان السودان

التسمية (السودان):

مما تقدم يتضح أن مساكن صنهاجة الصحراء هى مناطق انتقال بين

---

(١) ابن حوقل، صورة الأرض، جـ١، ص ١٠٥.

(٢) البكرى، المغرب، ص ١٨١، الاستبصار، ص ٢٢٣.

(٣) اليعقوبى، تاريخ اليعقوبى، طبعة بيروت، سنة ١٩٦٠، جـ١، ص ١٩١ - ١٩٣، المسعودى، مروج الذهب، طبعة التجارية، جـ٢ ،ص ٤.

(٤) ابن خلدون، العبر، جـ٦، ص ١٨١، ص١٩٩.

(٥) الادريسى، صفة المغرب، ص ١٠، الترجمة الفرنسية، ص ١٢

العناصر البيضاء من البربر والعناصر الزنجية من السودان.

ولقد عرف العرب سكان الأقاليم الواقعة جنوب الصحراء بنفس اسم السودان أى الأساود أو السود[1]، فأصبحت الكلمة اسما للمكان فى نفس الوقت.

الأثيوبيون :

يسمى هيرودوت "Herodotus"، سكان الأقاليم الواقعة جنوب ليبيا، بمعنى (شمال أفريقية) بالأحباش (الأثيوبيين)[2].

ويطلق ابن عذارى على سودان غانة اسم حبش غانية[3]، وهى نفس التسمية القديمة التى أطلقها هيرودوت، ويطلق ابن خلدون أيضا على سودان مالى اسم الأحباش[4]. والأثيوبيين الذين تكلم عنهم هيرودوت كانوا سودان Negrés، ولم يكونوا بأى حال من الأحوال أجداداً للحبش الحاليين الذين نطلق عليهم بصفة عامة لفظ الأثيوبيين.

---

(١) انظر ماسبق الفصل الخاص ببلاد السودان.

(٢) من الكلمة اليونانية، وتعنى «أصحاب البشرة المحروقة» وهى مرادفة لكلمة السودان العربية.
A Greek English Lexicon, A new edition. Oxford University Press, 1939, Oxford classical dictionary, p, 339.

(٣) ابن عذارى، البيان المغرب فى اختصار أخبار ملوك الاندلس والمغرب، القسم الثالث، (تاريخ الموحدين)، تحقيق امبروس هويسى ميراندة، ومحمد بن تاويت ومحمد ابراهيم الكتانى، تطوان ١٩٦٣، ص ١٨٠، والترجمة الاسبانية لهويسى ميراندة، جـ١، ص ١٥٠.

(٤) ابن خلدون، التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، نشر محمد بن تاويت الطنجى القاهرة ١٩٥٧، ص ٧٦. يقول فى قصيدة يخاطب بها السلطان ابى سالم المرينى عند وصول هديه ملك السودان وفيها الحيوان الغريب المسمى بالزرافة :« جاءتك فى وفد الاحابش لايرجون غيرك مكرم الوفد».

وهيرودت نفسه يحدد هذا التفصيل بعد ذلك بقليل (نفس الكتاب، LXX) ،عندما وصف الأحباش تحت تعبير الأثيوبيين الشرقيين éthiopiens orientaux وجعلنا نلاحظ أن هناك فرقا بينهم وبين الأثيوبيون الآخرين حيث أن شعورهم مرسلة، بينما السودان أو الأيثوبيون الغربيون الذى يطلق عليهم «أثيوبيون» فقط أو «أثيوبيوليبيا» كانت شعورهم أكثر تجعدا من الناس الأخرين، وهو يضيف أن كلا منهما كان يتكلم لغة مختلفة(١).

أصل السودان :

تتفق رواية ابن عبد الحكم (توفى سنة ٢٥٧هـ/ ٨٧١م)، واليعقوبى (توفى سنة ٢٨٤هـ / ٩٨٧م) والطبرى (توفى سنة ٣١٠هـ/ ٩٢٢م)، ومن نقل عنهم أو حذا حذوهم من الكتاب المغاربة مثل ابن خلدون (وهو ينقل عن ابن سعيد)، على أن حام بن نوح أبو السودان(٢) (أى أنهم يكونون الجنس الحامى) وهوأبو كل أسود جعد الشعر(٣).

وفى روايات أخرى أن أصل السودان أبناء كوش بن حام(٤). كما تذكر بعض الروايات أن السودان من أبناء كنعان بن حام(٥)، وأنهم «أختصوا بلون السودان لدعوة كانت عليه (أى على كنعان) من أبيه ظهر أثرها فى لونه وفيما

---

(1) M.Delafosse, Les Noirs de L'Afrique, p, 22.

(٢) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، نشر عبد المنعم عامر، القاهرة ١٩٦٠، ص ١٠ - ١١، الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، طبع ليدن، جـ١، ص ٢١١، ابن خرداذبة، المسالك والممالك، طبع ليدن ١٨٨٩، ابن خلدون، العبر، جـ٦، ص ١٩٨.

(٣) الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، جـ١، ص ٢٢٣.

(٤) المسعودى، مروج الذهب، جـ٢، ص ٤، القزوينى، آثار البلاد وأخبار العباد، ص ٢٢، الدمشقى، نخبة الدهر، ص ٢٢٦.

(٥) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص ١٠.

جعل الله الرق في عقبه. وينقلون في ذلك كما يقول ابن خلدون حكاية من خرافات القصاص التي يفندها، «يقول أن دعاء نوح على أبنه قد ذكر في التوراة وليس فيه ذكر السواد وإنما دعا عليه بأن يكون ولده عبيدا لولد اخوته لاغير»[1].

وربما اعتبرت هذه الدعوة تبريرا لاسترقاق السودان، واتخاذهم عبيدا، وهو يبين أن سبب سوادهم جاء نتيجة للحرارة المتضاعفة في الجنوب[2] هذا عن الروايات المشرقية والمغربية. أما الروايات السودانية فيذكر محمود كعت صاحب «تاريخ الفتاش» أن جد قبيلة «سغي وجد عكرى وجد ونكر (ونكر)، كانوا أخوانا شقائق، وأبوهم كان ملكا من ملوك اليمن اسمه تراس بن هارون... »[3]. والنسبة الأخيرة إلى اليمنية تعني أن السودان أصلهم بيضان، وأصلهم من المشرق وأنهم هاجروا إلى أرض السودان في ظروف تاريخية معينة، وهذا ما تقوله الرواية «لما مات أبوهم تولى على المملكة من بعده أخوه فضيق على أبناء أخيه أشد التضييق، فهاجر الأبناء من اليمن إلى ساحل البحر المحيط ....»[4].

ويقول دلافوس Delafosse «أنه قد حدثت هجرات في جميع الاتجاهات، وجاءت عقب حروب محلية، وأوبئة ومجاعات، ودائما في عصر لاحق للعصر الذى ترجع إليه الجماعات محل الدرس بداية تاريخها. وإذا شددنا في

(١) ابن خلدون، المقدمة، طبعة التجارية، ص ٨٣-٨٤، الترجمة الانجليزية لروزنتال، جـ١، ص ١٦٩-١٧٠.

(٢) ابن خلدون، المقدمة، طبعة التجارية، ص ٨٣-٨٤، الترجمة الانجليزية لروزنتال، جـ١ .

(٣) محمود كعت، تاريخ الفتاش، ص ٢٤-٢٥، الترجمة الفرنسية لدلافوس وهوداس، ص ٤٠-٤١.

(٤) محمود كعت، تاريخ الفتاش، ص ٢٥، الترجمة الفرنسية، ص ٤١.

سؤال الوطنيين (أهالى البلاد) فانهم سيشيرون دائما إلى مشرق الشمس كممثل للنقطة التى خرج منها أقدم أجدادهم[1]. ويمكن إذن وحتى إثبات العكس، قبول النظرية التى تنادى بأن سود أفريقية ليسوا وطنيين "autochtones"، ولكنهم جاءوا فى هجرات كانت نقطة بدايتها ناحية حدود المحيط الهندى والهادى وأما عن تحديد العصر أو العصور التى تمت فيها هذه الهجرات فمن الأسلم أن نمتنع عن تحديدها. وكل ما يمكن أن نؤكده هو أنه عندما اكتشفت شعوب الشرق القديمة وشعوب البحر الأبيض المتوسط وجود هؤلاء السود الأفريقيين، فان هؤلاء السود الأفريقيين كانوا يقطنون حينذاك، ومنذ وقت طويل بدون شك، نفس المناطق التي نجدهم فيها فى أيامنا هذه، ويبدو أنهم قد فقدوا الذكرى الدقيقة لمكان موطنهم البدائى[2].

وقد وجد الغزاة السود "Négres" الذين تقدموا إلى أبعد نقطة فى اتجاه الشمال، أنفسهم على اتصال مع الوطنيين البدائيين "autochtones primitifs" من الجنس الأبيض فى حوض البحر الأبيض المتوسط الذين كانوا ابتداء من الصحراء الوسطى، فى البلاد التى أصبحت فيما بعد مصر وليبيا، معاصرين لنجريل Negrilles[3]، الصحراء الجنوبية وباقى أفريقية.

(1) Delafosse, Les Noirs de L'Afrique, p, 7.
(2) Delafosse, Les Noirs de L'Afrique, p, 7.

(٣) دلافوس، نفس المرجع، ص ١٦. والنجريل Negrilles، كانوا فى لون أوضح وقامة أصغر من قامة السود، ولكنهم بالاضافة إلى ذلك كانوا يختلفون عن هؤلاء بمجموعة من الصفات الأخرى الجسدية، خصوصا فى عدم التناسب بين أحجام الرأس والجذع والأطراف. وقد رفض العلماء أن يسموهم «بالاقزام» وهو الأسم الذى يصلح للأفراد الذين يكونون استثناء فى جنس معين وليس لمجموع هذا الجنس، كما أنهم رفضوا تعبير «قزم» Pygmées، الذى يمثل فى اذهاننا الحجم الصغير جدا للقامة كصفة اساسية، بينما كان هؤلاء الرجال الذين نادرا مايتعدون ١,٥٥ سم لايقل طولهم عموما عن متر وأربعين سم ١,٤٠ سم. ولذا اطلقوا عليهم اسم النجريل Negrilles دلافوس، نفس المرجع، ص ٨.

ولم يكن هذا الاتصال ليتم أوليستمر دون أن ينتج عنه اختلاط وارتباطات بين الشعوب البيضاء فيما قبل التاريخ فى شمال أفريقية والمهاجرين السود الذين خلفوا النجريل Negrilles أو كانوا قد ذابوا معهم جزئياً فى ذلك الوقت(١) .

ويظهر امتزاج الأساود بالبيضان فى قبائل (السنغى، سركله Sarakollé (الونكرى)، تكولور (تكرور)، الولف Oulofs (الجلف)(٢) .

وأثار هذا التخلط métissage تبدو لنا تارة فى المظهر الجشمانى أو الفسيولوجى وتارة أخرى فى الكفايات العقلية، وتارة فى اللغة، أو فى هذه العناصر الثلاثة فى نفس الوقت(٣) .

تقسيم وتوزيع جماعات السودان فى السودان الغربى :

لاشك أنه من الصعوبة بمكان أعطاء صورة مفصلة لتوزيع قبائل السودان فى السودان الغربى، من خلال المصادر القديمة، وذلك لأن الكتاب المشارقة والمعاربة لم يمدونا بمعلومات كافية عن القبائل وتوزيع مواطنها - باستثناء بعضها مثل التكرور - بل تكلموا عنها بشكل عام، لايبين أماكن وجودها بالتحديد، وبعضهم أشار فقط إلى بعض اسمائها. أما الكتاب السودان فقد أوردوا، أسماء هذه القبائل دون أن يهتموا بأعطاء معلومات تفصيلية عنها. ووجهوا معظم عنايتهم إلى الكلام عن الأحداث السياسية للبلاد على أيامهم. وقد استتبع ذلك الاعتماد على المراجع الحديثة.

(1) M.Delafosse, Les Noirs de L'Afrquie, p. 16.

(٢) دلافوس، نفس المرجع، ص ١٧ .

(٣)دلافوس، نفس المرجع، ص ١٧ .

شعوب شمال السودان :

الفلان :

والفلان هم الشعب الوحيد الذى هو من أصل أبيض (أحمر) فى بلاد السودان، وهم رعاة (بقر)، يتجولون فى أكبر أجزاء أفريقية . اعاً منذ أكثر من ألف عام وهم يكونون احد المجتمعات البدوية النادرة فى أفريقية السوداء(١).

أصل الفلان :

اختلفت الآراء فى أصل الفلان، ومن الجوهرى أن نعرف من أين أتى هؤلاء الرعاة الذين لعبوا دورا هاماً فى تكوين الممالك السوداء ابتداء من السنغال حتى الكمرون الأوسط؟ ويمكن جمع هذه النظريات وهى غالباً من قبيل القصص فى نوعين، الأصول غير الأفريقية والأصل الأفريقى.

الأصل العربى البربرى :

ويرى F. Dubois أن الفلان، قد يكونون احفاد الهنيهن الذين ذكر

---

(١) وكلمة (بول – فلان)، كما يقول، بارث Barth، تعنى «اسمر واضح»، احمر «مناقضا للولوف (الجلف)، وتعنى أسود ency de l'islam , Nouvelle édition, tome II, p, 1967. ويطلق عليهم السعدى صاحب تاريخ السودان اسم فلان، والنسبة اليها فلانى وفلانية. ويقول التونسى صاحب كتاب «تشحيذ الاذهان بسيرة بلاد العرب والسودان، «وأهل دارفور يسمونهم الفلاتة وفلاتا فى الآخر أصح «التونسى، تشحيذ الاذهان بسيرة بلاد العرب والسودان، نشر وتحقيق دكتور خليل عساكر، ودكتور مصطفى مسعد، القاهرة ١٩٦٥م، (مجموعة تراثنا)، ص ٦٣.

ويسمون فولا Fula فى جامبيا وسيراليون، والتسمية الشائعة فى الفرنسية بول Peuls وفى الانجليزية فلانى Fulani، ويسميهم الحوصا والمرر فولانى "Fulani".

S.Trimingham, I.W:A., p, 11, note 2.

البكرى أنهم «من ذرية الجيش الذى كان بنو أمية انفذوه إلى غانة فى صدر الإسلام.. فهم بيض الألوان حسان الوجوه»، ويذكر البكرى أن بسلى أيضا قوم منهم يعرفون بالفامان[1].

وأيضا هناك النظرية التى تقول أن أصلهم من اليهود السوريين، وقد أيدها منذ نهاية القرن الثامن "Mathews", "Winterbottom" وهما مكتشفا سيراليون. وقد أضاف إليها M.Delafosse، فى كتابة عن السنغال الأعلى والنيجر Haut Sénégal-Niger أراء محتملة قبلت لمدة طويلة فى كل مكان، تقول أن الفلان قد يكونون أحفاد يهود طرابلس وبرقة الذين نعلم أن جزءاً منهم قد هرب إلى الصحراء بعد الاضطهاد الرومانى الكبير سنة ١١٥م، عن طريق فزان والأير وماسنة حتى وصلا إلى المنطقة بين السنغال الأعلى والنيجر التى شغلتها مملكة غانة القديمة[2]. وأخيراً فان Etienne Richet فى دراسته عن الفلان فى Adamaoua قد أثبت أوجه الشبه الأنثروبولوجية والاجتماعية بين الفلان والإيرانيين القدامى[3].

الأصل النوبى الأثيوبى :

والأصل النوبى الأثيوبى يبدو أكثر جدية، وقد أيده فى الواقع عدد كبير من المؤلفين أولهم Molien في رحلته داخل أفريقية فى منابع السنغال وجامبيا سنة ١٨١٨م، حيث يرى أوجه الشبه فى الملامح والطابع والعادات بين الفلان وبرابرة النوبة، وجعل من الأثيوبيين جنسا أحمر. ويربط F. Muller

(١) البكرى، المغرب، ص ١٧٩، دائرة المعارف الإسلامية بالفرنسية، الطبعة الجديدة، جـ٢، ص ٩٦١.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية، بالفرنسية، جـ٢، ص ٩٦١.

(٣) نفس المرجع والصفحة.

الفولفولدي Foulfoulde (لغة الفلان)، بلغة نوبة كردفان، ويرجع الفلان إلى الجنس النوبي أو النوبافولا (Nouba Foula).

.. وبارث سنة ١٨٥٥ أبدى استعداده للقبول بأن الفلان قد سكنوا أفريقية الشمالية قبل توسع الشعوب البربرية، وهو يشبههم بالـ Pyrrhi Aethiopes عند بطلميوس وهم أثيوبيون (أحباش) أصحاب لون أحمر نحاسي، وأن الفلان الذين أتوا من الشرق الأفريقي قد مروا عن طريق جنوب مراكش (حوالي سنة ١٥٠ ق.م) ثم، تحت ضغط العرب ابتداء من (٧٣٢-٧٥٠م) وصلوا السنغال حيث سكنوا منطقة فوتا طورو Fouta Toro

وهذه النظرية يؤكدها عام ١٨٦٨ العالم F. Muller ويفترض أن الفلان قد سبق أن شغلوا شمال أفريقية مكان البربر(١).

وتوجد الجماعات الفلانية في ماسينا وتاجنت(٢) وفوتاطورو وفوتاجالون Fouta Diallon وتوجد جماعات منها أيضا في الشرق والجنوب الشرقي في منطقة ثنية النيجر والحوصا Haousa والـ Adamaoua(٢) والبلاد المجاورة لتشاد.

جماعات السنغال :

وتنحصر في التكرور والجلف.

وتقول رواية البكري عن التكرور أنهم سودان(٣) والتكرور من أبناء كوش بن حام بن نوح، وتكرور اسم للأرض التي يسكنونها وقد سمي الجنس باسم البلد(٤).

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية بالفرنسية، المجلد الثاني، ص ٩٦١ - ٩٦٢.
(٢) نفس المرجع السابق، ص٩٦٢.
(٣) البكري، المغرب، ص١٧٢.
(٤) ياقوت، معجم البلدان، جـ١، ص ٨٩١، (طبعة وستنفلد) - ابن خلكان وفيات الاعيان، طبعة التجارية، جـ٦، ص ١٤.

ويقول الدمشقى، أن اسم تكرور يطلق على طائفة يسكنون بلد ايسمى بهذا الاسم وكلهم يرجعون إلى مغراوة وسفارة»[١] . أى أن أصلهم بربر.

والرواية تحوى شيئا من الحقيقة فهى تعبر عن الاتصال الوثيق بين البربر والسودان، وتعبر أيضا عن هجرة البربر إلى بلاد السودان - وهذا الأمر تؤكده الأبحاث الحديثة التى تقول أن التكرور من أصل سودانى مخلط بالدم الأبيض[٢] . (وهم أجداد التكولور الحاليين).

وأهل تكرور (السنغال الآن)،جميعهم مسلمون، بل أنهم من أسبق الشعوب السودانية التى دخلت فى الإسلام.

والتكرور يتجمعون أساساً فى فوتة السنغالية، ويسكنون على جانبى نهر السنغال[٣] . وتنتشر منازلهم أيضا فى أنحاء من أفريقية الغربية، فى منطقة كايس Kayes على السنغال الأعلى، وفى نيورو Nyro، فى ساحل السودان، وفى سيجو Segu على النيجر، وفى بنجاكرة فى ماسنة الشرقية، وفى دنكراى Din-giray إلى الشرق من فوتاجالون[٤] .

---

(١) الدمشقى، نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر، ص ٢٦٧ - ٢٦٨.

(2) Delafosse, Les Noirs de L'Afrique, p. 17.

-ويطلق على التكرور بالانجليزية Tuculor وبالفرنسية توكولور Toucouleur وتكلر Tuculor وهو تحريف بسيط لاسم هذا الشعب كما تنطق به قبائل ولوف التى نقطن المجرى الادنى لنهر الكنغو، فهم ينطقونه Tokoror أو تكلر Tocolor ، وقد ورد هذا الاسم فى اخبار الرحالة وفى المصورات الجغرافية القديمة توكورل Toucourol ، وتوكورنى Toucournge «وتقول العرب تكرور، والنسبة إليها تكرورى، والجمع تكارير. دائرة المعارف الإسلامية الترجمة العربية، جـ٥، ص ٤٢٧.

(3) Trimingham, I.W.A. p, 13.

(٤) دائرة المعارف الإسلامية، جـ٥، ص ٤٢٧.

الجلــف :

يقول عنهم السعدى أنهم سودانيون[1] (أى من أصل أسود)، وهم «خيار من فى الناس فعلا وطيبة»، وخصهم الله سبحانه وتعالى بالأخلاق الحسنة والسيرة المحمودة، ويتصفون بالنجدة والشجاعة والوفاء[2]. وهم يقطنون مساحة كبيره بين السنغال وغمبيا[3].

جماعات الونكارة (الجنجارة - الونقارة) الماندنج - الملنكة :

وقد ذكرهم البكرى تحت اسم قنقارة (جنجارة)[4] (ومفردها جنجارى) أو «ونقارة -ونجارة»، ويسميهم ابن بطوطة ونجراته[5].

وونجارة يبدو أنه تحريف لاسم الإقليم الأصلى الجنجران Gangaran وجونجران Gwangaran أو جبنجران Gbangran، وأول هذه المسميات جنجران Gangaran، يحتفظ به المور والسركلة، والثانى Gwangaran يحتفظ به السنغى والفلان فى ماسنة والحوصة.

وفى القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى)، استوطنوا جزءاً من موريتانيا الشمالية ونقابلهم فى منطقة الحوض[6].

وتوجد قبائل الونجارة (الماندنج) فى منطقة النيجر الأعلى، وخاصة فى أعالى باماكو، وحتى سجيورى Siguiri، وأيضا فى داخل هذه المنطقة التى

(١) السعدى، تاريخ السودان، ص ٧٨، (الترجمة الفرنسية) لهوداس، جـ١٢٨، - ١٢٩.
(٢) السعدى، نفس المصدر، ص ٧٨.
(3) Trimingham, Islam in West Africa, p, 13.
(٤) البكرى، المغرب، ص ١٦٤.
(٥) ابن بطوطه، الرحلة، جـ٢، ص ١٩٦، الترجمة الانجليزية، ص ٣٢٢
(6) Ency de L'Islam, Vol III, p, 254.

تحتوى على مناطق الذهب فى بيط، وكذلك أيضا فى الأقاليم التى يوجد فيها الذهب فى منخفض فليمه Falémé، وفى إقليم بامبوك (بانيغو).

والونقارة (الماندغ) ينتشرون اليوم فى الإقليم الجبلى حيث يخرج فرعى السنغال، ويشغلون جنجران Gangaran إقليم بامبوك، حوض غامبيا فى الجنوب، بينما ينتشرون فى الشمال حتى الصحراء المغربية[1]. والماندغ (الونجارة) معا يكونون سلالة موحدة مميزة جداً.

ونستطيع أن نميز بين ثلاث فروع رئيسية (وهى بدورها تقسم إلى فروع عديدة) الملنكى - البنبر أو البمبر والديولا أو الجيولا[2].

وميز محمود كعت صاحب كتاب تاريخ الفتاش (يكتب فى سنة ٩٢٥هـ) بين ملنكى وونكر قال: «أن ملنكى هو الجندى، وونكر من يتجر ويسعى من أفق إلى أفق»[3]. والملنكى أقل تقدما من الماندغ (الونقارة) من الناحية الاجتماعية، وظل كثير منهم مزارعين وباحثين عن الذهب[4].

تفسير اسم الملنكى:

وقد اشتق أسمهم من فرس البحر ملى Mali أو مارى Mari وإذن كلمة ملنكى تعنى اتباع فرس البحر.

هذا التفسير فيه خطأ لأن مقطع الحرف الأخير «كا Ka» لايمكن أن يضاف إلا إلى اسم بلد أو اسم قبيلة ولايجوز اضافته إلى اسم حيوان، ومن

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية، بالفرنسية، المجلد الثالث، ص ٢٥٤.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية، بالفرنسية، المجلد الثالث، ص ٢٥٤.

(٣) محمود كعت، تاريخ الفتاش، ص ٣٨، الترجمة الفرنسية لدلافوس وهوداس، ص ٦٥.

(٤) دائرة المعارف الإسلامية، بالفرنسية، مجلد ٣، ص ٢٥٤.

المحتمل أن يكون اسم الأقليم الذى كان مهد أصلهم.

لهذا فقد اشتق الاسم من ما Ma : أم، ودنج Deng أو ding : إبن، وعلى هذا الأساس فالكلمة تعنى إبن الأم، إشارة إلى النظام الأموى المتبع عند للماندنغ[1].

البمبر :

يقطن البمبر، أودية النيجر وبني Bâni حتى بحيرة دب Debo، وهم كثيرون على الساحل، زراع وأكثر تقدما من الملنكي. ويعتنقون النظام الأبوى.

تفسير اسم البمبر :

ويقول بنجر Banger أن هذا الاسم مرادف للكلمة العربية كافر، وهم يطلقون على أنفسهم بمنه Bamana أو بمنكة Bamaneka وهو مشتق من بمه Bame ومعناها تمساح، وهو الحيوان الذى يتخذونه طوطما لهم[2].

بينما يذهب دلافوس إلى أن اسم بمبر أو بنمنه ban-ma-na يعنى الانفصال عن الأم[3].

الـــديولا :

الديولا أو الجيولا، يسكنون فى مراكز هامة، وهم غالبا تجار، ونراهم متجمعين فى جاليات صغيرة بين الوطنيين، فى شرق بنى وفى ثنية النيجر وفى فولتا العليا، وساحل الذهب، وقد اعتنقوا الإسلام منذ وقت مبكر[4].

(1) Delafosse, Les Noire de L'Afrique, p, 39, ency de L'Islam, Vol, 11, p, 254.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية ، بالفرنسية، المجلد الأول، ص ١١٨

(3) Delafosse, Les Noire de L'Afrique, p, 39.

(٤) دائرة المعارف الإسلامية، بالفرنسية، المجلد الثالث، ص ٢٥٤.

وعشائر الماندنج الأساسية هي : كيتا (وكان منهم حكام مالى) كنات Konate و Taraore دمبله Dembele ، كنت Kante ، (كانوا حكاما لسوسو) كولوبالى Kulubali كوروما Kuruma ، جارا Diara ، Samoka ، Mareko ، Kamara ، Bakayoko ، إلى أخره[1].

فولتا الشمالية :

إن الظاهرة التى تميز شعوب الفولتا (تتكلم لغة الجور)، هى عدم تأثرهم بالإسلام[2]. ويتضمن شعوب الفولتا : الموشى، الداجومبا Dagomba، الكرم "Gurma" "Senufo" بوبو BoBo. وهم يقطنون شرق الماندنج، بين السنغى فى الشمال والغابات في الجنوب[3].

سنغى (سغى) زرما - دندى :

الشعوب التى تعيش على حافة النيجر الأوسط تكون منطقة انتقالية بين عالم الماند والسودان الأوسط[4].

والسنغى يعيشون على طول ثنية النيجر من Mopti خلال منطقة البحيرات، ومنطقة تنبكت إلى مدينة جاو (كاو).

الزرما يقيمون جنوب كاو فى (نيانى - دوزو - تيلابرى) ,Niamey Doso, tilaberi وإلى الجنوب منهم يعيش الدندى[5].

(١) دائرة المعارف الإسلامية، بالفرنسية، المجلد الثالث، ص ٢٥٥.
(2) Trimingham, Islam in West Africa, p, 15.
(3) Fage , An introduction to the history of islam in west Africa p, 6.
(4) Trimingham, op-cit, p, 15.
(5) Trimingham, islam in west Africa, p, 15.

التنظيم الاجتماعي والعادات والتقاليد :

يفهم من الروايات التي أمدنا بها الكتاب السودان. أن السودان عرفوا النظام القبلي، وكانت كل قبيلة تنتسب إلى جد أو أب واحد[١]، بمعنى أن الرابطة بين أفراد القبيلة هي رابطة الدم.

ونستطيع تعريف العشيرة بأنها مجموع العائلات المنبثقة من نفس الجد (السلف) البعيد، أو مجموع الخلفاء (الأجفاد) لسلف مشترك يعيشون في أماكن متفرقة[٢].

العائلة يطلق عليها الماندنج (الونكاره)، لو أودو Loû ou doû وتعني (المسكن العائلي) أو gba أو goua وتعني (الموطن – الدار) والعشيرة وهي تتكون من عدد من العائلات يسميها نفس الشعب (الونجارة) Niagha أو Niâ، وتعني «عش»[٣].

ولكل قبيلة رئيس. وبعض القبائل التي سبق أن ذكرناها كان يتجاوز شكل القبيلة إلى شكل الأمة أو الشعب، كما هو الحال بالنسبة للونكارة (الماندنج). واسم القبيلة أو العشيرة كان يذكر دائما بعد اسم الشخص.

وهكذا نجد أن عند الماندنج اشخاصا يسمون To diara (أي تو من عشيرة جار) وسن بمبا San Bamba وتعني سن من عشيرة بمبا وهكذا[٤]. واسم العشيرة يذكرنا دائما بأصل هذه العشيرة وظروف تكوينها، فمثلا جار Diâra

(١) محمود كعت – تاريخ الفتاش، ص ٢٤ – ٢٥، ص ٢٨.
(2) Delafosse, Les Civilisations Négro - Africaines, Paris, 1925, p, 60.
(٣) دلافوس، نفس المرجع السابق، ص ٦٠.
(٤) دلافوس، نفس المرجع السابق، ص ٦٣.

هو تصغير لجملة بوراجار (bo-ra diâ- Ra) (أو الذى أتى من ديا Diâ أو ماسنة الغربية)، التى تحتفظ باسم المكان الذى هاجر منه الجد، وكولوبالى "Kouloubaĩi" (اسم فعل عن طريق النفى)، وتعنى الذى لم ينقل بواسطة مركب. وتتضمن الإشارة إلى الطريقة العجيبة التى استطاع بها الجد الذى يتبعه الأعداء، أن يضع نهرا بينه وبينهم بفضل سمكة كبيرة نقلته اخترقت به المياه وهوعلى ظهرها. وبمبا Bamba، وهو اسم التمساح، يذكرنا بأن الجد الذى كان على وشك أن يخطفه التمساح فى أحد المغارات، قد هرب منه بفضل Grillon كانت قد حفرت ثقبا فى أعلى الغار، وهى حفرة استطاع الجد بعد توسيعها أن يستعملها للهرب والنجاة.

وسنلاحظ كما يقول - ذلافوس - فى المثال الأخير حيث تحمل العشيرة اسم أحد الحيوانات فان هذا الاسم ليس اسم الحيوان الذى تحترمه العشيرة Grillon، ولكنه على العكس اسم الحيوان الذى استطاع الجد أن يهرب منه بواسطة الحيوان الأول[١].

نشاط قبائل السودان :

يتضح مما سبق (انظر الفصل الخاص بسكان الصحراء)، انه اذا كانت الحياة الرعوية: حياة الظعن والرحلة والتجوال، تمثل الحياة العادية المألوفة بالنسبة للبيضان (البربر)، خاصة صنهاجة الصحراء. فان السودان كما يفهم من الروايات التى أوردها الكتاب يعتمدون فى معاشهم على الزراعة المقيمة. وإلى جانب الزراعة وجد الرعى فى البوادى، وكذلك الصيد عند المقيمين بجوار ضفاف نيل السودان (النيجر والسنغال) وروافدهما.

(1) Delafosse, Les Civilisation Négro - Africaines , p, 64.

ونجد أربع أنماط من الزراعة طبقا للمناطق، فتوجد الزراعة التي تعتمد على الري الصناعي (الواحات الصحراوية - ضفاف النيجر والسنغال) التي هي حتى في الصحراء من عمل السود. وزراعة فصل الأمطار مع تربية الحيوانات، والأخيرة تعتمد على الفلان الرعاة. وزراعة فصل الأمطار بدون القطيع، وتوجد في السفانا السودانية والمراعي الرطبة. والزراعة الدائمة بو' 'لة الفأس والحفارة التي تمارس في منطقة الغابات[1].

الـــزراع

يذكر الادريسي (عن مملكة تكرور)، أن أهل المدن يزرعون البصل والقرع والبطيخ، ولايعرفون من الحبوب الا الذرة وهي غذاؤهم الرئيسي[2].

ويذكر البكري (يكتب في سنة ٤٦٠ هـ)، أن أهل غانة يزرعون مرتين في العام، وهم يعتمدون في الزراعة «على ثرى النيل اذا خرج عندهم»[3].

وإلى جانب مياه النيل يعتمد السودان في زراعتهم على مياه الآبار العذبة. ويذكر البكري أن حول مدينة المسلمين في غانة آبار عذبة منها يشربون ويعتمدون عليها في زراعة الخضروات[4].

ويزرعون أيضا القطن (في مدينة ترنقة)، وهو ليس كثير في بلدهم، ولكن كما يقول البكري لايكاد تخلو دار أحد منهم من شجرة قطن[5].

ويوجد أيضا في بلد طاقة شجر يسمونه تادموت (وهو شجر الأراك) وله

(1) Trimingham, I.W.A., p. 5.

(٢) الادريسي، صفة المغرب وارض السودان، ص ٥.

(٣) البكري، المغرب، ص ١٧٧

(٤) البكري، المغرب ، ص ١٧٥

(٥) البكري، المغرب ، ص ١٧٣

ثمر كالبطيخ. «يوجد بداخله شيء يشبه القند، وتشوب حلاوته حمضة[1].

هذا عن التكرور وغانة، أما عن مالي، فيرجع الفضل إلى العمرى الذى أعطانا صورة كاملة عن النباتات فيها، ومعلوماته تلك يستقيها من رجال ثقاة ممن خبروا البلاد مثل الشيخ سعيد الدكالى، (وهو ممن يسكن مدينة بنبى (حاضرة مالى) خمسة وثلاثون سنة واضطرب فى هذه المملكة ...) ففى مالى (ملى) انتشرت زراعة الحبوب، وأهمها الأرز، وهو أغلب قوتهم، (وأعمال الرى فى جمهورية مالى مكنت من زراعة كمية كبيرة من الأرز، حتى أن مالى قادرة على تصدير الأرز بدلا من استيراده، كما كانت الحال قبل الحرب العالمية الثانية)، وإلى جانب الأرز يوجد الفوبى يقول العمرى فى «مسالك الابصار»، وهو دق مزغب يدرس فيخرج منه شبيه حب الخردل أو أصغر، وهو أبيض، يغسل ثم يطحن ثم يعجن ويعمل منه الخبز، وعندهم الحنطة وهى قليلة، والذرة، (ويسمون الذرة الدخن، كما يقول ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ص ٨٧)، وهى أكثر الحبوب لديهم ويعتمدون عليها فى معاشهم وعليق خيلهم واطعام دوابهم، ومازال الدخن المحصول الغذائى الرئيسى فى دولة مالى[2]. ويضيف الحسن الوزان (القرن ١٦م)، إلى ماذكره العمرى انه يكثر فى مالى القطن[3].

(١) البكرى، المغرب، ص ١٧٧.

(٢) العمرى، مسالك الابصار، مخطوط دار الكتب رقم ٨، ص ١٠٧، الترجمة الفرنسية لديموميين، ص ٦١.

- Harrison church, west Africa, A study of the environment and of Man's use of it, London 1963, (Fourth edition) part three "the political division, chapter 15. Mali-land of Livestock and irrigation works, p, 251, economic resources" "Agriculture".

(٣) العمرى، مسالك الابصار، المخطوط، ص ١٠٧، الترجمة الفرنسية لديموميين ص ٦٢ ابن بطوطه، الرحلة، طبعة التجارية، جـ٢، ص ١٩٦، القلقشندى، صبح الاعشى، جـ٥، ص ٢٨٨.

- Harrison church, op-cit, p, 251.

وعندهم من الفواكه بسنانية الجميز وهو كثير لديهم.

وتنمو لديهم أشجار برية ذوات ثمار مأكولة مستطابة، ومنها شجر يسمى زيروز (زبيروز عند القلقشندى)، تخرج ثمرته مثل قرون الخروب، ويخرج منها مايشبه بدقيق الترمس حلو لذيذ الطعم يشبه طعم الموز.

ويوجد أيضا لديهم شجر اسمه فاريتى يحمل شبيه الليمون، وطعمه يشبه طعم الكمثرى، وبداخله نوى يؤخذ وهوطرى ويطحن فيخرج منه شيء شبيه بالسمن، يجمد، ويستعمل في تبيض البيوت، وتوقد منه السرج والقناديل، ويعمل منه أيضا الصابون[1].

ويزرع لديهم أيضا من الخضروات "اللوبيا، واللفت، والبصل، والباذنجان، والكرنب، وتطلع الملوخيا برية عندهم.

ويزرع ايضا عندهم شيء «اسمه القافى»، وهو عروق رقاق تدفن فى الأرض وطعمه شبيه بالقلقاس لكنه ألذ من القلقاس وهو يزرع فى الخلا[2]. ويقول ابن بطوطه وهى عندهم «أى القافى»، مفضلة على سائر الطعام[3].

وفى مملكة سنغى (كوكوا) يزرع الأرز بكميات كبيرة، خاصة فى مدينة كوكو (جوجو) العاصمة[4]. وعليه يعتمدون فى غذائهم.

---

(١) العمرى، مسالك الابصار، المخطوط، ص ١٠٦، الترجمة الفرنسية لديمومبين، ص ٦٢، القلقشندى، صبح الاعشى، جـ٥، ص ٢٨٨.

(٢) العمرى، نفس المصدر السابق، ص ١٠٧، القلقشندى صبح الاعشى جـ٥، ص ٢٨٩.

(٣) ابن بطوطه، الرحله، جـ٢، ص ١٩٧.

(٤) ابن بطوطه، الرحلة، جـ٢، ص ٢٠٧، محمود كعت، تاريخ الفتاش، ص ٩٥، ليون الافريقى، وصف افريقية بالفرنسية، جـ٢، ص ٤٧٠

الرعـــاة:

ليست لدينا معلومات كافية عن الرعى فى السودان الغربى، ويفهم من رواية أبى الفدا (ينقل عن ابن سعيد)، أن أهل تكرور ينقسمون إلى فريقين: حضر يقطنون المدن، وفريق اخر رحالة فى البوادى[١]، وهم من قبائل الفلان التى تعيش على الرى وتسكن النجاد[٢]. وأكثر مجالاتهم فى جانب النيل الشمالى، ولهم فى الجنوب اماكن قليلة - على عكس الملنكى والبمبر الذين يشتغلون بالزراعة.

ويقول العمرى فى «مسالك الابصار» (ومعلوماته عن دولة مالى): «واغنامهم ومعزهم لامرعى لها وانما هى جلالات على القمامات والمزابل»[٣].

هذا بينما تعتبر تربية الحيوانات من مميزات السودان الشمالى - وتظرا لان العمل يتطلب الرحلة فان الفلان هم الذين يقومون به[٤].

---

(١) ابو الفدا، تقويم البلدان، ص ١٥٣.

(٢) ابو الفدا، ص ١٦٣، دائرة المعارف الإسلامية، الترجمة العربية (عن تكرور)، جـ٥، ص ٤٢٨.

(٣) العمرى، مسالك الابصار، المخطوط، ص ١٠٧، الترجمة الفرنسية لديمومبين، ص ٦١.

(4) Trimingham, I.W.A. p, 5.

- ويقول Harrison Church، عن الثروة الحيوانية فى مالى. والثروة الحيوانية أكثر أهمية منها فى أى بلد فى غرب أفريقية، ماعدا نيجيريا. ويوجد على الاقل ثلاثة مليون وتسعمائة ألف (٣,٩٠٠,٠٠٠) رأس ماشية ومعز.

ونظرا لوجود نهر النيجر، وروافده ووجد التسى التسى Tsetse بقربها، فان ماشية Ndama توجد فى منطقة بماكو Bamako وفى الغرب والشرق منها، وتوجد ماشية زبو Zebu فى شمال خط ١٥° - ١٦° درجة فقط. والزيادة فى الثروة الحيوانية تعتمد أساسا على زيادة عدد الابار والحزانات. وفى اليد الأخرى فان الأراضى المزروعة تتعارض غالبا مع الطرق التى يسلكها القطيع فى الارتحال ويوجد ارتحال كثيف بين المراعى على طول النيجر وروافده. (وبها كلاً ممتاز من نوع =

يمتهن بوزو، وهم يتخصصون في الجنوب [illegible]
وسن San حتى Bobo Dioulasso ؛ صيد الأسماك، وأيضا سرك Sorko (وهم من السنغى)، وينقسمون إلى عشيرتين فرن Faran وفونو Fono صيادى أسماك وصيادى حيتان بالحربة(١).

المعتقدات الدينية قبل الإسلام:

يفهم من القطع المتناثرة التى أوردها البكرى عن معتقدات السودان الدينية قبل الإسلام، انهم كانوا يدينون بالمجوسية وعبادة الدكاكير (والدكور عندهم

---

* Gamarwel)ومناطق الرعى فى الشمال والشمال الغربى.
وبجانب الأنواع العادية من الغنم يوجد غنم ماسنة سيجو وتنبكتو فى منطقة الدلتا الداخلية. كما وجدت محاولة لتهجين غنم بخارى Astrakhan مع الاصناف المرباه محليا ولكنها انتهت بالفشل.
وتوجد حركة تصدير هائلة من الماشية إلى دكار Dakar، وساحل العاج Ivory Coast ، وغانة، وعلى درجة أقل إلى ليبريا Liberia ونيجيريا Nigeria ويرسل على الاقل ٣٠ ألف رأس ماشية وحوالى ١٠٠ ألف رأس معز وغنم سنويا إلى نيجيريا وحوالى ٣٠ ألف رأس ماشية و٩٠ ألف رأس من الغنم والمعز إلى غانة، ١٤ ألف رأس من الماشية و ٢٥ ألف رأس من الغنم والمعز إلى ساحل العاج. والمراكز الكبرى لتجميع وتصدير الفراء والجلود وتوجد فى باماكو Bamako وكايس Kayes .

Harrison Church, West Africa, A study of the environment and of Man's use of it, p, 252 - 253.

(١) محمود كعت، تاريخ الفتاش، الترجمة الفرنسية لدلافوس، ص ٤٦ ، هامش٣. والنص العربى ص ٢٧ حيث يذكرو رواية اسطورية يفهم منها أن هذه القبائل، كانت تمتهن صيد الحيتان يقول: ... «وولدت سور (احدى جوارى نوح عليه السلام) بوبو وسرى ... ولدت سبط سرك ونار فلما كبر الاولاد اذن لهم نوح عليه السلام أن يرتحلوا مع أمهاتهم فينزلوا فى ناحية البحر ويصطادوا حيتانا يعيشوا بانفسهم ويأتوا له بشيء من ذلك الحيتان ...» والترجمة الفرنسية لدلافوس، ص٤٦، هامش٦.

Trimingham, A history of islam in west Africa, p. 84.

الصنم)[1] وربما كان لديهم افكار عن مصير الإنسان، (يدل على ذلك طريقة دفن ملك غانة)[2]، والاعتقاد في السحر والشعوذة[3]

وفي وصف البكري لمدينة غانة يقول: «انه كان يوجد حول مدينة الملك قباب وغابات وشعراء يسكن فيها سحرتهم، وهم في نفس الوقت كهنة الديانة، وفيها دكاكيرهم وقبور ملوكهم، ولتلك الغابات حرس، ولا يمكن لأحد دخولها — محاطة بالسرية — ولا معرفة ما فيها[4].

ومما يتعلق بالوثنية يذكر البكري، أن في بلد الدمدم قلعة عظيمة عليها صنم في صورة امرأة يتألهون له ويحجونه[5].

ويقول البكري أن أهل بلد زافقو يعبدون حية كالثعبان العظيم لها عرف وذنب، وهي تسكن في مغارة بالمفازة وعلى مدخل المفازة عريش واحجار ومسكن قوم متعبدين معظمين لتلك الحية ويعلقون نفيس الثياب وحر المتاع على ذلك العريش، ويضعون له جفان الطعام وعساس اللبن والشراب[6].

ويقول صاحب تاريخ السودان أن أهل سنغي كانوا مشركين وكانوا

(١) البكري، المغرب، ص ١٧٤ — ١٧٥.

(٢) البكري، المغرب ص ١٧٦، وفي ذلك يقول البكري: ص ١٧٦ «واذا مات ملكهم عقدوا له قبة عظيمة من خشب الساج ووضعوه في موضع قبره ثم أتوا به على سرير قليل الفرش والوطا فأدخلوه في تلك القبة ووضعوا معه حليته وسلاحه وآنيته التي كان يأكل فيها ويشرب وادخلوا فيها الأطعمة والأشربة وادخلوا معه رجالا ممن كان يخدم طعامه وشرابه واغلقوا عليهم باب القبة وجعلوا فوق القبة الحصر والامتعة ثم اجتمع الناس فردموا فوقها بالتراب حتى لايوصل إلى ذلك الكوم الا من موضع واحد».

(٣) العمري، مسالك الابصار، المخطوط، ص ١٠٧.

(٤) البكري، المغرب، ص ١٧٥.

(٥) البكري، المغرب، ص ١٨٣.

(٦) البكري، المغرب، ص ١٧٣.

يعبدون الحوت الذى يظهر لهم فوق الماء فى البحر والحلقة فى أنفه فى أوقات معلومة، (وقتله زا الأيمن)[١].

ويفهم من رواية السعدى (صاحب تاريخ السودان)، أن أهل مملكة موشى كانوا يقدسون أجدادهم الموتى[٢].

والتنه Tana (المحرم Tabou الطوطم) كما يقول دلافوس، عموما هو أحد الحيوانات التى أنقذ أحد أفرادها جد العشيرة من ظرف عصيب، ولكنه يمكن أن يكون أيضا ولأسباب مشابهة اسم أحد أنواع النباتات (الأرز مثلا أو نوع معين من الأرز) أو نوع من الاشياء المصنوعة (الاقمشة ذات الالوان الزرقاء مثلا).

ويقول دلافوس أن جار Diara كمثال طوطمهم هو الاسد، لأن جدهم الذى كان رضيعا كان على وشك الموت جوعا نظرا لأن أمه لم يكن لديها لبن وقد رضع ثدى لبؤه.

والكوبالى، طوطمهم (محرمهم) السمكة التى انقذت جدهم، والبمبة Bamba الحشرة التى انقذت جدهم من فكى التمساح ... وهكذا[٣].

وفيما يتعلق بالسحر وممارسة الشعوذة، فللسحرة فى السودان وعند البنبر بالذات (وكانوا تحت سلطان مالى)، مهابة كبيرة وهم فى الغالب من طبقة الحدادين وينتظمون فى جمعيات سرية، - لانعرف عنها إلى الآن الا القليل - وهؤلاء السحرة يتكهنون بالمستقبل وذلك بفحص امعاء الحيوانات (المضحاة)

(١) السعدى، تاريخ السودان، ص ٥٤، الترجمة الفرنسية لهوداس، ص ٧-٨.

(٢) السعدى، نفس المصدر، ص ٣٤، الترجمة العربية، ص ١٢٢.

(3) Delafosse, Les Civilisation Négro- Africaines, p. 66.

ويلقون الرعب والفزع فى قلوب السكان وذلك بأعمال الشعوذة والسحر التى يمارسونها، مثل خروجهم ليلافى مواكب خلال القرية، مرتدين الملابس الغريبة اللا معه وعلى رؤسهم قرعات فارغة بها ثقوب، وهذه الاعمال كلها تجعل لهم نفوذا كبيرا بين السكان[١].

اليهوديـــة والنصرانيـــة:

إلى جانب المعتقدات الدينية الوطنية، عرف السودان اليهودية فالأفكار اليهودية دخلت مع المهاجرين اليهود الذين هاجروا إلى السودان الغربي.

ويرجع أول استقرار ثابت لجماعات (اليهود) من افريقية الشمالية، فى بلاد السودان، كما يرى دلافوس Delafosse، ربما إلى سنة ١١٥م، وذلك عقب ثورة اليهود ضد الحكم الرومانى في قورينه[٢]. وقد اتخذ المهاجرون طريقين مختلفين: جماعة منهم رحلت جنوبا متخذة طريق اير وخلال النيجر الأوسط إلى السنغال وفوته. وهناك لحقت بهم فيما بعد الجماعة الأخرى التى اتخذت طريق جنوب مراكش (المغرب الاقصى) وأدرار موريطانية، وحدث فى السودان أن ذابت دماء اليهود فى دماء أهل البلاد الذين يمكن أن نلاحظ آثار لدماء اليهودية فيهم[٣]. ويذكر محمود كعت، أن تندرم كان مسكن قوم بنى اسرائيل واجدادهم وآبارهم هنالك إلى الآن (أى إلى أيامه، وهو يكتب فى

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية، الترجمة العربية، جـ٤، ص ١٨١.

(2) Bovill, The golden trade of the Moors London, Oxford University press, 1961,p, 53, Fage, an introduction to the history of west Africa, p, 14.

(3) Bovill, the golden trade of the Moors, P, 54.

وانظر فيما سبق الكلام عن قبائل الفلان.

سنة ٩٢٥هـ[١].

أما عن النصرانية فتقول رواية أبو عبد الله بن يحيي الزهري التي ينقلها صاحب الحلل الموشية، أنه كان سكان السودان الذين كانت عاصمتهم مدينة غانة «متشرعين فيما سلف من الدهر بدين النصرانية إلي سنة (٤٦٩هـ/١٠٧٦م)»[٢].

ولكن صحة النص كما ورد في كتاب الجغرافية لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر الزهري (المتوفي في أواسط القرن السادس الهجري)، الذي قام بنشره وتحقيقه محمد حاج صادق في Bulletin d'etudes orientales, tome XXI année 1968, "Damas", 1968.

هو «وأهل هذه البلاد كانوا يتمسكون فيما سلف بالكفر إلي عام سنة وتسعين وأربعمائة (وصحتها عام ٤٦٩ كما هو وارد في مخطوط الخزانة العامة بالرباط)[٣].

وكما يقول دلافوس «وبدون شك فإن التيار المسيحي لم يستطيع كسب السودان أنفسهم، ولكنه من الغريب أن تلاحظ أنه بين الكلمات التي أخذوها من شعوب شمال أفريقية توجد كلمتان يبدو أصلهما المسيحي أكيدا أدخلتا إلي اللغة السودانية بنفس تكوينهما اللاتيني وهما اسم Pecatum piché التي نجدها في السودان تحت تكوينات تمثل bakké, Bakkât واسم Pascha ، الذي استورد تحت الشكل البربري Tabaski والذي استعمله السود المسلمون ليشيروا إلي عيد الأضحي في العاشر من ذي الحجة[٤].

---

(١) محمود كعت، تاريخ الفتاش، ص٦٢-٦٣، الترجمة الفرنسية لدلافوس، ص١١٩-١٢٠ «وتندوم تعبير يعني الابار الكبيرة».

Monteil, Problemes du soudan occidenal. Juifs et Judaises Hespéris, tome XXXVIII, 3 et4 trimestres, année 1951. P, 290.

ومن اكتشاف تندوم يحكي بونيل دوميزيير أنه رأي هناك مقبرة يقال أنها مقبرة اليهود، حيث كانت توجد عظام علي مستوي الأرض أما بالنسبة للآبار فإن الفيضانات المتوالية للتيجر قد غطتها. ولكنه فضي أحد هذه الابار وبذلك تأكد من صحة ماورد في كتاب تاريخ الفتاش.

Monteil, Problemes du soudan occidenal. Juifs et Judaises, P. 290.

(٢) الحلل الموشية، ص٧.

(٣) الزهري، كتاب الجغرافية، ص١٢٥.

(٤) Delafosse, Les relations du Maroc avec le Soudan a travers les ages Hésperis, année 1924, 2 trimes, P, 154.

الباب الثاني
الإسلام في بلاد السودان

الفصل الأول

الإسلام في الصحراء وبداية تعرف العرب علي بلاد السودان

الإسلام فى بلاد السودان

الفصل الأول

الإسلام فى الصحراء وبداية تعرف العرب على بلاد السودان

لما كانت صحراء المغرب الكبرى- بفضل واحاتها وعيون مائها – هى وسيلة الربط بين بلاد المغرب وبلاد السودان (انظر ماسبق ص ١٨٠ – ١٨٢ كان من الطبيعى أن يتعرف العرب على بلاد السودان عن طريق الصحراء.

الفتوح العربية فى الصحراوات الليبية وبداية التعرف على الأطراف الشمالية الشرقية للسودان:

ولما كانت فتوحات العرب الأولى فى المغرب قد استهدفت الأقاليم الصحراوية وهى الاقاليم التى تشبه بيئتهم – لم يكن من الغريب أن يتعرفوا على تخوم السودان منذ وقت مبكر. فعندما وجه عمرو عقبة بن نافع سنة ٢٢ هـ[١]، إلى صحراوات برقة الجنوبية تقول رواية ابن عبد الحكم أن عقبة. بلغ زويلة وصار مابين برقة وزويلة للمسلمين[٢].

---

(١) هو عقبة بن نافع بن عبد القيس بن لقيط بن عامر بن أمية بن الحارث بن عامر بن فهر، القرشى، الفهرى، فهو من قريش، ولد على عهد رسول الله، قبل وفاة رسول الله ﷺ بسنة واحدة. دخل عقبة المغرب مع ابن خالته عمرو بن العاص، وكان فى بداية مراحل الشباب، وعهد إليه معاوية بن أبى سفيان بولاية أفريقية سنة ٥٠هـ/٦٧٠م، وتتركز أهمية ولاية عقبة هذه فى الحملة التى قام بها فى تلك السنة والتى انتهت بتأسيس عاصمة عربية جديدة لولاية أفريقية هى مدينة القيروان. وبنى المسجد الجامع ودار الامارة. وفى الوقت الذى أتم فيه عقبة بناء القيروان اتى الأمر بعزله، وبعد عزله عن أفريقية سنة ٥٥هـ ، اتجه نحو المشرق، ومشى إلى دمشق، والظاهر أنه ظل مقيما بها فترة.. وبعد وفاة معاوية، ولاه يزيد افريقية للمرة الثانية، استشهد فى تهوده سنة ٦٣هـ / ٦٨٣/٦٨٢م.

المالكى،رياض النفوس، ترجمة عقبة رقم (٢٩)، ص ٦٢-٦٣، ابن الأثير أسد الغابة فى معرفة الصحابة، جـ٣، ص ٤٣٣ طبعه القاهرة سنة ١٢٨٦هـ ابن عذارى، البيان المغرب، جـ١، ص

ويحتمل انه تم تعرف العرب لأول مرة على السودان في زويله، فهى عند الكتاب العرب أول حد بلاد السودان، ويجلب إليها أكثر الخدم السود[1].

وبعث عمرو بن العاص وهو محاصر لأهل اطرابلس بسرا بن أبى أرطأة إلى ودان عاصمة اقليم فزان[2] ، وفزان وودان من أطراف السودان.

غزو واحات الصحراء سنة ٤١، ٤٢هـ:

ظلت حملات العرب فى صحراوات ليبيا المؤدية إلى السودان مستمرة ففي سنة ٤١هـ يذكر ابن الأثير أن عمرو بن العاص استعمل عقبة بن نافع ابن عبد قيس على أفريقية فانتهى إلى لواته ومزاته فأطاعوا ثم كفروا فغزاهم من سنته فقتل وسبى، ثم افتتح فى سنة اثنتين وأربعين كورا من كور السودان. «وافتتح ودان». والمقصود بكور من كور السودان فى نص ابن الأثير، هو واحات الصحراء، ويفهم من هذه النصوص، أن واحات الصحراء ، كانت معمورة بالسودان.

وفى نفس السنة أيضا (سنة ٤٢هـ) افتتح غدامس[4]، وهى مدينة فى الصحراء فى قبلة (جنوب) بلاد الجريد على الطريق إلى مملكة الكانم[5].

= ١٩ . أ.د سعد زغلول، تاريخ المغرب العربى، ص ١٣٤، ص ١٤٢، ١٤٦، ١٥٣، ص ١٦٩ .

(٢) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص ٢٣٠ ، البكرى، المغرب، ص ١٠ ، الاستبصار، ص ١٤٦ ، ابن الأثير، الكامل، احداث، سنة ٢١ ، جـ٣، ص٩.

(١) الاصطخرى، مسالك الممالك، ص ٤٤ ، البكرى، المغرب، ص ١٠ .

(٢) ابن عبد الحكم، نفس المصدر، ص ٢٦٢ ، أ.د سعد زغلول، تاريخ المغرب العربى، ص ٩٣ .

(٣) ابن الأثير، الكامل، احداث سنة ٤١هـ، جـ٣، ص ٢٠٩ .

(٤) ابن عذارى ، البيان المغرب، جـ١ ، ص ١٥ - .

«وغدامس مدينة لطيفة بالمغرب جنوبية، ضاربة في بلاد السودان، وأهلها بربر مسلمون وبغدامس دواميس كانت سجنا للكاهنة التي كانت بأفريقية، وتدبغ فيها الجلود الغدامسية وهى من أجود الدباغ..» البكرى، المغرب، ص ١٨٢ ، ياقوت معجم البلدان، جـ٦ ، ص٢٦٨ .

(٥) القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٥ ، ص ١٠٨ .

غزوات العرب في صحروات جنوب طرابلس:

وفي سنة ٤٦هـ / ٦٦٦م، خرج عقبة من مغمداس من أرض سرت[١]، ومعه اربعمائة فارس، وأربعمائة بعير، وثمانمائة قربة ماء (لأنه سيعبر صحراء موحشة جرداء، ولابد أن يتزود بالماء)، وكان برفقته بسر بن أبي أرطأة وشريك بن سمى المرادي[٢]، ووصل ودان[٣]، وخضعت له، ولكن عقبة أخذ ملكهم وصلم أذنه، وأخذ عقبة الضريبة المفروضة على مدينة ودان وهي ٣٦٠ رأسا (ثلاثمائة وستون) رأسا[٤] «وربما كانت من العبيد، خاصة وأن بلاد فزان تعتبر باب السودان من حيث يجلب الرقيق»[٥]. ويلاحظ الوصول إلى ودان هنا لثالث مرة؟ والهدف من مواصلة غزو نفس المنطقة هو: الاستقرار السياسي، ونشر الإسلام.

ثم سأل عقبة أهل ودان عما وراءهم من البلاد فقالوا جرمة (عاصمة الجرميين Garamantes القديمة). فسار متوجها إليها ووصلها بعد مشي ثماني ليال، فلما اقترب منها وأصبح على مسافة ستة أميال،دعا أهلها إلى الدخول في الإسلام فوافقوه، وخرج ملك المدينة كما تقول الرواية، راكبا للقاء عقبة الذي ارسل بعض فرسانه فأنزلوا الرجل من ظهر مطيته وأمشوه، فما وصل

---

(١) أ.د. سعد زغلول، تاريخ المغرب العربي، ص ١٣٨ ، ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص ٢٦٢ ، البكري، المغرب، ص ١٣ (يقول غدامس من أرض سرت)، وعن مغمداس، ص ٧.

(٢) ابن عبد الحكم، نفس المصدر، ص ٢٦٢ ، وقارن البكري، ص ١٣ (حيث يسميه شريك ابن سحيم المرادي).

(٣) ودان جزيرة (واحة) في جنوب مدينة سرت وكانت مضمومة إليها ، وهي جزائر نخل متصلة بين غرب وشمال إلى ناحية البحر وتشتهر بالتمور الرطبة. ابن حوقل، صورة الأرض، جـ١ ص ٦٧.

(٤) ابن عبد الحكم، نفس المصدر، ص ٢٩٢.

(٥) أ.د. سعد زغلول، تاريخ المغرب العربي، ص ١٣٨، ١٣٩.

الزعيم الجرمى الناعم إلى عقبة حتى كان يصق الدم. وعندما ما ا..تى الرجل على تلك المعاملة العنيفة مع أنه أتى طائعا، رد عليه عقبة بأن ذلك أدب .. حتى لايفكر فى حرب العرب. كما فرض على الجرميين ضريبة مماثلة لما كان يدفعه أهل ودان أى ٣٦٠ (ثلاثمائة وستين) عبدا.[١]

وسأل عقبة عن الأقاليم الواقعة فيما وراء فزان فدلو.. .. أقليم كوار[٢]، وعاصمتة خاور وهى قصر عظيم على رأس المفازة[٣]، واستمرت الرحلة إليها خمسة عشر ليلة، وحاصرهم عقبة شهرا دون جدوى، ثم فاجأهم ليلا وأنزل بالمدينة عقوبة رادعة حيث استباح مافيها من ذراريهم ونسايهم واستولى على الأموال، وقتل المقاتلة[٤].

وهكذا انتهت أول جولة كبرى فى صحراوات جنوب طرابلس، ورجع عقبة محملا بالمغانم والسبى إلى قاعدته الأولى فى مغمداس مارا بزويلة، بعد خمسة أشهر. وكان من نتائج تلك الغزوة تثبيت سلطان العرب فى الصحراء، ونشر الإسلام بين قبائل البربر هناك[٥].

---

(١) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص ٢٦٢ - ٢٦٣. أ.د. سعد زغلول تاريخ المغرب العربى، ص ١٣٩، وقارن البكرى، ص ١٣ (حيث يقول النص عن الضريبة أنها ٣٦٠ عبدا وليس رأسا).

(٢) كوار ومنها يخرج الشب المعروف بالشب الكوارى، ولايعد له شىء فى الطيب، وبلاد كوار يحويها بطن واد يأتى من جهة الجنوب، مارا إلى الشمال، لاماء به الا أن الماء اذا حفر عليه وجد به معينا كثيرا، الادريسى، صفة المغرب ص ٣٨.

(٣)المفاز ، والمفازة: البرية القفر، وتجمع المفاوز، وسميت الصحراء مفازة لأن من خرج منها وقطعها فاز، «ابن منظور، لسان العرب، طبعة بيروت، جـ٥ ، ص ٣٦٣.

(٤) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص ٢٦٢ ، ٢٦٣.

نشاط العرب فى صحراوات المغرب الأقصى والأطراف الشمالية للسودان الغربى:

بعد أن تعرف العرب على صحراوات برقة وطرابلس حتى أعماقها الجنوبية كان من الطبيعى أن يواصلوا جولاتهم فى صحراوات المغرب الغربية. ففى سنة ٦٢هـ/ ٦٨١م. بعد ولاية عقبة الثانية اجتاح صحراء المغرب الأوسط، ووصل إلى صحراوات بلاد مراكش.

ولما كان هدف عقبة هو الاحتساب والعمل فى سبيل الله، فانه اجتهد فى نشر الإسلام لأول مرة فى صحراوات بلاد مراكش[١]. وتوغل حتى درعة حيث بنى فيها مسجدا[٢]، ثم سار عقبة مع وادى درعة إلى الشمال بعد أن أوغل فى الصحراء بعض الشىء - فى اتجاه تافللت - ثم دار حول الأطلس الكبرى، ووصل إلى هذه السلسلة المتهيلة من الجبال عند سفحها الشرقى، واستولى على بلدة أغمات ونفيس، ومن وادى نفيس سار عقبة حتى نزل بوادى سوس (السوس الأقصى)، واتجه إلى عاصمته وهى مدينة ايجلى التى بنى فيها مسجدا هى الأخرى[٣]. وهناك أرسل إلى قبائل جزولة فوصلوا إليه ودعاهم إلى الإسلام فاسلموا وقفلوا إلى منازلهم[٤]، وترك فيها رجالا لينشروا الإسلام بين أهلها[٥].

وهناك عدد من الروايات، تزعم أن حملة عقبة امتدت حتى بلاد السودان،

(١) أ.د. سعد زغلول، تاريخ المغرب العربى، ص ١٦٣.

(٢) ليفى بروفنسال، نص جديد عن فتح العرب للمغرب، صحيفة المعهد المصرى بمدريد، سنة ١٩٥٤، دراسة بروفنسال، ص ٢٠٨، ابن عذارى، البيان المغرب، جـ١، ص٢٧.

(٣) ابن عذارى، البيان، جـ١، ص ٢٧، النص الجديد، ص ٢٢٠.

(٤) بروفنسال، نص جديد عن فتح العرب المغرب، ص ٢٢٠، ابن عذارى، البيان، جـ١، ص ٢٨.

(٥) النص الجديد، ص ٢١٢.

ويقول انه «فتح التكرور حتى غانة»(١) لكن صمت المؤرخين [illegible] الموثوق

بهم (كما يقول De la chappelle)، يمنعنا من القول بأنه وصل إلى بلاد

السودان(٢) [illegible] رواية يذكرها ابن العذارى نقلا عن ابن عبد [illegible]

[illegible] إلى أنه بلغ طنجة، ورجال هنالك لا يقاتله أحد،

[illegible] كورة [illegible] السودان(٣). ويمكن قبول هذه الرواية

على أن صحراء المغرب الأوسط (الجزائر) مترامية إلى تخوم السودان، وكذلك

المغرب [illegible] والنيجر(٤) [illegible] يمكن أن

يقال أيضا أن مملكة غانة كانت [illegible] الصحراء في الشمال [illegible] ملوك

غانة [illegible] من جانب

المغرب(٥) [illegible]

[illegible] قوم يعرفونه بالبنيهين من ذرية

[illegible] صدر الإسلام [illegible] ويسمى أيضا

[illegible] يمكن أن تؤيد الروايات التي تشير

[illegible] المغرب(٦) الأقصى ومع ذلك أن [illegible]

[illegible] أنها [illegible]

في المغرب الأقصى – فان الروايات لاتشير إلى أنه وجه جيوشا نحو بلاد

السودان [illegible] بعد ذلك بالاضطراب

---

(1) De la chappelle, Histoire du Sahara occidental, p. 55 [illegible]

(٢) نفس المرجع، ص ٥٩ [illegible]

(٣) ابن عذارى، البيان المغرب، جـ١، ص ٢٨ [illegible]

(٤) [illegible] تاريخ المغرب العربي، ص ٣٠ [illegible]

(٥) ابن خلدون، العبر، جـ٦، ص ١٩٩.

(٦) البكرى، المغرب، ص ١٧٩، الترجمة الفرنسية لدسلان، ص ٣٣٤.

بلاد المغرب فيمكن أن تتفق رواية البكرى مع النصوص التى تشير إلى أنه فى ولاية عبيد الله بن الحبحاب (١١٦هـ/٧٣٥م)، توغل قائده حبيب بن أبى عبيده الفهرى فى السوس الأقصى نحو الجنوب حتى بلغ أرض السودان(١).

والمقصود بذلك الصحراوات الجنوبية من بلاد مسوفة ولمتونه الصنهاجية المؤدية إلى مدينة أودغست (أولى بلاد السودان)(٢). وانتهت الحملة بنجاح كبير، فخضعت القبائل فى تلك الأقاليم وعاد حبيب بعدد وفير من السبى وبأحمال من التبر(٣).

هل فتح العرب السودان الغربى؟

وهكذا تم للعرب فتح المغرب ونشروا الإسلام حتى تخوم بلاد السودان.وهنا يمكن أن نتساءل لماذا لم يوجه العرب نشاطهم فى هذا الوقت المبكر عبر الصحراوات الجنوبية إلى بلاد السودان الغربى (غانة – مالى – كوكوا)، وخاصة أن هذه الأقاليم تشبه تماما البيئة الصحراوية العربية.

ويمكن الرد على ذلك بأن العرب كانوا قد عرفوا بلادا غنية فى الشام وفى مصر وفى أفريقية وأسسوا فيها قواعد راسخة للإسلام، وأنهم تبعا لذلك فضلوا توجيه انظارهم نحو الأندلس وخيراتها الوفيرة بدلا من بلاد السودان التى كانوا يجهلونها والتى تصوروا أنها كانت آخر المعمور من الأرض(٤). وهكذا قدر للإسلام فى المغرب أن ينتظر أكثرمن ثلاث قرون قبل أن يتوغل

---

(١) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص ٢٩٣، ان عذارى، البيان، جـ١، ص ٥١.

(٢) أ.د. سعد زغلول، تاريخ المغرب العربى، ص ٢٥٠.

(٣) ابن عبد الحكم، نفس المصدر، ص ٢٩٣.

(٤) القلقشندى، صبح الاعشى، جـ٥، ص ٢٧٣، يقول عن بلاد السودان: «وهى بلاد متسعة الارجاء، رحبة الجوانب، حدها من الغرب، البحر المحيط الغربى، ومن الجنوب الخراب ممايلى خط الاستواء...».

في قلب بلاد السودان وذلك مع مطلع القرن الخامس الهجرى وبفضل قبائل صنهاجة أصحاب اللثام. هذا وأن ظل العرب يطرقون أطراف الصحراوات الغربية الجنوبية التى كانت بمثابة أبواب لبلاد السودان.

الفصل الثاني

انتشار الإسلام في بلاد السودان

الفصـــل الثانـــى

انتشار الإسلام فى بلاد السودان

على عكس بلاد المغرب التى بدأ الإسلام ينتشر فيها بسرعة مع انتشار القوات العربية الفاتحة، كان دخول الإسلام إلى بلاد السودان وئيدا وبالطرق السلمية. والذى يفهم من المصادر العربية الأولى أن الإسلام دخل إلى السودان مع قوافل التجار التى كانت تتردد مابين المغرب وبلاد السودان. ولما كانت الصحراء هى وسيلة الربط بين البلدين كما بينا فى الباب الأول (ص ٣٩) كان من الطبيعى أن يقوم أهل الصحراء بالدور الرئيسى فى اقامة العلاقات التجارية فيما بين شمال صحرائهم وجنوبها وفى نشر الإسلام فى نفس الوقت.

وهكذا كان فضل دخول الإسلام إلى السودان الغربى من نصيب قبائل صنهاجة أهل اللثام بصفة خاصة.

والعلاقات التجارية بين البلدين قديمة ترجع إلى ماقبل الفتح العربى للمغرب - إلى أيام قرطاجة. فقد كان القرطاجيون على علاقة وثيقة بأفريقية السوداء عن طريق الصحراء الكبرى[1]. وكان حجم مدينة لبتس ماجنا Leptis Magna الرومانية وازدهارها الواضح الملموس والتى كانت تلاصق طرابلس الحالية يمكن تفسيره فى ضوء موقعها عند نهايات طرق التجارة التى كانت تعبر الصحراء الكبرى مخترقة جنوب فزان. وكذلك يقال أن مدينة Lixus القرطاجية الواقعة على الساحل المراكشى المطل على المحيط الاطلنطى يعكس أيضا موقعها عند نهاية طرق التجارة عبر صحراء موريتانيا. ولقد كتب هيرودوت فى القرن الخامس قبل الميلاد تقريرا يقول أن جماعات الجرمنت

---

(١) ريمون فيرون، الصحراء الكبرى، ترجمة الدكتور جمال الدين الدناصورى، ص ٧٠.

Germantes وهى جماعات بربر فزان قد تعودوا على الاغارة على الأثيوبيين (وكان يقصد بالطبع الزنوج) بعرباتهم التى يجر الواحدة منها أربعة خيول وهذا التقرير يوضح بما لايقبل الشك صحة ماترويه الرسوم العديدة على الصخور التى وجدت مرسومة على طريقين رئيسيين كلاهما يقود إلى ثنية النيجر العظيم. وكانت عبارة عن عربات تجرها الخيول وكان الطريق الأول من فزان والثانى من جنوب مراكش. وهذه الطرق بدورها تؤيد الفروض العلمية التى أثيرت بشأن كلتا المدينتين السابق ذكرهما. كما ترتبطان بأثنتين من طرق القوافل الرئيسية فى الأزمنة التاريخية.

ومنذ أن حل الجمل محل العجلات فى الصحراء الكبرى صار من المؤكد أن هذه الرسومات ترتبط بالأزمنة القديمة. ولو ربطنا ذلك بملاحظات هيرودوت لتوصلنا إلى دلائل واضحة تشير إلى وجود علاقات منتظمة بين شعوب البحر المتوسط وزنوج أفريقية منذ القرن الخامس قبل الميلاد على الأقل.

ولقد كانت القبائل البربرية الرعوية تمثل العامل الوسيط بطبيعة الحال فى مثل هذه العلاقة عبر الصحراء[1].

العلاقات بين السودان وأفريقية:

وعقب الفتح استمرت العلاقات التجارية بين المغرب وبلاد السودان، بل وازدهرت نتيجة للجهود التى قام بها الولاة العرب. فقد قام والى (عامل) المغرب عبد الرحمن بن حبيب[2]، ببناء مجموعة من الآبار يعددها لنا

---

(١) رولاند أوليفروجون فيج، موجز تاريخ أفريقية، ترجمة الدكتورة دولت أحمد صادق، القاهرة ١٩٦٥ (سلسلة دراسات أفريقية ٣)، ص ٦٦، ص ٦٧.

(٢) عبد الرحمن بن حبيب بن أبى عبده بن عقبة بن نافع الفهرى - حفيد عقبة - تغلب على =

البكرى على طول الطريق الموصل من تامدلت إلى مدينة أودغست والتى ذكرناها فى وصف الطرق الموصلة إلى السودان (ص) من بئر الجمالين، وبئر ويطوفان. ولاشك أن العناية بالطريق أكد الصلة بين أفريقية وبين السودان وعمل على التقليل من المشقة والاخطار التى كانت تتعرض لها القوافل التجارية التى كانت تقطع الطريق إلى بلاد السودان، وازدهرت تبعا لذلك حركة التجارة. وعمل أيضا على انتشار الإسلام فى بلاد الملثمين حتى أودغست أولى بلاد السودان. وبذلك استطاع عبد الرحمن أن يتم مابدأه جده عقبة من حوالى نصف قرن.

العلاقات بين السودان وأفريقية والمغرب الأوسط:

وقد لاقت التجارة مع السودان اهتماما كبيرا من أباضية الرستميين فى تاهرت (سنة ١٤٤هـ/ ٧٦١م إلى سنة ٢٩٦ هـ / ٩٠٩م)، يقول نص ابن الصغير: «واستعلمت السبل إلى بلد السودان وإلى جميع البلدان من مشرق ومغرب بالتجارة وضروب الأمتعة»[1].

ونشطت تجارة المغرب مع بلاد السودان على أيام الفاطميين، وكان بين الزيريين (بنو زيرى بن مناد خلفاء الفاطميين فى حكم المغرب)، وبين ملوك

* أفريقية سنة ١٢٧هـ واستقل بها عن الخلافة العباسية سنة ١٣٧هـ، نجح فى تكوين مايمكن أن يشبه بأسرة ملكية فى أفريقية سنة ١٢٧هـ- قتل فى أواخر سنة ١٣٧هـ.

ابن عبد الحكم ، فتوح مصروالمغرب، طبعة عبد المنعم عامر، القاهرة ١٩٦١ ، ص ٣٠٠ - ٣٠١، ابن عذارى، البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب نشر وتحقيق ج. س كولان، أليفى بروفنسال، ليدن ١٩٤٨ ، جـ١ ، ص ٦٠ - ٦٨ ، الاستاذ الدكتور سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربى ص ٢٩٩،. Ch.A. Julian. Histoire de L'Afrique du Nord, Paris, 1952, p, 31.

(1) Ibn Saghir, chronique sur les imams rostimides de Tahert, par motylinski, extrait du tome IV des actes du XIV econgrés internationale des orientalistes, paris,-1907, p, 13, trad Franc, p. 68.

السودان علاقات طيبة، بدليل وصول هدية في سنة ٣٨٢هـ / ١٠٠٢م من بلد السودان (غانة) لابي مناد باديس بن أبي الفتح المنصور فيها زرافة(١).

ووصلت أيضا إلى المعز في سنة ٤٢٣هـ / ١٨ ديسمبر ١٠١٣م، هدية جليلة من ملك السودان، كانت تتضمن رقيق كثير وزرافات، وأنواع من الحيوان غريبة(٢).

العلاقات بين السودان والمغرب الأقصى:

أما عن العلاقات بين السودان والادارسة في المغرب الأقصى فليست لدينا نصوص صريحة عنها. ولكن نسبتين من الرواية التي يوردها الادريسي، والتي تقول أن ملك غانة من ذرية صالح بن عبد الله بن الحسن بن على بن أبي طالب، أنه كان ثمة علاقات بين السودان والادارسة.

مسالك التجارة أو الطرق المؤدية إلى السودان:

كانت التجارة المتبادلة بين المغرب وبلاد السودان تسلك ثلاث مسالك رئيسية: في الشرق كان الطريق الذى يربط افريقية بالسودان يبدأ من طرابلس، ومنها إلى فزان وكوار، ثم يتجه إلى مملك البرنو، وهو الطريق الجرمنتي القديم(٣).

وفي الوسط (أي مع المغرب الأوسط)، طريق غدامس غات إلى اير ومنها إلى ممالك الحوصة.

---

(١) ابن عذارى،البيان المغرب، جـ١، ص ٢٤٦، الترجمة الفرنسية لفانيان Fagnan الجزائر ١٩٠١م، جـ١، ص ٣٦٢.

(٢) ابن عذارى، نفس المصدر، ص ٢٧٥، الترجمة الفرنسية، ص٤١٠.

(3) Bovill, The golden trade of the Moors, P.235.

وفي الغرب مع المغرب الأقصى طريق سجلماسة ازدعست غانة (أو سجلماسة - تغازى - ايوالاتن) زمن ابن بطوطة (في منتصف القرن الثامن الهجرى / ١٤م). رفيما بعد (في القرن ١٦م، على أيام ليون الأفريقي)، أصبح الطريق ينحدر من سجلماسة إلى تغازى ثم إلى أروان ومنها إلى تنبكتو(١).

وفي كل من هذه الطرق كانت توجد مناطق كبيرة خالية من الماء، بحيث لاتستطيع القوافل الثقيلة الحمل عبورها الا في خطورة بالغة بالرغم من ذلك فان تجربة الزمن اثبتت انها آمن وأقصر الطرق بالنسبة للتجارة. ومن وقت إلى آخر فان طرقا أخرى قد استعلمت ولكنها اهملت لعدم وجود الآبار أو المراعى. وعلى الطرق الثلاث القديمة كان يوجد الضمان الأكثر لوجود الماء والكلا(٢).

ولم يظهرطريق فزان كوار الا قليلا جدا في السجلات التاريخية، ولكنه لايوجد شك انه هو أسهل طرق القوافل عبر الصحراء، كان استعماله دائما. وبالرغم من أن طريق فزان كوار كان يحمل كمية كبيرة من الملح في اتجاه الجنوب من واحة بلمه فانه كان أساسا طريقا للعبيد(٣)، الذين كانوا يمثلون حينذاك سلعة من أهم السلع ونسبتين ذلك من وصف ابن بطوطه فقد قفل

---

(١) انظر ماسبق الفصل الخاص بالصحراء والسودان Raymond Mauny, Note sur Les grands Voy ages de Léon L'Africain, Hespéris, tome XLI, année .1954, p. 389.

(2) Bovill, op-cit, p. 235.

(3) Bovill, The golden trade, p, 243.

- ويقول اليعقوبي (كتاب البلدان، ص ٣٤٥)، ووراء زويله على خمس عشرة مرحلة مدينة يقال لها كوار بها قوم من المسلمين من سائر الاحياء أكثرهم بربر وهم يأتون بالسودان...

من تكدا إلى المغرب فى رفقة مكونة من ستمائة (٦٠٠) خادم[١].

وقد كان العرب يقتنون الاساود المستجلبين من بلاد السودان ويتخذون منهم عسكرا، وحرسا وخدما، وخصيانا ليقوموا بالخدمة وسط الحريم[٢].

وابراهيم بن الاغلب (حكم افريقية من سنة ١٨٤ - ١٩٦هـ / ٨٠٠ - ٨١٢م) أول من استخدم السودان فى عسكره، وبلغ عددهم فى أيامه عشرة آلاف[٣].

وتقول رواية ابن عذارى عن ابراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب، فى أحداث سنة ٢٧٩هـ، انه استخدم السودان فى عسكره بعد قتله للفتيان الصقالبة، «وقرب السودان من قصره وقد كان جمع منهم خمسة الاف أسود»[٤].

وفى احداث سنة ٣٧٣هـ يقول ابن عذارى: «اشترى عبد الله بن محمد الكاتب عامل افريقية العبيد السودان وجعل على كل عامل من ثلاثين عبدا إلى مادون ذلك ...»[٥]. ويقول (فى سنة ٤٦٤هـ). «وفيها قوى الأمير يوسف وعظمت شوكته فاشترى جملة من العبيد السودان...»[٦].

---

(١) ابن بطوطه، الرحلة، طبعة التجارية، جـ٢، ص ٢١٠.

(٢) ابن عذارى، البيان المغرب، جـ١، ص ١٢٣، فيرون، الصحراء الكبرى، ص ٨٤.

(٣) عن استخدام ابن الاغلب للسودان انظر الدكتور سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربى، ص ٣٦٦، حسن حسنى عبد الوهاب، خلاصة تاريخ تونس طبعة تونس ١٣٧٣هـ (الطبعة الثالثة)، ص ٦٥.

(٤) ابن عذارى، البيان المغرب، جـ١، ص ١٢٣.

(٥) ابن عذارى، البيان المغرب، جـ١، ص ٢٣٨.

(٦) ابن عذارى، البيان المغرب، جـ١، ص ٥٧.

وتقـول رواية ابن القطان صاحب «نظم الجمـان» ، في اخبـار سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة وفي هذه السنة وصل إلى علي بن يوسف خبر من مدينة بلنسية أن ابن ردمير عازم على الخروج إلى بلاد المسلمين، فخشي أن تكون حركته كالتي كانت في سنة عشرين فقسط على الرعية سودانا يغزون في العساكر، وكان قسط أهل فاس منها ثلاثمائة غلام من سودانهم برزقهم وسلاحهم ونفقاتهم، يخرجون ذلك من أموالهم ففعلوا[1] .

واستمر استخدام السودان في الجيش وكحرس على أيام الموحدين (٥١٥ - ٦٦٨هـ) ويقول العمري في «مسالك الابصار» ، عند كلامه عن ركوب سلطان الموحدين لاداء صلاة العيدين وقدامهم جماعة يقال لهم جناوة: وهم عبيد سود بأيديهم حراب في رءوسها رايات من حرير، وهم لابسون جبابا بيضا ومقلدون بالسيوف[2] . وهؤلاء الخدم كانوا يجلبون كما تقول الروايات من بلاد لملم(وهي في جنوب النيل نهر النيجر)[3] وهم كفار والجهل يغلب عليهم، ويجلب الرقيق أيضا من قبائل موشي (وهم من الكفار)، وبعض فلان

---

(١) ابن القطان، نظم الجمان، تحقيق الدكتور محمود علي مكي، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية جامعة محمد الخامس، الرباط، ص ١٠٩ .

(٢) العمري، مسالك الابصار، الترجمة الفرنسية لديمومبين، ص ١١٤ ، القلقشندي، صبح الاعشى، جـ٥ ، ص ١٤٦ ، (ينقل عن العمري) ولكنه يسميهم «جفاوة».

(٣) الادريسي، صفة المغرب ،ص ٤ ، ابن خلدون، المقدمة، طبعة التجارية، ص ٥٤ .

ولملم يسميهم البكري «الدمدم» ، على نهر النيجر بين كوكو وتادمكة، وهوليس اسم قبيلة معينة. وفي لغة الفلان أصبحت نيام نيام nyam-nyam من الكلمة الفلانية نيام nyam وتعني يأكل، والتي نقلتها الكتابة العربية محرفة إلى نمنم ويميم.وأبو الفدا ينقل عن ابن سعيد «أن نمنم هم أخوة لملم في النسب» .

البكري، المغرب، ص ١٨٣ ، الاستبصار، ص ٢٢٥ ، وأبو الفدا، تقويم البلدان ، جـ١ ، ص ١٥٣ ، جب،، الترجمة الانجليزية لرحلة ابن بطوطة ص ٣٧٩ هامش ١٥ .

(الفلاته)، وهي قبائل من كفار السودان[1]. وبعد خطفهم من قراهم كما يفهم من الروايات، كانوا يباعون للتجار الاتين إلى بلاد السودان، وهؤلاء بدورهم كانوا يجمعونهم لنقلهم عبر الصحراء، وعلى حين كانوا يشدون وثاق الرجال، كانت النساء والفتيات يمتطين الابل، وبعد أن تقف القافلة قليلا فى فزان تستأنف الرحلة فى اتجاه طرابلس، حيث يباع الذين لا... ون من العبيد احياء بثمن مرتفع[2].

ويذكر لنا ابن بطوطة انه اشترى خادم «معلمة»، بخمسة وعشرين مثقالا[3]، وهو بلا شك ثمن كبير. ويقول ابن بطوطة في موضع آخر «ان أهل مالى وايوالاتن (ولات) لايبيعون المعلمات (من الخدم)، الانادرا وبالثمن الكثير[4].

وربما لم يكن طريق غدامس اير[5] أقل قدما من طريق تغازى. حيث يمر

(١) ابن خلدون، المقدمة، طبعة التجارية، ص ٥٤ يقول عن لملم «وهم كفار ويكتوون فى وجوههم واصداغهم» الادريسى، صفة المغرب، ص ٤، الترجمة الفرنسية، ص ٤، السلاوى، الاستقصا، جـ٣، ص ٦٤ ينقل عن أحمد بابا فى معراج الصعود «(وعن الفلان انظر ماسبق الفصل الخاص بسكان السودان».

(٢) يفهم ذلك من رواية ابن خلدون الخاصة بلملم اذ يقول: «وأهل غانة والتكرور يغيرون عليهم ويسبوتهم ويبيعونهم للتجار فيجلبونهم إلى المغرب وكلهم عامة رقيقهم. المقدمة، طبعة التجارية، ص ٥٤. Bovill, The golden trade of the Moors, p, 244.

(٣) ابن بطوطه، الرحلة، طبعة التجارية، جـ٢، ص ٢٠٨.

(٤) ابن بطوطة، الرحلة جـ٢، ص ٢٠٨.

(٥) اير أو اسبن اقليم جبلى فى الصحراء الكبرى بين خطى عرض ٢٠° و ١٦° شمالا، ويبلغ طوله من الشمال إلى الجنوب ٢٨٠ ميلا، وعرضه فى جزئه الأوسط من الشرق إلى الغرب ٦٠ ميلا، وتقدر مساحته بنحو ٥٨٠٠ متر مربع ويتراوح عدد سكانه بين ٦٠٠٠ و ١٠٠,٠٠٠ نسمة.

وهوالآن من الاقاليم الافريقية التى لايعرف عنها الاالقليل، وقد اكتشفه بارث Barth عام ١٨٥٠، ثم زاره ده بارى E.De barry الذى منعه الاهالى من التوغل فيما وراء اجيرو.

بالأرض الصخرية. فان الآثار العميقة (فى الصخر) تؤكد قدمه والحمولة الكبيرة لحركة التجارة التى حملها. ولايبدو أن مجرى الطريق قد تغير ابدا.

والطريق بين غدامس وغات خلال النصف الأول من القرن الماضى، كان يسيطر عليه طوارق ازجر المتوحشين[١]. وبين غات واير، حيث يمر على جزء من اسوأ المناطق الصحرواية فى العالم ويقع منتصفه فى بلاد Kelowi

وفى أزاوة أو ازوى يلحق به طريق توات اير الذى يخترق سلسلة جبال الحجار ويتحكم فيه طوارق الحجار[٢].

وكان أكبر الطرق الثلاثة هو طريق سجلماسة تغازى (تغاز - تغازة) تنبكت، الهام بالنسبة لتجارة الذهب والأهم كمعبر ثقافى[٣].

وتعد سجلماسة أهم موانى الصحراء، وبينها وبين بلاد السودان وسائر البلاد. تجارة غير منقطعة[٤]، وقد ازدادت أهمية سجلماسة بعد ترك الطريق

= ويرجع مكانة اير فى الحياة الاقتصادية للصحراء الكبرى أولا وقبل كل شيء إلى انه على ملتقى طرق القوافل الممتدة بين سكت واقاليم النيجر من ناحية وتوات وغات وغدامس وملاحات بلمة من ناحيةأخرى، ولذلك تتنازع قبائل افريقية مختلفة هذا الاقليم بيد أنه لايصلح كثيرا لقيام حكومة قوية فيه. وذكر الحسن أبن محمد الوزان الزياتى اير لأول مرة فى القرن ١٦ ويظهر أن اسم هذا الاقليم القديم هو اسبن ولايزال يعرف به عند السكان السود. دائرة المعارف الإسلامية الترجمة العربية، جـ٣، ص ١٨٨، ص ١٨٩، ص ١٩٠.

(1) Bovill, The golden trade, pp, 237-238.

(٢) وعن طوارق الحجار انظر ابن بطوطه الرحلة، جـ٢، ص ٢١٠، والترجمة الانجليزية لجب، ص ٣٣٧ - ٣٣٨. Bovill, op-cit, p, 238

(3) Bovill, op-cit, p, 235.

(٤) ابن حوقل، صورة الأرض، جـ١، ص ٩٩.

وسجلماسة (بكسر السين والجيم وسكون اللام) مدينة قديمة خربة، فى أقصى جنوب المغرب (مراكش) بالقرب من الريسانى الحالية، وكانت العاصمة التاريخية لمنطقة تافيلالت - وأسست فى سنة (١٤٠هـ / ٧٥٧ - ٧٥٨م)، والذين بنوها هم الخوارج، وصفها ابن حوقل (فى القرن

الموصل بين مصر وبلاد السودان وغانة على ظهر الواحات (كما سبق القول فى الفصل الخاص بالصحراء) فانتقلوا عنه إليها[1]. وأصبحت القوافل تعبر الطريق بالمغرب إلى سجلماسة، وسكنها أهل العراق، وتجار البصرة والكوفة، والبغداديون الذين كانوا يجتازون ذلك الطريق[2]. «وقد عظمت المدينة فى عهد المرابطين (٤٣٠هـ/ ٥٣٩هـ) الذين وجهوا جهودهم نحو بلاد السودان التى كانت سجلماسة بابها ولهذا السبب اعتبرها صاحب الاستبصار من أعظم مدن المغرب[3]. وهى مقصد للوارد والصادر كما يقول الادريسى[4]، وأهل هذه المدينة من أغنى الناس وأكثرهم مالا لأنها على طريق من يريد غانة التى هى معدن الذهب ولاهلها جرءة على دخولها[5].

= الرابع الهجرى) والبكرى فى القرن الخامس الهجرى، قال عنها: «وهى كثيرة النخل والاعناب وجميع الفواكه.. ويستطرد فيقول أن أرض سجلماسة كانت تزرع عاما وتحصد من تلك الزريعة ثلاثة أعوام لانه بلد مفرط الحر فاذا يبس زرعهم تناثر عند الحصاد، وارضهم مشققة فيرتفع ما تناثر منه فى تلك الشقوق فاذا كان فى العام الثانى حرث بلا بذر وكذلك فى الثالث... ويتميز نساؤهم كما يقول ياقوت بالحذق فى غزل الصوف فهن يعملن منه كل حسن عجيب بديع من الأزر تفوق القصب الذى بمصر يبلغ ثمن الأزار خمسة وثلاثين دينارا وأكثر كارفع مايكون من القصب الذى بمصر ويعملون منه غفارات يبلغ ثمنها مثل ذلك... ابن حوقل، صورة الأرض، جـ١، ص ٩١، البكرى، المغرب، ص ١٤٨-١٥١، الادريسى، صفة المغرب، ص ٦٠-٦١، الترجمة الفرنسية، ص ٦٩-٧٠ ياقوت، معجم البلدان، طبعة وستنفلد، جـ٣، ص ٤٥-٤٦، القلقشندى، صبح الاعشى، جـ٥، ص ١٦٣ ومايليها،
ency de l'slam, vol IV, p, 633, Tafilalt et vol IV, p, 419, "Sidjilmasa"

(١) ابن حوقل، صورة الأرض، جـ١، ص ٦١، ص ١٥٣.

(٢) ابن حوقل، صورة الأرض، جـ١، ص ٦١.

(٣) الاستاذ الدكتور سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربى، ص ٤٠٣.

(٤) الادريسى، صفة المغرب، ص٦١، الترجمة الفرنسية لدوزى ودجويه، ص ٧٠.

(٥) ياقوت، معجم البلدان، طبعة وستنفلد، جـ٣، ص ٤٦، القزوينى، آثار البلاد وأخبار العباد، طبعة بيروت، سنة ١٩٦٠، ص ٤٢.

وظلت سجلماسة تحتفظ بأهميتها إلى أن تخربت فى أواخر سنوات القرن الثامن عشر، وكانت قد بدأت فى الاضمحلال منذ عصر ليون. وحلت محلها مدينة Abuam المجاورة الموجودة فى اقليم المغرب الأقصى. ولكن أغلب التجارة تركت تافيلالت وبعضها ذهب إلى عين صالح عاصمة توات التى كان الوصول إليها سهلا من مراكش على طول وادى سواره"Saura" ، وذهب بعض التجار غربا إلى "Lektawa" فى وادى درعة، وإلى وادى نون[١]. وكان التجار الذين يتاجرون مع السودان من وادى نون Abuam يسافرون عن طريق Akka التى حلت محل سجلماسة فى تزويد وتجهيز القوافل عبر الصحراء. ومنها على طول الطريق القديم عبر تغازى و Taodeni[٢]. إلى تنبكتو بدلا من الاتجاه غربا عند تنورد إلى ولات (مثل ودان فى اضمحلال الآن ولكنها لازالت مشهورة بكفاءة صناع الذهب)، فان الطريق قد تبع المسار المباشر خلال أروان[٣].

ومعدن الذهب والفضة سمى معدنا لانبات الله فيه جوهرهما واثباته اياه فى الأرض حتى عدن أى ثبت فيهما.

وقال الليث المعدن مكان كل شيء يكون فيه أصله ومبدؤه نحو معدن الذهب والفضة والأشياء.

وفى الحديث فعن معادن العرب تسألونى قالوا نعم أى أصولها التى ينسبون إليها ويتفاخرون بها وفلان معدن للخير والكرم اذا جبل عليهما على المثل. ابن منظور، لسان العرب، جـ١٧، ص ١٥٠ -١٥١.

(1) Bovill, The golden trade, p, 235.

(٢) غلق معدن تغازى، واصدار اسكى ستفى امرا بألا يذهب إليه أحد كان كارثة بالنسبة لشعب النيجر الأعلى، نظرا لأنه إلى جانب الساحل، كان مصدرهم الوحيد للحصول على الملح، لكن ذلك الحدث دفعهم إلى اكتشاف معدن ملح جديد شهير عند «تنورد»Taodeni فى سنة ٩٩٤هـ / ١٥٨٥م، وهو يقع بين تغازى وتنبكتو. السعدى، تاريخ السودان، ص ١٢١، الترجمة الفرنسية لهوداس، ص١٩٤ ،Bovill, op-cit, p, 144.

(٣) اروان، ناحية تقع على بعد ٢٥٠ كيلو متر فى شمال تنبكت، على طريق هذه المدينة إلىTaodénit وإلى تندوف. دلافوس وهوداس، ترجمة تاريخ الفتاش بالفرنسية، ص ٣٧، هامش ٤.

وهناك فقد التحق به طريقان اخران، احدهما يجرى عبر بواب ومروك إلى تنبكتـو (تنبكت)، والاخـر ياتى من سنسندغ "Sansanding" على النيـجر الأعلى

وكان هذا الطريق تسيطر عليه قبيلة مسوفة (أصحاب اللثام)، ولهم لوازم على المجتازين عليهم بالتجارة من كل جمل وحمل، ومن الراجعين بالتبر من بلد السودان، كما يقول ابن حوقل، (التاجر النصيبى)(١)، وظلوا يسيطرون عليه حتى زمن ابن بطوطة (القرن الثامن الهجرى ، ١٤ م). ويتحكم فيه الان عـرب البـرابيش، وهم عـرب مـتبـربرين من المحتـمل أنهـم من أصل حميرى.(٢)

ولم يقلل من أخطار طريق تغازى تنبكتو، اتخاذه للتجارة لعدة قرون ففى عام ١٨٠٥م هلكت قافلة مكونة من الفين رجل، وألف وثمانمائه جمل من العطش، وكـانـت قـافلة من تنبكت عـبـر هذا الطريق، فلم ينج منهـا انسـان ولاحيوان(٣).

ومعظم الروايات التى امدنابها الكتاب تتكلم عن تجارة الذهب ومبادلته بالملح. وبالنسبـة للافريقى، فان الملح كـان الأهم بحيـث لانجاوز القـول بأن الذهـب كانت ترتكز قيمته بالنسبة للسودان أساسا على أساس قوته الشرائية للملح، فـقـد كـان دعامة تجارتهم الداخليـة، كـمـا كـان أسـاس تجـارتهم الخارجية، ولايمكن أن نفهم أيا منهما دون أن نعرف الأهمية القصوى التى كان عليها لاستمرار الإنسان(٤).

---

(١) ابن حوقل، صورة الأرض، جـ١، ص ١٥١
(2) Bovill, The golden trade of the Moors, p, 52.
(3) Bovill, op-cit, pp. 235-236
(4) Bovill The golden trade of The Moors, p, 236.

وملاحات الملح الطبيعي في جنوب السودان بأكمله لم تكن فقط ضئيلة بل أيضا مركزه في منطقة صغيرة في مركز الاقليم. وهي ملاحات ملح "Dallul Fogha" في دندى و Fadama أو سبخة Birnin Kebbi المجاورة، التي كانت تربتها مشبعة بالملح بحيث كان ممكنا الحصول عليه عن طريق التبخير. ولكن هذه كانت منابع ضئيلة ومناسبة فقط للاحتياجات المحلية البحتة. وفى الأماكن الأخرى فان الملح لم يكن من الممكن الحصول عليه الا عن طريق التجارة.

وعند مالم يكن ذلك ممكنا كما كان الحال غالبا بين القبائل الضعيفة والمنعزلة فانه كان يستخلص بكميات ضئيلة جدا من رماد الاعشاب، ومن سيقان نبات الدخن، وبعض الشجيرات وروث البهائم[1].

ورواية البكرى التى تقول ان الفرويين كانوا قد اعتادوا على تبادل الذهب بوزن مساو له من الملح لم يكن مبالغا فيها[2]. وتوجد رواية مماثلة عن مالى يذكرها العمرى فى كتابه «مسالك الابصار» تقول: «ان هناك بعض الناس كانوا يصلون بالملح إلى أناس من السودان يبدلون كوم الملح بكوم مواز له من الذهب»[3]. ويروى لنا ابن بطوطه أن حمل الملح كان يباع بمدينة مالى سنة (٧٥٣هـ/ ١٣٥٢م) بثلاثين مثقالا بل ويرتفع ثمنه إلى أربعين مثقالا[4].

ويقول الحسن الوزان، (ليون الافريقى)، (فى رحلته الثانية إلى السودان سنة ٩١٨هـ / ١٥١٢م)، عن مدينة تنبكتو .... لكن ينقصهم الكثير من

---

(1) Bovill, The golden trade, p, 236 - 237.

(٢) البكرى، المغرب، ص ١٧٤.

(٣) العمرى، مسالك الابصار (الفريقية هذا مصر)، الترجمة الفرنسية لديموميين، ص ٨٣، القلقشندى، صبح الاعشى، جـ٥، ص ٢٩١.

(٤) ابن بطوطه، الرحلة، طبعة التجارية، جـ٢، ص ١٩٢، الترجمة الانجليزية لجب، ص ٣١٨.

الملح نظرا لانه يحمل من تغازى (تغازة) التى تقع على مسافة حوالى خمسمائة ميل من تنبكت وقد تواجدت فى هذه المدينة فى وقت كان حمل الملح فيها يقدر بثمانين دوكات Ducats[١] وارتفاع الثمن جاء نتيجة لندرة وجود الملح فى السودان من ناحية، ومن ناحية أخرى لتعرض التجار الداخلين إلى بلاد السودان للمشقة والاخطار، وارتفاع الثمن هذا يؤكد أيضا أهمية الملح لدوام الحياة لدى السود.

ومن قرن مضى فقط فان رحالة أوربى فى هذه الجهات وهو الفرنسى Raffenel وجد نفسه بدون كمية الملح المطلوب، حتى انه كان على اتم استعداد ليعقد مثل تلك الصفقة. وهؤلاء الذين شاهدوا ذلك فقط هم الذين يستطيعون أن يلمسوا مدى عمق الشهوة إلى الملح بالنسبة لهؤلاء الذين لايملكون زادا مناسبا منه. وفى السودان الغربى فان الملح كان من الترف بحيث لايتمتع به بصفة منتظمة الا الأغنياء فقط[٢].

- وعلى ذلك لم يكن من الغريب أن يكون الملح على رأس الأشياء التى تهدى، كما نستبين من رواية صاحب الفتاش التى تقول .....« ويرسل اسكى لرئيسهم (أى لرئيس عبيده)، مع الرسول الذى يأتى منه لحمل صنونه الف كورية والكملية الواحدة من الملح والقميص الأسود والملحفة الأسود لزوجة ذاك الرئيس...»[٣].

---

(١) Jean-Léon L'Africain ,description de L'Afrique, tome p, 467.

«ولعل ارتفاع الثمن هذا هو الذى دفع البيرونى (توفى سنة ٤٤٠هـ / ١٠٤٨م) إلى القول بان أهل سجلماسة يتاجرون السودان مغابنة». البيرونى، القانون المسعودى، الطبعة الأولى، حيدر اباد الدكن، الهند، سنة ١٣٧٤هـ / ١٩٥٥م، جـ٢، ص ٥٥٤. (المقالة الخامسة).

(2) Bovill, The golden trade, p; 236.

(٣) محمود كعت، تاريخ الفتاش، ص ٩٥، الترجمة الفرنسية لدلافوس وهوداس، ص ١٨٠ .ويقول فى موضع أخر عن اسكى داود «فقال اسكى داود وانا كذلك احمل لك لابتغاء عفو الله تعالى

وتدين تنبكت للذهب والملح، كما يدين الطريق القديم الذى كانت تقع عند نهايته الجنوبية، ولم يكن أيهما يزرع أو يصنع بل كان يعتمد على الاستيراد فى طعامه وعلى تجارة الترانسيت في رخائه.

وكانت تنبكت تستمد أهميتها من موقعها فى نقطة على طريق النيجر الكبير، وكان هناك طريق يربطهما من الشرق مع مصر، وكان هذا الطريق يدخل اير من in Gall من حيث يمر خلال عين ازاوة Azawa وغات ومروزق، وأوجلة وسيوة إلى القاهرة، كما كان الوصول إليها سهلا من المغرب وأول مناطقه الصحراوية واحة توات. وكان يأتى إليها طريق تغازى بالملح وتجارة بضائع البحر المتوسط، وأرز النيجر، والدخن، والذهب والعبيد والعاج وجوز الكولا من سنسندنغ وجنى[1].

وهكذا كانت القوافل التجارية، تجتاز هذه الطرق السالفة الذكر، عبر الواحات ومعادن الملح نحو بلاد السودان. ورغم أن هذه المهمة كانت شاقة وصعبة وتكتنفها الاخطار – وذلك لشدة الغرر بالطريق ومشقة اختراق الصحراء التى لايوجد فيها الماء الا فى أماكن معلومة – الا أنها كانت مجزية من حيث كثرة الارباح التى كانت تعود على التجار، والتى جعلتهم بالتالى يولعون بالدخول إلى بلاد السودان وهؤلاء التجار كما يقول ابن خلدون «أرفة

= وغفرانه غرامة تاخذيه منى راس كل سنة، وهى الكملية الواحدة، والملحفة السوداء لله تعالى. وأمر بذلك فى ساعته واعطاهما اياها، أى الكملية الملح والملحفة السوداء. محمود كعت، تاريخ الفتاش، ص ١٠٦، الترجمة الفرنسية، ص ١٩٦.

ولابأس من الاشارة هنا إلى مايورده ابن الأثير فى نفس المعنى .. «لما فرغ طغرلبك من العرب سار إلى ديار بكر التى هى لابن مروان وكان ابن مروان يرسل إليه كل يوم الهدايا والملح .. ابن الأثير، الكامل، جـ٨، ص٧٨، احداث سنة ٤٤٨.

(1) Bovill, The golden trade, p, 238.

الناس وأكثرهم اموالا لبعد طريقهم ومشقته»، وذلك لأن نقل السلع إلى البلد البعيد المسافة الذى يحيط بطريقه الاخطار يكون اكثر فائدة واعظم ارباحا لأن السلعة المنقولة حينئذ تكون قليلة معوزة لبعد مكانها فيقل حاملوها ويعز وجودها واذا قلت وعزت غلت أثمانها[1]. وهكذا عمل معظم سكان الصحراء فى التجارة.

ونستبين من الاشارات التى امدنا بها الكتاب العرب، انه منذ نهاية القرن السابع الميلادى (الأول الهجرى) - عقب الفتح العربى للمغرب مباشرة - لاحظ التجار المسلمون من المشرق والمغرب - بدورهم - الموارد التى يمكن أن تكفلها لهم المبادلات مع السودان، الذين كانوا يقطنون فيما وراء الصحراء الجدبة فى مناطق غنية بالرجال وغنية بالذهب، فنظموا القوافل التى كانت تذهب إلى بلاد السودان، للبحث عن الخدم، والتبر، والعاج، والابنوس، وانياب الفيلة[2].

ويشترى أكثر التبر أهل وارقلان (وارجلان) وأهل المغرب الأقصى، ويرسل التبر إلى دور السكك ويضرب دنانير يتعاملون بها فى التجارة وغيرها[3].

وكانت العير القادمة إلى بلاد السودان تحمل إلى جانب الملح، الذى يعد أهم سلعة يتجهز بها إلى بلاد السودان. وارفع مايحمل اليهم[4]، ضروب

(١) ابن خلدون، المقدمة، الفصل الخاص، بـ «نقل التاجر للسلع»، طبعة التجارية، ص ٣٩٦.

(٢) ابن خلدون، العبر، جـ٦، ص ١٩٩، يقول: «ولما فتحت افريقية المغرب دخل التجار إلى بلاد المغرب فلم يجدوا فيهم أعظم من ملوك غانية كانوا مجاورين للبحر المحيط من جانب المغرب، الزهرى، كتاب الجغرافية، ص ١١٨.

(٣) الادريسى، صفة المغرب، ص ٨، الترجمة الفرنسية، ص ٩.

(٤) الاستبصار، ص ٢١٤، الزهرى، كتاب الجغرافية، تحقيق محمد حاج صادق ص ٢٢، ابو حامد الاندلسى، تحفة الالباب، ص ٤٢، الترجمة الفرنسية، ص ٢٤٣، ياقوت معجم البلدان، جـ١، ص ٨١٢، العمرى، مسالك الابصار، الترجمة الفرنسية لديمومبين، ص ٨٣.

الأمتعة من السلع مثل. النحاس المسبوك وآلات الحديد المصنوع، وخرز الزجاج، وهو يستعمل كثيرا فى هذه البلاد[1]، والودع والاصناف والاحجار التى تشبه العقيق، واساور نحاس وحلق وخواتم نحاس[2]، والاكسية وثياب الصوف والعمائم والمآزر[3] وضروب من الافاوية والعطر[4].

الجماعات التجارية فى غانة (انتشار الإسلام عن طريق التجارة):

وكان هؤلاء التجار لايكتفون بمصاحبة قوافل جمالهم، ولكنهم كانوا يقيمون فى جماعات - اقامة مؤقتة فى بعض الأحيان ودائمة فى أحيان أخر، فى المدن التجارية شمال السودان مثل: غانة ومالى (العاصمة) وجنى وتنبكت وكوكو. ويفهم من رواية ابن حوقل (كان موجودا بأودغست سنة ٣٤٠هـ) أن هذه الجماعات كان لها نظام خاص بها فرئيسهم مسلم ولايقبلون حكم غير المسلمين فيهم، ولايتولى حدودهم ولايقيم عليهم شهادة الامن فى دعوتهم[5]. ووصف البكرى لمدينة غانة، يبين أنه كان هناك مدينة (يقصد

---

(١) البكرى، المغرب، ص ١٧٩، الادريسى، صفة المغرب، ص ٣، ص ٦٦، الاستبصار، ص ٢٢٤-٢٢٥، ياقوت، معجم البلدان، جـ١، ص ٨١٢، القزوينى، آثار البلاد وأخبار العباد، طبعة بيروت ١٩٦٠، ص ١٩، القلقشندى صبح الاعشى، جـ٥، ص ٢٨٦ (ينقل عن الروض المعطار الذى ينقل الادريسى بدوره).

(٢) البكرى، المغرب، ص ١٨٢، ياقوت، معجم البلدان، جـ١، ص ٨١٢.

(٣) الادريسى، صفة المغرب، ص ٦٦ «وكلمة ازار تعنى كل ماسترك»، وكلمة بردة وكلمة ازار تستعملان فى نفس المعنى، Dozy, nomes des vétements chez les arabes, Amesterdam, 1845, p. 24-25.

(٤) الادريسى، صفة المغرب، ص٦٦، الترجمة الفرنسية لدجويه، ص ٧٦.

(٥) ابن حوقل، صورة الأرض، جـ٢، ص ٣٢٠، يقول: «..وكذلك العادة وجدتها فى كثير من بلدان الأطراف التى يغلب عليها املاك الكفر كالخزر والسرير واللان وغانة وكوغه والمسلمون لايقبلون أن يحكم عليهم الا مسلم منهم ولايقيم عليهم شهادة الا من فى دعوتهم».

حى)، يسكنها المسلمون وهى مدينة كبيرة تتضمن اثنا عشر مسجدا، أحدها يجمعون فيه، ولهذه المساجد الأئمة والمؤذنون ويوجد بها فقهاء وعلماء[1].

ومن نص البكرى لانستبين أن كان المسلمون من التجار (أى أجانب) أم من أهل البلاد الذين تأثروا بالمسلمين ودخلوا فى دعوتهم، ولكن أغلب الظن أنهم أجانب، لأن البكرى ينص فى موضع أخر على أن ديانة أهل غانة المجوسية وعبادة الدكاكير[2].

وعدد المساجد التى تحويها المدينة – وهذا العدد مبالغ فيه من غير شك – أن كان يدل على شىء فانما يدل على كثرة عدد الجاليات التجارية الإسلامية (الاجنبية) الموجودة وقتئذ فى غانة والى هذه الجماعات الإسلامية التجارية يرجع الفضل الأول فى نشر الإسلام بين السودان. ولكن رغم هذا لابد أن يكون بين هؤلاء المسلمين من هم من أهل البلاد وإن كانت النصوص لاتبين ذلك. ونص الاستبصار أكثر تحديدا من البكرى (رغم انه ينقله فى كثير من المواضع خاصة فيما يتعلق بالكلام عن بلاد السودان). يقول صاحب الاستبصار (وهو يكتب على أيام الموحدين). مدينة غانة مدينتان أحداهما يسكنها الملك، والأخرى يسكنها الرعية والتجار والسوقة. وفى مدينة الرعية جامع كبير ومساجد كثيرة وفيها الأئمة والمؤذنون والفقهاء والعلماء[3]. والرعية فى نص الاستبصار يقصد بهم العامة، أى أهل البلاد من الوطنيين، والتجار يعنى بهم تجار المسلمين من الأجانب، هؤلاء استهواهم ماوصل إلى سمعهم عن غنى البلاد الاسطورى – غانة أرض الذهب كما يصر على ذلك

---

(١) البكرى، المغرب، ص ١٧٥.

(٢) الاستبصار، ص ٢٢٠.

(٣) الاستبصار، ص ٢٢٠.

كل الكتاب - فقطنوها - والسوقة ويعنى بهم أما العامة أيضا أو أهل الأسواق من الوطنيين ممن يقومون بعلميات البيع والشراء البسيطة.

ومن نص الاستبصار يبدو أن التجار المسلمون رغم أنهم كانوا يعيشون فى جماعات لها نظمها الخاصة كما سبق القول الا أنهم كانوا يستوطنون مع الوطنيين فى مدينة واحدة ولم يكونوا بمعزل عنهم. ويفهم من هذه النصوص أن ملوك غانة كانوا يحسنون معاملة التجار المسلمين، ويتركونهم يمارسون بحرية شعائر دينهم، ولم يقتصر الامر على هذا الحد بل تقول رواية صاحب الاستبصار «انه كان فى مدينة الملك مسجد يصلى فيه من يفد عليه من تجار المسلمين»[1].

ولقد اتت هذه السياسة أكلها بطبيعة الحال فعن طريق الاحتكاك السلمى بين التجار المسلمين وبين الأهالى من الوطنيين تسرب الإسلام شيئا فشيئا إلى بلاد السودان.

انتشار الإسلام عن طريق التبشير:

ولابأس من الاشارة هنا إلى نشاط بعض التجار من شيوخ الاباضية فى بلاد السودان: فى غانة ومالى - وأن كان مالدينا من أمثلة قليل - هؤلاء النفر من الشيوخ لم يكن هدفهم هو الطمع فى الدنيا وجمع الكثير من الثروات فقط بل كان أمامهم هدفا اسمى هو: التبشير بالإسلام والدعوة إليه والعمل على توطيد اركانه فى هذه البلاد النائية.

والمثل لذلك أحد شيوخ الاباضية الذى قام بدعوة ملك السودان إلى الإسلام، ونجح فى حركته وانتهى الامر بدخول الملك فى الإسلام.

---

(١) الاستبصار، ص ٢٢٠.

تقول رواية الشماخي (توفى سنة ٩٢٨ هـ/ ٥٢١ د ١٥٢٢م)، صاحب كتاب السير أو سير مشايخ جبل نفوسة (وتاريخها غير محدد) ..». [1] وسافر أبو يحيى إلى بلاد السودان فوجد ملكهم دقيق الجسم خائر القوى، وسأله عما به قال خوف الموت، فأخبره الشيخ عن الله وصفاته سبحانه وكلمه عن الجنة والنار والحساب وما أعد الله للمطيع والعاصي، ولكن الملك كذبه وقال «لو صح عندك ماتقول مابلغت إلينا لطلب الدنيا»،.... ولكن الشيخ ظل في تبشيره للملك ذاكرا له نعم الله حتى أسلم وحسن اسلامه، ومنحه الإسلام قوة عظيمة[2].

هناك مثل آخر لأحد شيوخهم، وهو يسمى على بن يخلف. تقول الرواية: «ومن أعظم كراماته ما اشتهر عند الموافق والمخالف وذكر ذلك البكرى فى المسالك والممالك الا أنه لم يسمه وسماه غيره - وهو أنه سافر إلى دواخل غانة تاجرا (فى مدينة مالى)، فقام بها، وكان يتمتع بمكانة كبيرة لدى ملكها، وحل الجدب ببلادهم، واشتكت الرعية إلى السلطان وقاموا بصلاة الاستسقاء، وكان الشيخ على على سفر (كما تقول الرواية)، فطلب منه الملك أن يدع ربه لعله يفرج عنهم كربتهم، فقال له الشيخ «أيها الملك لو أمنت بالله تعالى وأقررت بوحدانيته وبمحمد عليه الصلاة والسلام وأقررت رسالته واعتقدت شرائع الإسلام كلها لرجوت لك الفرج مما انت فيه»، واستمر الشيخ يصف له الإسلام حتى انتهى الامر بإسلامه واخلاص نيته، وقام الشيخ بتعليمه ماتيسر من القرآن وعلم الفرائض والسنن، وانتظر إلى ليلة

(١) الشماخي، السير، طبعة الجزائر، ص ٣١٢.

(٢) الشماخي، السير، ص ٣١٢.

فأمر الملك بالتطهر فتطهر وألبسه ثوب قطن كان عنده وخرج معه إلى كدية فقام الشيخ يصلي والملك يتبعه والمسلم يدعو والملك يقول آمين، فما [illegible] الصباح الا وسقط المطر(1) (ربما نتيجة لحلول فصل الامطار وقتئذ). وتقول رواية البكري: أن الملك أمر بعد ذلك بكسر الدكاكير واخراج السحرة (وهم كهنة الديانة القومية)، من بلاده ودعا الملك أهل بيته والمقربين إليه إلى الإسلام فلبوا الدعوة، تقول رواية البكري، وصح اسلامه واسلام عقبه وخاصته وأهل مملكته مشركون(2)، وأخذ الشيخ كما تقول رواية الشماخي، يعلمهم الصلاة وفرائض الدين والقرآن(3) ويعلق الشماخي على تلك الرواية بقوله: «وهذا سبب دخول الإسلام بلاد السودان بعامة وقبائلها»(4). وبرغم الطابع الروائي الذي يغلف القصة، الا [illegible] صحة روايات الشماخي؟ وهل كان [illegible] أهل السنة) الخوارج من [illegible] [illegible] أن يحاولوا [illegible] في نشر الإسلام [illegible] الخوارج ظهروا بمظهر المحافظين على الشرع [illegible] العودة بالإسلام إلى نقائه الأول، ووصفوا بأنهم أهل صيام وقيام [illegible]

وظهر الإسلام بوضوح في [illegible] تنبكت) لأن موقع هذه المدن الجغرافي هيأ لها فرصة اتصال أكبر بالعالم [illegible] حضارات مستجلبة من الخارج [illegible] تيارات فكرية وثقافية خارجية، وعرفت مظاهر حضارة أرقى [illegible]

---

(1) الشماخي، السير، ص ٤٥٧ ، البكري، المغرب، [illegible]

(2) البكري، المغرب، ص ١٧١

(3) الشماخي، السير، ص ٤٥٧

(4) الشماخي، السير، ص ٤٥٧

وفى القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى)، تأسست على النيجر الأعلى مدينتان قدرلهما فى القرون التالية أن تؤثرا تأثيرا قويا فى تقدم الإسلام فى بلاد السودان الغربى.

المدينة الأولى، مدينة جنى (وهذه المدينة تقع على نهر بنى فى وسط السهل الفيضى لدلتا النيجر الأوسط، وعلى بعد ٣٦٠ كيا. متر من جنوب غرب تنبكت، و٣٠٠ شرق وشمال شرق سيجو[١].

التى تقول الرواية انها تأسست سنة (٤٣٥هـ / ١٠٤٣ - ١٠٤٤)[٢] وهى سوق ومركز تجارى هام، «وفيها يلتقى أرباب الملح من معدن تغاز وأرباب الذهب من معدن بيط كما يقول السعدى»[٣].

والمدينة الثانية، مدينة تنبكت، التى اسسها «تولرق مغشرنه»، حوالى سنة ٤٩٠هـ / ١١٠٠م (بعد موت أبى بكر بن عمر بعشر سنوات)، وهى مدينة مغربية فى قلب السودان، وكانت تنبكتو منذ نشأتها مدينة اسلامية خالصة «مادنستها عبادة الأوثان، ولا سجد على اديمها قط لغير الرحمن» كما يقول السعدى صاحب تاريخ السودان[٤].

وقد صارت هذه المدينة فيما بعد «مأوى للعلماء والعابدين»[٥]، ومركزا للعلم والفكر والثقافة فى السودان الغربى.

---

(1) Trimingham, A history of islam in west Africa, p, 63, ency de l'islam Nouv. édit, vol II, p, 259.

(2) Arnold, the preaching of islam, second édition, London, 1913, ينقل عن Meyer الذى ينقل بارث بدوره p, 318.

(٣) السعدى، تاريخ السودان، ص ١١، الترجمة الفرنسية لهوداس، ص ٢٢.

(٤) السعدى، تاريخ السودان، ص ٢١.

(٥) السعدى، تاريخ السودان، ص ٢١.

وهكذا خلال مئات من السنين كان لابد أن تحدث أشياء أخرى، غير تبادل التجارة والبضائع، فقد صحب ذلك تبادلا للأفكار والثقافات، وهو أهم لنمو الحضارة من مجرد تبادل البضائع.

العلاقات السياسية: انتشار الإسلام عن طريق الحرب والسياسة

قامت قبائل صنهاجة من الملثمين «الساكنين بصحراء المغرب وأطراف الرمال فيما بين البربر والسودان»[1]، بدور عظيم في نشر الإسلام بين السودان.

ويبدوا أن إسلام قبائل صنهاجة أهل اللثام، قد بدأ منذ البداية، فقد سبق القول أن قبائل جزولة أتت إلى عقبة ودعاهم إلى الإسلام فاسلموا وعادوا إلى منازلهم (٦٢-٦٣هـ)[2].

أما لمتونة فقد أسلموا - كما تقول النصوص - «بعد فتح الأندلس وكانوا على دين المجوسية»[3].

ولابأس من الاشارة هنا إلى أن زناته سبقت صنهاجة في الإسلام، وتقول رواية ابن خلدون أنهم اسلموا منذ أيام عثمان بن عفان (٢٣هـ - ٣٥هـ/ ٦٤٤ - ٦٥٦م) وذلك عند ماذهب أمير مغراوة صولات بن وزمار إلى المدينة، وقابل أمير المؤمنين عثمان ابن عفان رضى الله عنه «فمن عليه وأسلم فحسن إسلامه»[4].

ويمثل صنهاجة الملثم في أيامنا هذه - المور في الغرب، والطوارق في

(١) ابن خلدون، المقدمة، طبعة التجارية، ص ٨٧.
(٢) انظر فيما سبق الفصل الخاص بالإسلام في الصحراء
(٣) ابن خلدون، العبر، جـ٦، ص ١٨١.
(٤) ابن خلدون، العبر، جـ٧، ص ٢٤

وسط الصحراء[1]. ونستدل من الروايات على أن بذور الإسلام التى وصلت إلى الصحراء - إلى صنهاجة الرمال -وجدت أرضا صالحة، وعملوا بدورهم على نشر الإسلام فيما وراء صحرائهم في بلاد السودان، مواصلين بذلك حركة المد الإسلامى التى غمرتهم. وكان أصحاب اللثام (كما سبق أن رأينا في الفصل الخاص بسكان الصحراء، قد وصلوا فى سبيل البحث عن أرض صالحة لرعى قطعانهم إلى قلب الصحراء المغربية وجولوا فى معظم الأماكن الملائمة للرعى التى كانت تقطنها الجماعات السودانية)[2] وأصبح السودان بدورهم يدفعون الجزية.

واحتفظ لنا ابن خلدون بصدى ذلك الصراع: «ودوخوا تلك البلاد الصحراوية، وجاهدوا من بها من أمم السودان، وحملوهم على الإسلام فدان به كثير واتقاهم آخرون بدفع الجزية[3].

والذى يستحق الملاحظة لأول وهلة، فى العلاقات بين الملثمين والسودان، انه على عكس العلاقات الطيبة التى كانت تربط بين السودان وبين أباضية الرستميين من الخوارج فى تاهرت والفرع الآخر من صنهاجة (صنهاجة الشمال، أهل الحضر) (بنو زيرى بن مناد الصنهاجي بأفريقية)، كانت العلاقات سيئة وفاترة تكاد تتمزق فى كثير من الأحيان بين صنهاجة الرمال وبين جيرانهم فى الجنوب (كما سنرى فيما بعد فى الفصل الخاص بمملكة غانة)، وكانت تصل إلى حد قيام الحرب بين الطرفين.

وكانت رياسة قبائل صنهاجة للمتونة كما يفهم من رواية ابن خلدون:

(1) Trimingham, A history of islam in west Africa, p, 20.

(٢) انظر ماسبق الفصل الخاص بسكان الصحراء.

(٣) ابن خلدون، العبر، جـ٦، ص ١٨١.

وأول دولة ظهرت عند صنهاجة اللثام - كانت معاصرة للرستميين في تاهرت (في المغرب الأوسط - الجزائر الحالية) للأدارسة في فاس (المغرب الأقصى) - وتبالغ الروايات في وصف ملك حاكمها تيولوتان اللمتوني (مات سنة ٢٢٢ هـ / ٨٣٦ - ٨٣٧م)، فتقول أنه كان يركب في مائة الف نجيب، وأن عمله كان مسيرة شهرين في شهرين، وتحت امرته، حقق الصنهاجة انتصارهم على القبائل السودانية التي كانت تابعة لمملكة غانة الوثنية، وفرضوا الجزية عليهم[(١)].

وتولى الملك بعده يلتان (وكانت دولته معاصرة للأدارسة في فاس)، وساس أمورهم وتوفى في سنة ٢٨٧ هـ / ٩٠٠م. وخلفه أبنه تميم، وقام بتدبير الأمور، وانتهى الأمر بمقتله على يد شيوخ صنهاجة سنة (٣٠٦هـ / ٩١٨ - ٩١٩م)[(٢)]، وكانت دولته معاصرة لخلافه عبد الرحمن الناصر في الاندلس، وخلافة عبيد الله المهدى في المغرب. وعقب مقتل تميم استعادت الممالك السودانية بدون شك استقلالها، ولكن ظل صنهاجة اسياد الصحراء[(٣)].

وبين سنة ٣٥٠ وسنة ٣٦٠ هـ (٩٦١ - ٩٧١م)، كان حاكم أودغست الصنهاجي يدعى تين يروتان بن ويسنو بن نزار، وطلب منه تعرين (يعرين؟) ملك ماسين المدد في حربه ضد ملك أوغام فأمده بخمسين ألف نجيب (وهو عدد مبالغ فيه بلا شك، والهدف من ذلك هو اظهار عظم

---

(١) ابن خلدون، العبر، جـ٦، ص ١٨١؛ ويكتب ابن أبي زرع اسمه في شكل تيلوتان، روض القرطاس، ص ٨١. ويسميه أبن الخطيب برلوفان «ابن الخطيب، اعمال الاعلام (القسم الثالث) تحقيق أ.د. أحمد مختار العبادى، محمد إبراهيم الكتاني، الدار البيضاء، ١٩٦٤، ص ٢٢٥.

(٢) ابن خلدون، العبر، جـ٦، ص ١٨٢.

(3) Terrasse, H. du Maroc, tome II, p, 213.

ملكه) دخلت مدينة أوغام، واستولى على البلد وأحرقها.

ولما رأى أوغام ماحدث هان عليه الموت وخرج. ورمى بدرقته إلى الأرض وقاتل حتى قتل، فلما رأته النسوة قتيلا، قتلن انفسهن بطرق مختلفة «أسفا عليه وأنفة من أن يملكهن البيضان»[١]. وهذه الرواية تشير إلى النزاع مع غانة، أو اعمالها التابعة لها، لأن البكرى فى موضع أخر يذكر أن أوغام هذه كانت منطقة تقع شرق غانة[٢].

وعقب مقتل تميم اختلف أمر صنهاجة أصحاب اللثام لمدة مائة وعشرين عاما إلى أن تولى أمرهم الأمير أبو عبد الله محمد المعروف بتارسنا اللمتوني[٣]، «وكان من أهل الفضل والدين والحجج والجهاد». ذهب إلى مكة لاداء فريضة الحج، وقد ظل أميرا على صنهاجة مدة ثلاثة أعوام، واستشهد أثناء جهاده السودان بموضع يدعى قنقارة من بلاد السودان[٤]. حوالى سنة (٤٢٨ - ٤٢٩هـ / ١٠٣٦ - ١٠٣٧م)، واستعاد السوذان مدينة أودغست[٥]، حاضرة صنهاجة وثغرهم.

وبعد أن توفى الأمير محمد اللمتوني، تولى إمره صنهاجة من بعده، صهره يحيى بن ابراهيم الكدالي وكان يحيى مصاهرا يبت ورتنطق (ورتانطق) وفيهم كانت رياسة لمتونة[٦].

(١) البكرى، المغرب، ص ١٥٩.

(٢) البكرى، المغرب، ص ١٨٠.

(٣) تارسنى لدى البكرى، المغرب، ص ١٦٤، روض القرطاس، ص ٨١، ابن الخطيب، اعمال الاعلام، جـ٣، ص ٢٢٦، (يسميه محمد بن تيفات اللمطى)، ابن خلدون، العبر، جـ ٦، ص ١٨١.

(٤) البكرى، المغرب، ص ١٦٤، ابن أبى زرع، روض القرطاس، ص ٨٢، «يذكر انه استشهد فى غزاة له بموضع يقال له بغدرة».

(5) Terrasse, H. du Maroc, tome II, p, 214.

(٦) ابن خلدون، العبر، جـ٦، ص ١٨٢.

وبذلك انتقلت الزعامة من لمتونة إلى جدالة. وهو رجل يتصف بالصلاح والورع وبعد أن آل إليه الملك، رأى أن يصلح قومه عن طريق اصلاح دينهم إلى جانب اعتماده على عصبية لمتونة التي كان يرتبط بها برباط المصاهرة كما سبق القول. فاستخلف ولده ابراهيم بن يحيى في الرياسة، وتوجه هو ونفر من رؤساء قبيلته إلى المشرق بغرض اداء فريضة الحج، وزيارة قبر الرسول ﷺ، قبل عام ٤٣٠هـ، (وان كانت رواية ابن خلدون تحدد حجة بسنة ٤٤٠هـ)[1]. وبعد أن قضى فرضه، قفل راجعا وأصحابه إلى بلدهم، وفي الطريق توقفوا في القيروان، وقصدوا الفقيه أبا عمران الفاسي (توفي سنة ٤٣٠هـ) شيخ المذهب المالكي[2]، وسأل الفقيه يحيى عن قبيله، وعن مذهبهم فرد عليه الأخير بقوله «مالنا علم من العلوم ولامذهب من المذاهب لأننا في الصحراء منقطعين لايصل إلينا الا بعض التجار جهال حرفتهم الاشتغال بالبيع والشراء وفينا أقوام يحرصون على تعلم القرآن وطلب العلم[3]، وطلب منه أمير جدالة أن يرسل معه من تلاميذه من يثق بعلمه ودينه ليعلمهم القرآن ويفقههم في الدين.

وتقول الرواية: أن الشيخ دعا تلاميذه إلى ذلك الأمر فرفضوا وأشفقوا من دخول الصحراء، وعندئذ كتب الفقيه أبو عمران إلى الفقيه وجاج بن زلو

---

(١) ابن الخطيب، اعمال الاعلام، القسم الثالث، ص ٢٢٦، ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص ٨٢، ابن خلدون، العبر، جـ٦، ص ١٨٢.

(٢) وهو ابو عمران موسى بن الحجاج الفاسي، ولد بفاس ثم ارتحل إلى القيروان واخذ بها العلم عن أبي الحسن القابسي، ثم رحل إلى بغداد فحضر بها مجلس الفقيه أبي بكر بن الطيب فأخذ عنه علما كثيرا، ثم عاد إلى القيروان فلم يزل بها إلى أن توفي في ١٣ رمضان سنة ثلاثين وأربعمائة، ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص ٨٢.

(٣) الحلل الموشية، ص ٧.

اللمطي (وهو أحد تلامذته)، وكان مقيما في مدينة نفيس، وجمع الفقيه تلامذته،وانتهى الأمر بأن اهتدى الفقيه اللمطي إلى أحد تلاميذه، وأصله من قبائل الملثمين وهو عبد الله بن ياسين بن بلك الجزولي، وهو من قرية تسمى تماماناوت في طرف صحراء مدينة غانة (كما يقول البكري)[1].

وهكذا تم اللقاء بين يحيى بن إبراهيم، وابن ياسين في نفيس، وعاد الأمير الجدالي إلى صنهاجة اللثام وبصحبته عبد الله بن يس، واستقبلت قبائل كدالة ولمتونة الفقيه بالترحيب.

ولانعرف الكثير عن ابن ياسين، وينفرد صاحب الحلل الموشية بذكر رواية لاندري مبلغها من الصحة تقول أن ابن ياسين. كان قد دخل الاندلس في دولة ملوك الطوائف اقام بها سبع سنين يلازم للقراءة فحصل علما كثيرا وعاد إلى المغرب الأقصى[2]. وبدأ عبد الله بن ياسين حركة الاصلاح، بتعليم صنهاجة الرمال أصول الإسلام ، مبينا لهم الشرائع والسنة، آمرا لهم بالمعروف وناهيهم عن المنكر[3]، وكانوا يوافقونه ولكنهم أخذوا عليه بعد ذلك أشياء فخرجوا عليه، وتعرض ابن ياسين لكثير من العنت والشدة، وتزعم الثورة ضده فقيه من المحليين اسمه الجوهر بن سكم – ربما دفعه إلى ذلك حقده على ابن ياسين فكلا الرجلين كانا من الفقهاء، ويعاونه اثنين من أعيانهم أحدهما يسمى ابار، والآخر اينتكوا، وطردوه، وهدموا داره ونهبوا ماكان فيها كما تقول رواية البكري[4].

---

(١) البكري، المغرب ص ١٦٥ ، روض القرطاس، ص ٨٣-٨٤، ابن خلدون العبر، جـ٦، ص ١٨٢ .

(٢) الحلل الموشية، ص ١٠.

(٣) ابن أبي زرع، روض القرطاس،ص ٨٤.

(٤) البكري، المغرب، ص ١٦٥ – ١٦٦ .

وابن خلدون، يمدنا برواية يفهم منها أن أهل اللثام اختلفوا على ابن ياسين بعد موت يحيى بن ابراهيم، ونص هذه الرواية: «... ثم هلك يحيى بن ابراهيم وافترق أمرهم وأطرحوا عبد الله بن ياسين واستصعبوا عمله وتركوا الأخذ عنه لما تجشموا فيه من مشاق التكليف..»[1]. هذا بينما تنص رواية ابن أبي زرع على أن الاختلاف حدث على أيام يحيى بن ابراهيم[2].

وهكذا انتكست حركة الاصلاح، وأصبحت الاقامة في ديار الملثمين غير مستطاعة، ولم يكن أمام زعماء الاصلاح الا الهجرة. وعندئذ رحل عبد الله ابن ياسين وبصحبته يحيى ابن ابراهيم، وصحبتهما بضعة نفر من لمتونة وجدالة، وأسسوا رباطا يقع في جزيرة عند مصب السنغال الأدنى[3]، وظل عبد الله وصحبه في الجزيرة يعبدون الله، وتسامع الناس في أرجاء الصحراء بهذه الجماعة الصالحة، وذهب الكثيرون إليهم في رباطهم ودخلوا في دعوتهم، وسماهم عبد الله بن ياسين المرابطين للزومهم رابطته كما يقول ابن ابى زرع. ولما كمل عددهم ألف رجل، قرر عبد الله بن ياسين، أن تترك الجماعة الرباط وتبدأ الجهاد. وكان الرباط قد مر بمرحلة حرجة، عندما مات الأمير يحيى بن إبراهيم الجدالي، واستعرت الأهواء حول من يخلفه في رياسة صنهاجة، وحدث فيما يبدو - نوع من التنافس بين رجال قبيلتي لمتونة وجدالة، وانتهى الأمر باختيار ابن ياسين ليحيى بن عمر اللمتوني ليخلف الأمير الراحل يحيى بن ابراهيم الجدالي. والحقيقة أن لمتونة هي أقوى قبائل

---

(1) ابن خلدون، العبر، جـ٦، ص ١٨٢ - ١٨٣.

(2) ابن ابى زرع، روض القرطاس، ص ٨٤.

Delafosse,Les Noirs de L'Afrique, p. 46.

(3) ابن ابى زرع، روض القرطاس، ص ٨٤ - ٨٥، ابن الخطيب، اعمال الاعلام جـ٣، ص ٢٢٨.

الملثمين، وكان اختيار ابن ياسين ليحيى بن عمر وضعا للشيء في موضعه الصحيح[1].

وطلب ابن ياسين (مهدى المرابطين)، من تلامذته العودة إلى قبائلهم وعشائرهم والعمل على دعوتهم إلى الحق[2]. وبعد أذعان قبائل لمتونة ومسوفه ولمطة، تم الاتحاد السياسى بين صنهاجة الرمال، وبدأ الجهاد الفعلى. وكان الهدف منه هو تحقيق غايتين: أولاهما: غزو بلاد السودان وادخال القبائل السودانية فى الإسلام، وثانيهما: السيطرة على بلاد المغرب والقضاء على قوة زناته، وعلى الزندقة الدينية التى كان المغرب فريسة لها منذ عدة سنوات[3].

وفى عهد الأمير يحيى بن عمر اللمتونى، بدأ الصراع العنيف ضد ملوك الونجارة فى غانة الذين كانوا يمثلون الوثنية، وانسالت عساكر المرابطين ناحية الجنوب، وافتتحت أودغست سنة (٤٤٦هـ / ٥٤ – ١٠٥٥م) كما سنرى بالتفصيل فيما بعد فى الفصل الخاص بدولة غانة.

واستشهد الأمير يحيى بن عمر سنة ٤٤٨هـ، وتولى زعامة صنهاجة من بعده اخوه أبوبكر ابن عمر، الذى فتح بابا من جهاد السودان كما يقول ابن خلدون[4]، واستولى على غانة فى سنة ٤٦٩هـ – ١٠٧٦م، وأدخل أهلها فى الإسلام.

وفى نفس الوقت كان عبد الله بن ياسين وتلامذته يقومون بدعاية دينية حية بين السود القاطنين حينذاك على ضفة السنغال، وكذلك الشعوب

(١) ابن ابى زرع، روض القرطاس، ص ٨٥ – ٨٦، ابن الخطيب، اعمال الاعلام، جـ٣، ص ٢٢٨.

(٢) ابن أبى زرع، روض القرطاس، ص ٨٥ – ٨٦.

(٣) ابن ابى زرع، ص ٨٥–٨٦، ابن خلدون، المقدمة، الفصل الخاص «فى أن الدعوة الدينية تزيد الدولة فى أصلها قوة على قوة العصبية التى كانت لها من عددها، طبعة التجارية، ص ١٥٨.

(٤) ابن خلدون، العبر، جـ٦، ص ١٨٣.

النيجرية. وفى الحقيقة كانت الدعوة دائما تقابل بمقاومة كانت تنتهى حين لم يكن هناك وسيلة أخرى لاظهارها بخروج السكان. وبهذه الطريقة فان أغلبية السرر[١] هاجروا إلى الضفة الشمالية من النهر فى التكرور (السنغال الآن)، ومن التكرور خرج عدد كبير للتجمع فى السين حيث لانزال نجدهم حتى اليوم، وهكذا تركوا الميدان حرا للبربز فيما صار من ذلك الوقت موريطانيا، يطاردهم فى نفس الوقت الرغبة فى الهرب من ضغط المرابطين والاهتمام بالبحث عن أراض أكثر خصوبة وأقل جفافا.

وبدأ الفلان (الفلاتة) أيضا فى ترمس وتاجنت، فى الرحيل مع قطعانهم ناحية التكرور (السنغال)، مدفوعين بأسباب مماثلة. ومع ذلك فان بعض العائلات الملكية قد جذبتهم إلى الديانة الجديدة الهيبة التى تلحق بمعتنقيها قد اصطفوا برغبتهم تحت راية محمد (ﷺ)[٢]. وهكذا كان حال الأمراء الذين كانوا يمسكون بزمام السلطة فى التكرور، تحت الولاية البعيدة لأباطرة غانة، والذين كانوا ينتمون مثل هؤلاء الأخيرين لجنس السركلة.

وقام أحد تلاميذ عبد الله بن ياسين الذى تنتشر عنه اساطير كثيرة والذى انتقلت ذكراه الينا تحت عدة أسماء مختلفة منها ابا درداء - بادخال امراء وأعيان التكرور فى الإسلام[٣].

وتقول رواية البكرى أن وارجابى ملك التكرور (وزجاى بن ياسين عند صاحب الاستبصار) أسلم هو وأسرته فى بداية القرن الخامس الهجرى (١١م)، سنة ٤٣٢هـ. وتبعه في إسلامه أهل مدينته، وعمل وارجابى بدوره

---

(١) دلافوس، السود فى افريقية، بالفرنسية، ص ٤٨.

(2) Delafosse, Les Noirs de L'Afrique, p, 48.

(٣) دلافوس، نفس المرجع، ص ٤٨، دائرة المعارف الإسلامية، بالفرنسية، جـ، ص .

علي جهاد كفرة السودان، وادخل الإسلام إلى مدينة سلى[1]. هذا بينما تذكر رواية ابن حزم (توفى سنة ٤٥٦هـ / ١٠٦٤م).

أن إسلام ملوك سلى والتكرور كان سنة ٤٣١ هـ ونص الرواية : «بلغت في عام احدى وثلاثين واربعمائة أنه اسلم أهل سلا وتكرور، وهما أمتان عظيمتان من بلاد السودان، أسلم ملوكهم وعامتهم»[2].

وليس من الغريب أن عبد الله بن ياسين حين رأى أعراض صنهاجة أصحاب اللثام واتباعهم اهواءهم، فكر في الرحيل عنهم «إلى بلاد السودان الذين دخلوا في الإسلام (تكرور) اذ كان الإسلام بها قد كثر» كما تقول رواية ابن ابى زرع[3].

وأحد بربر لمتونة الذى لم يكن تبعا لليون الافريقى (الحسن الوزان)، الا والد يحيى بن عمر وأبو بكر بن عمر المشهور قد ذهب حتى الماندنغ (مالى)، ونجح في ادخال ملك هذه البلاد المسمى برمندانة فى الدين الجديد وجعله يقوم بالحج إلى مكة. ويحدد دلافوس ذلك الحدث بسنة ٤٤٢هـ[4]. وليس هناك أى دليل على قرن برمندانة بملك ملل الذى ذكره البكرى (المسلمانى)؟.

ولابأس من الاشارة إلى أن طبعة كتاب «وصف افريقية» للحسن الوزان، التي رجعت اليها لاتوجد بها تلك الرواية لكن الحسن يقول عند كلامه عن

---

(١) البكرى، المغرب، ص ١٧٢، الاستبصار، ص ٢١٧.

(٢) ابن حزم، جوامع السيرة وخمس رسائل أخرى، تحقيق د. احسان عباس، د. ناصر الدين الاسد، مجموعة تراث الإسلام، طبعة دار المعارف، مصر، ص ٣٥٠. (الرسالة الرابعة)، جمل فتوح الإسلام بعد رسول الله ﷺ.

(3) Delafosse, Les Noirs de L'Afrique, p. 48.

مالى. هم (أى أهل مالى) فى الواقع أول من ارتبطوا بالديانة الإسلامية (بديانة محمد)، كان يحكمهم فى عصر اعتناقهم الإسلام أعظم امراء ليبيا الذى كان عم يوسف ملك مراكش[١].

ويقول دلافوس، ويتعين علينا بالرغم من ذلك ألا نغالى فى أهمية أدخال السود إلى الإسلام عن طريق المرابطين، ولاأن نقول كما فعلوا فى بعض الأحيان أن هؤلاء قد ادخلوا كل السودان فى الإسلام.

وفى الحقيقة لم يكن الإسلام صحيحا الا عند الأمراء وكبار الموظفين والمحيطين بهم بصورة مباشرة أما جماعة الشعب، فانها أما صمدت للإسلام بواسطة الخروج كما سبق أن رأينا فيما يتعلق بالسرر والفلان، أو أنها لم تترك نفسها تتأثر بجهود الدعاة المرابطين كما هو حال الولف Ouolofs (الجلف)، والماندنج (الونجارة)[٢].

ولم يدخل الإسلام بعمق وبقوة وبامتداد الاعند التكرور وعند السنغى وشىء غريب عند السركلة والديولا وانتهى الأمر بالسركله الذين كانوا يمثلون العنصر الوثنى فى أقصى قوته إلى الاقتداء بغالبيهم واعتناق ديانتهم وأصبحوا فيما بعد أفضل المسلمين فى كل السودان الغربى. ونقلوا معهم الدين الإسلامى إلى مناطق عديدة كثيرة من السنغال والساحل وماسنة حيث استقروا بعد سقوط غانة وتفرق سكانها كما أنهم نقلوها إلى شعب الديولا الذى نقل بدوره الإسلام حتى الحدود الشمالية للغابات الاستوائية[٣].

(١) ليون الافريقى، وصف افريقية بالفرنسية، جـ٢، ص ٤٦٦.
(2) Delafosse, Les Noirs de L'Afrique, pp, 48, 49.-
(٣) دلافوس، نفس المرجع السابق، ص ٤٩.

أثر الهجرة الهلالية علي انتشار الإسلام في الصحراء والسودان:

كان للهجرات العربية التي استقبلتها بلاد المغرب في القرنين الخامس والسادس الهجري (الحادي عشر والثاني عشر الميلادي)، نتائج بعيدة المدي في السودان المغربي فقد وصلت بعض القبائل العربية ـرب الصحراء، مثل بني حسان[١]، فإنهم بعد أن أجتاحوا جنوب المغرب الأقصي، وغزوا أدرار، وصلوا إلي أسافل السنغال في نهاية القرن السادس عشر، ثم توجهوا شرقاً (شرقوا)، إلي تاجنت والحوض. ويفهم من رواية ابن خلدون انهم كانوا علي اتصال بمملكة مالي[٢].

وكان علي قبائل البربر الذين يقطنون هذه الأماكن شمال السنغال[٣]، والنيجر أن يختاروا، أما الخضوع للسيطرة العربية، وأما الهجرة. وفي الحقيقة اعتنق معظمهم الإسلام، ومع مرور الوقت تعّربوا. وتمكنت بعض القبائل في الأماكن النائية من الصحراء من الافلات من الغزو. ويمثلهم اليوم الطوارق بينما قلة مثل جدالة عبرت النيجر وتقدمت إلي بلاد السودان[٤].

---

(١) «ذوي حسان بطن من بطون المعقل، وكان دخولهم إلي المغرب مع الهلاليين في عدد قليل «منتصف القرن الخامس الهجري»، يقال أنهم لم يبلغوا المائتين وكانت مواطنهم تمتد من درعة إلي البحر المحيط، وينزل شيوخهم بلاد نول قاعدة السوس، فيستولون علي السوس الأقصي وما إليهم وينتجعون كلهم في الرمال إلي مواطن الملثمين من كدالة ومسوفة ولمتونه، وتحيزوا إلي الهلاليين منذ عهد قديم ونزلوا بآخر مواطنهم مما يلي ملويه ورمال تافيلالت وجاوروا زناته في القفار وكثروا في صحاري المغرب الأقصي، وكانوا هناك أحلافا لزناته، ابن خلدون، العبر، جـ٦، ص٥٨.

(٢) ابن خلدون، جـ٧، ص٣١١.

(٣) أصل كلمة سنغال غير مؤكدة تماما، لكن أغلب المؤلفين المحدثين يقربوا الاسم إلي قبيلة صنهاجة أو زناجة ency de l'islam, vol II,P, 23.

(٤) Fage, an introduction to the history of west Africa, P, 15.

الباب الثالث

المراكز الإسلامية الأولي في السودان

أو في قلب السودان

الباب الثالث

المراكز الاسلامية الأولي في السودان

الفصل الأول

غانة

غانة دولة قديمة ظهرت قبل الاسلام، وعرفها الكتاب العرب الأوائل كدولة وثنية، ودخل فيها الاسلام رويدا رويدا.

أقدم الروايات العربية التي ذكرت غانة:

مع أننا لا نعرف بالتأكيد في أي قرن ولا من الذي أسس مملكة غانة. فقد كانت غانة علي أية حال، موجودة، عندما كان الجغرافيون العرب يصنفون مؤلفاتهم تحت رعاية الخلفاء العباسيين الأول.

فمحمد بن ابراهيم الفزاري الذي صنف وهذب البراهما سيداتنا، للخليفة العباسي المنصور في (١٥٦ - ١٥٧هـ/٧٧٣ - ٧٧٤م)، وأطلق عليه في الترجمة العربية اسم (كتاب السند هند الكبير)، ذكر «بلاد غانة، أرض الذهب[١]. وقال أن حجمها مساو لدولة الادارسة في المغرب الآقصي[٢].

ومع أن الخوارزمي في كتابه «صورة الأرض» يعتمد علي جغرافية بطليموس القلوذي، إلا أنه عندما يعالج افريقية يذكر قليلا من الاسماء التي لم يأخذها من بطليموس،

(١) Trimingham, A history of islam in west Africa, P, 48,
كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، القسم الأول، ص٧٠، الفصل الخاص ببداية الجغرافية الرياضية عند العرب.

(٢) Trimingham, Op-Cit, P, 48.
وقد ورد ذكر غانة عند المسعودي (يكتب في سنة ٣٣٢هـ)، وهو ينقل عن الفزاري قال: «عمل غانة بلاد الذهب الف فرسخ، في ثمانين فرسخا». المسعودي مروج الذهب، طبعة التجارية، جـ٢، ص٢٢٤.

الفصل الأول

غـانـــة

من بينها غانة(١) اذن الدولة الغانية تأسست بعد بطليموس؟

واليعقوبي (يكتب في ٢٥٩هـ/٨٧٢م)، الذي يعتبر كوكو أعظم ممالك السودان، يقول عن غانة «وملكها عظيم الشأن وفي بلاده معادن الذهب»(٢).

وذكرها أيضاً ابن الفقيه (توفي سنة ٢٩٠هـ/٩٠٣م)، اذ يقول «ومن طرقلة الي مدينة غانة ثلاثة أشهر مفاوز وقفار، وبلاد غانة ينبت فيها الذهب نباتا في الرمل.........»(٣).

وتوحي فقط كما يتول دلافوس مؤلفات المؤرخين العرب، والروايات المحلية التي أكدتها أعمال علماء تنبكت (تنبكتو)، أن هذه الدولة ترجع علي الأقل إلي القرن الرابع الميلادي(٤).

أصل ملوك غانة:

تقول رواية الادريسي (٥٤٨هـ/ ١١٥٤م)، أن ملك غانة من ذرية صالح بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب(٥)، وابن ابي زرع في روض القرطاس، يمدنا برواية يفهم منها أن أحد العلويين مر ببلاد السودان في طريقه الي المغرب، ونص هذه الرواية: «أن محمد بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب كان قد بعث أخاه سليمان الي بلاد مصر داعيا لبيعته، ولما

---

(١) الخوارزمي، صورة الأرض من المدن والجبال والبحار والجزائر والانهار، نشر هانسي فون نويك، طبع فسينا ١٩٢٦، ص٤، Trimingham, A history of islam in west Africa, P, 48.

(٢) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، طبعة بيروت، جـ١، ص ١٩٢.

(٣) ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان طبعه ليدن، ص ٨٧.

(٤) Delafosse, Les Noirs de L'Afrique, P, 40, Les Negres, P, 20.

(٥) الادريسي، صفة المغرب، ص٦، الترجمة الفرنسية لدْجوية ودسلان، ص٧.

اتصل بالأخير قتل أخيه (أي محمد)، سار إلي بلاد النوبة ثم إلي بلاد السودان ثم خرج إلي زاب أفريقية، تم إلي تلمسان من بلاد المغرب فنزلها واستوطنها[١]. ويفند ابن خلدون رواية الادريسي، وينفي وجود من يدعي صالح في ولد عبد الله بن حسن[٢].

ورواية الادريسي تعبر عن وجود علاقات مع الأدارسة؟ وفيها فكرة هجرات علوية إلي غانة، كما تعني أن أصلهم بيضان، ومن العرب...

وتذكر رواية السعدي أن ملوك غانة الأول ينتمون إلي الجنس الأبيض[٣].

ويرجع محمود كعت في كتابه «تاريخ الفتاش»، أن أصلهم من صنهاجة[٤]. والنسبة الأخيرة إلي صنهاجة تعني العلاقة مع بربر الصحراء الذين دأبوا علي غزو السودان.

وحوالي منتصف القرن الثاني من الهجرة (عندما بدأ الكتاب العرب يسجلون معلوماتهم عن غانة)، انتقلت السلطة (في القرن الثامن الميلادي، حوالي سنة ٧٧٠م)، إلي أيدي عائلة من أصل سوداني تنتمي إلي شعب الونكارة.

ومن جهة أخري نعرف عن طريق الكتاب العرب أن دولة غانة كانت

---

(١) ابن أبي زرع، روض القرطاس، طبع حجر فاس، بدون تاريخ، ص٤.

(٢) ابن خلدون، المقدمة، الجزء الخاص، «بتفصيل الكلام علي هذه الجغرافيا»، ص ٥٤-٥٥، الترجمة الانجليزية لروزنتال، جـ١، ص١١٩.

(٣) السعدي، تاريخ السودان، ص٩، الترجمة الفرنسية لهوداس، ص١٨.

(٤) محمود كعت، تاريخ الفتاش، ص ٤٢، يقول «واختلف اي قبيلة هم كانوا منها قبل من وعكري، وقيل من ونكر، وهو ضعيف لا يصح، وقيل من الصنهاجة وهو أقرب عندي..... والاصح إنهم ليسوا من السوادين والله أعلم وقد بعد زمانهم ومكانهم علينا ولا يتأتي لمؤرخ في هذا اليوم أن يأتي بصحة شئ من أمورهم يقطع بها ولم يتقدم لهم تاريخ فيعتمد عليه».

مزدهرة في القرنين الثالث والرابع الهجري (التاسع والعاشر الميلادي)، وأن أفولها لم يبدأ الا في حوالي منتصف القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي)، تحت دفع غزو المرابطين. وقد سقطت بقاياها تحت نير الماندنج (الملنكي). وعاصمتها التي ظلت تمثل آخر أثر لمجدها الزائل دمرت في منتصف القرن الثالث عشر تقريباً[1].

أصل التسمية (معني كلمة غانة):

والحقيقة أن الفضل في معرفة اسم غانة يرجع إلي العرب الذين نشروه فيما بعد في آسية وفي أوربة[2]. فمن قبل لم يكن يطلق علي هذه البلاد اسم غانة، - كما يفهم من روايات البكري وصاحب الاستبصار والدمشقي، وكما تؤكده الروايات السودانية - بل أن اسم غانة كان لقبا لملك هذه البلاد.

يقول نص البكري «وغانة سمة لملوكهم واسم البلد أوكار»[3].

ويتبعه صاحب الاستبصار حيث يقول: «قيل أن غانة سمة لملوكها، وإنما اسم البلد أوكار.....»[4].

ويقول نص الدمشقي: «ومن بلاد السودان بلد غانة وقصبته أوكار، وغانة اسم علم علي كل من يملك هذا السقع، كما يطلق البغبور علي من يملك الصين وقافان علي من يملك الترك[5].

---

(١) Delafosse, Les Noirs de L'Afrique, P, 40.

(٢) دلاقوس، نفس المرجع السابق، ص ٤١.

(٣) البكري، المغرب، ص ١٧٤، الترجمة الفرنسية لدسلان، ص ٣٢٧.

(٤) الاستبصار، (المؤلف مجهول)، نشر وتحقيق الاستاذ الدكتور سعد زغلول، مطبوعات جامعة الاسكندرية سنة ١٩٥٨، ص ٢١٩-٢٢٠.

(٥) الدمشقي، نخبة الدهر، ص ٢٤٠.

ويستعمل ابو الفدا وابن خلدون لفظ غانة كلقب للملك، واسم للبلاد وللحاضرة في نفس الوقت(١).

وكلمة «غانة» في لغة السونينك و«كانة» لدي الماندنك Mandinke، تعني السيد المحارب(٢).

وكان الملك يطلق عليه أيضاً إلي جانب لقب غانة اسم قيمغ Kaya-maga أوماجا Maga أوماجان Magan وتعني الكلمة «السيد»(٣).

ويقول محمود كعت في «تاريخ الفتاش»، «أن كيمع بكاف فياء» وميم وعين مفتوحات معناه في لغة وعكري ملك الذهب. «كيهو «الذهب ومع الملك»(٤). ولقب تنكا Tounka، ويعني الأمير(٥).

والبلد نفسها عند العرب اسمها اوكار، وكانت المدينة معروفة للسكان

---

(١) ابو الفدا، تقويم البلدان، ص ١٥٧، ابن خلدون، العبر، جـ٦، ١٩٦.
(ويذهب اليعقوبي والمسعودي إلي أن غانة اسم لشخص أو قبيل ثم اطلق علي المكان بينما يقول ابن حوقل العكس، غانة اسم للأرض ثم أعطي للملك)، اليعقوبي التاريخ، جـ١، ص١٩١، المسعودي، مروج الذهب، جـ٢، ص٤، ابن حوقل، صورة الأرض، جـ٢، ص ٣٢٠.

(٢) Trimingham, Ahistory of islam in west Africa, P, 50.

(٣) Delafosse, Les Noirs de l'Afrique, P, 41.

(٤) محمود كعت، تاريخ الفتاش، ص ٤١، والترجمة الفرنسية لدلافوس وهوداس، ص ٧٥ هامش١، يقول دلافوس، الاقتراح الذي يقترحه محمود كعت ليس غير مقبول تماما، وصحيح أنه في لغة السننك lidiome Soninké فان «الذهب» يطلق عليه Kagné أو Kan-yé(والجمع Kagnou أو Kanyou وان مع Maga أوما Mâ تعني (السيد) في مجموع اللغات التي يطلق عليها ماند Mandé مما يعني أن Kanyé maga أو Kan-you Maga قد تعني «ملك الذهب» أو «ملك تبر الذهب» في هذه اللغات التي يسبق فيها النظام Régime الاسم بالرغم من أننا لا نري كيف يمكن أن تصبح Kanyou (التى يكتبها المؤلف كيهو) Kaya.

(٥) Delafosse, Les Noirs de L'Afrique, P, 41, Trimingham, A History of islam in west Africa, P, 50.

تحت اسم كومبي Koumbi أوكومبي كومبي Koumbi-Koumbi، وتعني «تل صغير أو أكوام من الحجارة»[١].

ولازال هذا الاسم يطلق حتي الآن علي مكانها، وهذا المكان يوجد بين جومبوGoumbou ، وولات، علي بعد حوالي مائة كيلومتر تقريبا شمال - شمال شرق جومبو في منطقة الحوض التي يطلق عليها المورواكر أو «أوكار» (تعبير جغرافي مشترك بالنسبة لمناطق شبه صحراوية كثيرة)[٢].

ويطلق عليها الماندنج (الملنكي) والبمبر «باغن Bagana، أو مارMara و«الكاسنكي» Khassonké «باكونو » Bakhounou والسركلة «الونكارة» و«وكد»[٣]، وتمتد بصفة خاصة شمال وشمال شرق جومبو[٤] والمؤرخ الوحيد الذي ذكر اسم المدينة هو محمود كعت «صاحب تاريخ الفتاش» وقال أن اسمها قنب قنب[٥].

اختلاف الكتاب في موضع المدينة المندثرة:

وقد اختلف الكتاب في موضع المدينة المندثرة:

ووصف البكري، لمدينة غانة، يمتاز بالدقه، فمعلوماته مستقاة من النجار

---

(١) Delafosse, Les Noirs de L'Afrique, P, 41, Trimingham, Op-Cit, P, 50.

(٢) دلافوس، نفس المرجع السابق، ص ٤١.

(٣) نفس المرجع والصفحة (اسم مار Mara، يطلق علي المنطقة التي لا يوجد بها مجري ماء دائم ولكن توجد بها بحيرات، وكلمة الماندنج باغن Bagana التي تصبح باكونو في بعض اللهجات والكلمة السركلية وكد تعني كلتيهما (بلاد القطعان أو منطقة الرعي).

(٤) دلافوس، نفس المرجع والصفحة.

(٥) محمود كعت، تاريخ الفتاش، ص ٤١، الترجمة الفرنسية لدلافوس ص ٧٦.

والمسافرين رأينها من الأوراق الرسمية في ديوان قرطبة، وقد أثبتت المكتشفات الحديثة صحة معلوماته.

يقول البكري عن مدينة غانة: أنها تتكون من مدينتين (يقصد حيين) تقعان في سهل: أحداهما يسكنها المسلمون.... ويحيط بالمدينة آبار عذبة يشربون منها، وعليها يزرعون الخضروات.

وتقع مدينة الملك علي بعد ستة أميال من مدينة (حي) المسلمين، وتسمي بالغابة[١]، والمساحة بين المدينتين معمورة بالمساكن، ومنازلهم مبنية بالحجارة وخشب السنط....[٢]، وللملك قصر، وفي مدينة الملك يوجد مسجد يصلي فيه من يفد عليه من تجار المسلمين[٣].

ونستبين من رواية البكري، أن المدينة لا تقع علي بحر، بل هي في سهل.

والحقيقة أن المسلمين في نص البكري ليسوا من أهل البلاد - (لأن البكري في موضع آخر، ينص علي أن ديانة أهل غانة المجوسية وعبادة الدكاكير) - بل هم من الأجانب، أغلب الظن أنهم من التجار الذين اجتذبهم ما سمعوه عن ثراء البلاد وغناها فدخلوها واستقروا فيها. ويرجع الفضل في نشر الاسلام إلي هؤلاء التجار كما سبق أن رأينا.

ومن المحتمل أن يكون موضع المدينة اليوم هو اطلال مدينة كمب صالح، في وكد Wagadu وهي تقع علي بعد ٣٣٠ كيلو متر شمال باماكو (عاصمة

---

(١) البكري، المغرب، ص ١٧٥، الترجمة الفرنسية لدسلان، ص ٣٢٨.

(٢) البكري، نفس المصدر، ص ١٧٥، والترجمة الفرنسية، ص ٣٢٨.

(٣) البكري، نفس المصدر، ص ١٧٥، الترجمة الفرنسية، ص ٣٢٨، الاستبصار، ص ٢٢٠.

جمهورية مالي الحالية)، ٩٥ كيلو متر غرب وشمال غرب نارا و٧٠ كيلو متر جنوب وجنوب شرق تمبدرا Timbedre. في جمهورية موريتانيا الاسلامية[١].

وقد قام المكتشف Bonnel de Meziéres بأعمال تنقيب هناك في سنة ١٩١٤م، وتبعه عدد من البعثات الفرنسية، هذه التنقيبات كشفت (أماطت اللثام) عن وجود آثار مدينة كبيره تماثل بالضبط المدينة التي وصفها البكري، أطلال مبانيها من الحجارة المقطوعة وأحيانا المنحوتة[٢].

وأصبحت الآن البلد الذي كانت فيه غانة أو كمب شديدة الجفاف وهي تمطر في الحقيقة في جميع السنوات، ولكننا لا نجد في المنطقة انهارا بخلاف بعض الاطراف التي يوجد بها برك أو بعض غدران تحت الأرض قليلة العمق. والنباتات برغم كثافتها، هنا وهناك، تصبح مجرد مراع هزيلة واشجار مطاط وبعض الاشجار الشائكة. ولا تحتوي المنطقة علي أي قرية ولا يقطعها إلا بعض المور الرحالة وصيادي قبيلة نيمادي Nimadi ولكن الآثار الكثيرة جدا والممتدة جدا للسكان القدامي والمقابر التي يعثر عليها في كل لحظة تشير إلي أن البلد كان فيما مضي مأهولا ومسكونا، جزئياً علي الأقل بواسطه سكان دائمين وتوحي بأنه كان مرويا أكثر من اليوم وأكثر صلاحية للزراعة[٣].

---

(١) Trimingham, A history of islam in west Africa, P, 49, Fage, an introduction to the history of west Africa, P, 20, The Dawn of African history, chapter 5IX, Kingdoms of western Sudan, by thomas Hodgkin, Oxford University press, 1963, P, 39, ency de L'islam, Now edit, Vol II, P, 1025.

كمب صالح تبع دائرة عيون العطروس Uyun al-atrus) قسم من تمبدرا.

(٢) Trimingham, A history of islam in west Africa, P, 44, Delafosse, Les Noirs de L'Afrique, P, 41.

(٣) Delafosse, Les Noirs de L'Afrique, P, 42.

أما الأدريسي وابن سعيد، ومن نقل عنهم أمثال، ابو الفدا، وابن خلدون، القلقشندي، فقد وضعوا غانة علي النيل الذي يبدو أنه نهر السنغال[١].

يقول نص الادريسي: «وغانة مدينتان علي ضفتي البحر الحلو»[٢].

ويضع ابن سعيد غانة علي نهر أيضاً وتقول روايته: «أن لغانة نيلا هو شقيق نيل مصر، ومصبه في البحر المحيط عند طول عشرة ونصف - وعرض أربع عشر. فيكون بين مصبه وبين غانة نحو أربع درج. وغانة علي ضفتي نيلها. وغانة مدينتان أحداهما يسكنها المسلمون والأخري الكفار[٣].

ويفسر دلافوس Delaffose هذه النصوص علي أنها خاصة بأولي عاصمتي مالي (ملي) علي النيجر الأعلي[٤]، ورغم ما يقوله ديمومبين G. Demombynes من أن هذا معقول، ولكن النصوص تظل مضطربة[٥]. ومن المحتمل أن يكون الكلام صحيح، وإنه يعني تطورات سياسية حدثت فعلا وتبعها الناس، فمالي هي الدولة التي حلت محل غانة وصوصو، وأصبحت صاحبة السيادة علي كل السودان الغربي.

وبعد أن تولي حكم غانة أمراء من البيضان، يبلغ عددهم وفقاً لكتاب «تاريخ السودان» أربعة واربعون ملكا، تملك اثنان وعشرون ملكا منهم قبل البعثة (أو كما تقول رواية صاحب «تاريخ الفتاش»، وقد مضي منهم عشرون

(١) العمري، مسالك الابصار في ممالك الامصار (افريقية - عدا مصر)، ترجمة فرنسية مع مقدمة وهوامش لجودفروا ديمومبين، باريز ١٩٢٧، ص ٥٥، هامش ٣ (عن غانة).
(٢) الادريسي، صفة المغرب، ص٦، الترجمة الفرنسية لدوزي ودجويه، ص٧.
(٣) ابو الفدا، تقويم البلدان، ص١٥٧، (ينقل عن ابن سعيد).
(٤) العمري، مسالك الابصار، الترجمة الفرنسية لديمومبين، ص٥٥، هامش٣ (عن غانة).
(٥) العمري، مسالك الابصار، الترجمة الفرنسية لديمومبين، ص٥٥ هامش٣ (غانة).

ملكا قبل ظهور رسول الله*»)، واثنان وعشرون بعد البعثه[١]، أولهم كان يدعي قيمغ (عند السعدي) وآخرهم (أي آخر من بعد الهجرة؟) كما يقول صاحب تاريخ الفتاش يدعي كنسعي كان معاصرا لسيدنا محمد*، انقرضت دولة البيضان في القرن الأول من الهجرة النبوية[٢].

ويفهم من رواية صاحب الفتاش أن سبب نهاية هذا العصر هو أن الدولة تركت الخشونة والبداوة، وانغمس صاحبها في الترف، والتمتع بمباهج الحياة، وضعف حكمها وانحل وانتقلت السلطة إلي أيدي أسرة أخري لم تأخذ بعد بأسباب الحضارة والمدنية وفي ذلك يقول عن كنسعي: «ويقال أنه له ألف خيل مربوطون في داره عادة معروفة أن مات واحد منهم في صبح جئ بآخر مكانه عوضه قبل المساء، وفي الليل كذلك لا ينام واحد منهم الا علي زريبة ولا

---

(١) السعدي، تاريخ السودان، ص٩، الترجمة الفرنسية لهوداس، ص١٨، محمود كعت، تاريخ الفتاش، ص ٤١، الترجمة الفرنسيه لدلافوس وهوداس ص ٧٦.

(٢) محمود كعت، نفس المصدر، ص ٤١، الترجمة الفرنسية، ص٧٦، السعدي تاريخ السودان، ص٩ الترجمة الفرنسية ص ١٨.

- وكما يقول دلافوس Delafosse «ومن اللائق أن نلاحظ: أولا ان كل الروايات المحلية جعلت من كيمغ Kaya - Maga، ليس لقبا يطلق علي عصر (او اسرة) ولكن شخص يسمي كي Kaya وابوه يسمي مج Maga مجان Maghan أو مكا Makka ثم أن هذه الكلمة الأخيرة في اشتقاقاتها المختلفة هي اسم لرجل منتشر جدا في السودان الغربي، واخيرا فان الروايات المحلية تتكلم عن عدد من الاخوة من صلب نفس الاب مج Maga أو مغان Maghan وتعاقبوا علي حكم وكد Ouagadou الذين يسمونهم:

Diabé Maga, Tâne Maga, Tanéfankanté-Maga Mâmadi Maga et Kaya Maga .(كيمغ)

Maghan-Diâbé, Maghan-Tané, Maghan- (الفلان) Peules عندما تكون عند Tânéfankant´´, Maghan-Mâmadi et Maghan Kaya.

وعندما تكون الروايات سننكية أو بمبر يسبق اسم الابن اسم أبيه عند الفلان، بينما يأتي بعده في السننك والبمبر. ترجمة تاريخ الفتاش، بالفرنسية، هامش ١ ص ٧٥.

يربط الا بحرير في عنقه وفي رجله، ولكل منهم آنية من النحاس يبول فيها ، ولا يقطر من بوله علي الأرض قطرة الا في الاناء لا في ليل ولا في نهار، ولا تري زبلاً واحداً تحت واحد منهم، ولكل منهم من الخدم ثلاثة أنفس يجلسون تحته واحد منهم يقوم بعلفه وواحد منهم يسقيه وواحد منهم م ـل علي رصد بوله وحمل زبله[1].

وانتقلت السلطة إلي أسرة سيسي السركلية (الونكرية)à la dynastie Sera Kolé des sisséyحوالي سنة ١٥٤هـ/ ٧٧٠م، التي ظلت تحكم غانة حتي الفتح المرابطي سنة ٤٦٩هـ/ ١٠٧٦م.

وكما يزعم أحفاد هذه الأسرة الحاليين فإنها كانت تنتمي إلي أسرة من الجنس الأبيض أخذت تمتزج بالسودان مع مرور الوقت[2].

وقد وصلت دولة غانة، تحت حكم هؤلاء السيسيين، الذي يقول عنهم اليعقوبي والمسعودي أنهم كانوا من السودان، إلي أقصي ازدهارها[3].

الصحراء ما بين قبائل صنهاجة وسودان غانة:

لم تكن العلاقات طيبة دائماً بين غانة وقبائل صنهاجة كما سبق أن رأينا (في الفصل الخاص بانتشار الاسلام في بلاد السودان)، بل كان كثيراً ما

---

(١) محمود كعت، تاريخ الفتاش، ص ٤١، الترجمة الفرنسية لدلافوس وهوداس، ص٧٦، ٧٧. ويقول محمود كعت، تاريخ الفتاش، ص ٤٢ «.... ثم افني الله ملكهم وسلط ارذالهم علي كبرائهم من قومهم واستصالهم وقتلوا جميع أولاد ملوكهم حتي يبقروا بطون نسائهم ويخرجوا الجنين ويقتلهم».

(٢) Delafosse, Les Noirs de L'Afrique, P, 45.

(٣) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، جـ١، ص ١٩٢، المسعودي، مروج الذهب، طبعة التجارية، جـ٢، ص٤ (يذكر السودان الذين غربوا ومن بينهم غانة).

يوجد احتكاك بين الونكارة (السركلة)، وقبائل البربر (لمتونة - مسوفه، جدالة...) جيرانهم في الشمال.

وفي القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي)، تحالفت قبائل مسوفه ولمتونة وجدالة أما عن الدوافع التي أدت إلي قيام هذا الحلف، فهي، الرغبة في التحكم في طرق التجارة عبر الصحراء، التي كانت عند نهايتها في الشمال دول زناتة القوية، وغانة عند نهايتها الجنوبية.

وقد حقق البربر انتصارهم علي الجماعات السودانية (المستوطنة بالصحراء) التي كانت تابعة لغانة، وفرضوا عليهم الجزية. واتبعوا ذلك بالاستيلاء علي مدينة اودغست، واتخذوها حاضرة لهم، وكان ملوك غانة يبسطون سلطانهم عليها قبل استفتاح البربر لها[1].

ويذكر لنا ابن حوقل (كان موجودا في مدينة اودغست سنة ٣٤٠هـ) أن ملك آودغست ويدعي تنبروتان بن اسفيشر كان «يخالط ملك غانة، وغانة أيسر من علي وجه الأرض من ملوكها بما لديه من الأموال والمدخرة من التبر المثار علي قديم الايام للمتقدمين من ملوكهم وله..... وبين أن حاجتهم إلي ملوك اودغست ماسة من أجل الملح الخارج إليهم من ناحية الاسلام فإنه لا قوام لهم الا به..... »[2].

المد السوداني:

توسع مملكة غانة وفرض سلطانها علي الصحراء وقبائل صنهاجة:

انتقلت غانة من مرحلة البداوة إلي طور العمران والحضارة، ويبدو أن فود

---

(١) انظر فيما سبق، الفصل الخاص بالكلام عن انتشار الاسلام في بلاد السودان.

(٢) ابن حوقل، صورة الأرض، حـ١، ص١٠٠-١٠١.

وثراء وعظمة غانة قد نشأت عن طريق المزايا التجارية لموقعها علي حدود الصحراء في أقصي شمال المنطقة المأهولة للسودان الغربي وكان رخاؤها وازدهارها يعتمد علي مركزها كهمزة وصل بين المغرب وبلاد السودان[١].

توسع غانة في السودان:

وامتدت اعمال غانة في ناحية الجنوب إلي ما بعد نهر السنغال حتي معادن الذهب في فليمة Falémé وفي اقليم بامبوك Bambouk (ونقارة الادريسي).

وكان ناتج الذهب يغذي خزائن السيسيين، وكانوا يستخدمونه في القيام بالمبادلات مع القوافل المغربية الآتية من سجلماسة (تافللت).. ودرعة بل أنها كانت تمتد حتي إلي ماندنج (مالي) علي النيجر الأعلي، وامتدت حدود المملكة نحو الشرق تقريبا إلي منطقة البحيرات الكائنة في غرب تنبكت[٢].

فرض سلطان غانة علي الصحراء وقبائل صنهاجة:

وفي الشمال فإن نفوذ غانة كان ملموسا في قلب الصحراء، وكما يفهم من رواية البكري، فان سلطة غانة كانت محسوسة منذ أواخر القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)، علي بربر زناجة أو صنهاجة (لمتونة - جدالة - مسوفة - لمطة الخ.....)، ففي سنة (٣٨٠هـ/ ٩٩٠م)، استولي ملك غانة علي مدينة اودغست، عاصمة هؤلاء البربر، وساعده علي ذلك سوء أحوالها الداخلية، وافتراق كلمة صنهاجة - وترك عاملا سودانيا ليتابع تحصيل المكوس المستحقة علي قوافل اتباعه البربر[٣].

---

(١) Fage, An introduction to the history of west Africa, P, 20.

(٢) delafosse, Les Noirs de L'Afrique, P, 45.

(٣) البكري، المغرب، ص ١٦٨ Delafosse, Les Noirs de L'Afrique, P, 45.

وهكذا أبحت اودغست تابعه لملك السودان «المسمي بغانة» وباتت تدفع له الجزية[1]. ويؤرخ هذا النصر للذروة التي بلغتها دولة غانة التي كانت سمعتها قد وصلت إلي القاهرة وبغداد[2].

رد الفعل الاسلامي:

الصراع بين غانة والمرابطين:

بلغت غانان أقصي ازدهارها في النصف الأول من القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي)، كما يفهم من رواية البكري[3]، ولكن بدأ ملكهم يضعف كما يقول ابن خلدون، بسبب استفحال أمر الملثمين المجاورين لهم من الشمال[4]. وبدأ الصراع العنيف منذ حوالي منتصف القرن الخامس الهجري بين جماعات المرابطين الذين يمثلون الاسلام، والذين كانت تحركهم الرغبة في هز نير السودان وبين ملوك غانة من السركلة، الذين كانوا يدينون بالوثنية.

---

(١) البكري، نفس المصدر والصفحة.

(٢) في القاهرة كتب المهلبي للخليفة الفاطمي العزيز بالله كتابا فى الطرق والمسالك وهو أول كتاب وصف بلاد السودان وصفا دقيقا. ادم منز، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، جـ٢، ص١٠.

– ومملكة غانة أيضاً كانت معروفه في المشرق في القرن الحادي عشر عند الحريري الذي يقول في المقامة التاسعة الاسكندرانية: قال الحرث بن همام: أحابي مرح الشباب وهوي الاكتساب الي أن جبت ما بين فرغانه وغانه أخوض الغمار لاجني الثمار، واقتحم الاخطار لكي ادرك الاوطار...».

– الحريري، مقامات الحريري، ص٥٨، ابو العباس أحمد بن عبد المؤمن الشريشي، شرح المقامات الحريرية، طبع بولاق، طبعة ثانية، سنه ١٣٠٠هـ. ص١٣٠.

(٣) البكري، المغرب، ص ١٧٥.

(٤) ابن خلدون، العبر، جـ٦، ص٢٠٠، السلاوي، الاستقصا، جـ٥ طبعة الدار البيضاء سنة ١٩٥٥، ص ١٠٠.

تحرير أو رفع الحماية عن أودغست:

بقيام دولة المرابطين، بدأ نفوذ غانة ينحسر عن الصحراء فبعد أن ظلت أودغست تخضع لنير سودان غانة منذ عام ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م، وتدفع لملكهم الجزية كل عام، نجح المرابطون في سنة ٤٤٦هـ/ ١٠٥٤م-١٠٥٥م، تحت أمرة عبد الله ابن ياسين في الاستيلاء علي مدينه أودغست، واستباح المرابطون حريمها «وجعلوا جميع ما اصابوا فيها فيئا»[١]. متعللين بأن هذه المدينة كانت تدفع الجزية لملك غانة الوثني (بسي) رغم ما يقوله كتاب العرب من أنه كان حسن السيرة ومشهورا بعدله وتفضيله للمسلمين[٢].

والظاهر أن غانة كانت تعاني بعض المضايقات من أمراء البلاد التابعة لها، يظهر ذلك بوضوح من رواية البكري «وبغربي غانة مدينة أنبارة وملكها اسمه تارم وهو معاند لملك غانة»[٣].

وكان الاستيلاء علي أودغست بداية لاستفحال دولة المرابطين. فقد نجح أبو بكر بن عمر - الذي خلف أخاه يحيي بن عمر بعد مقتل الأخير في تيفريلي في سنة ٤٤٨هـ/١٠٥٧م - في الاستيلاء بمعاونة الزعيم الروحي عبد الله بن ياسين علي تارودنت قاعدة بلاد السوس، واتبعوا ذلك بالاستيلاء علي أغمات[٤].

---

(١) البكري، المغرب، ص ١٦٨، الترجمة الفرنسية لدسلان، ص ٣١٧.
(٢) البكري، المغرب، ص ١٦٨، الترجمة الفرنسية لدسلان، ص ٣١٧.
(٣) البكري، المغرب، ص ١٧٩، الترجمة الفرنسية لدسلان، ص ٣٣٥.
أنبارة، يقرن بارثBarth بين انبارة و Hombori وهي منطقة تقع علي بعد حوالي خمسين فرسخ جنوب شرق تتبكتو، وبالتالي الي شرق أو جنوب غرب غانة.
دسلان، ترجمة كتاب المغرب للبكري، بالفرنسية، هامش١، ص ٣٣٥.
(٤) اتخذ المرابطون مدينة اغمات عاصمة مؤقتة لهم إلي أن تم بناء عاصمتهم مدينة مراكش

ورغم وفاة عبد الله بن ياسين صاحب الدعوة الروحي الذي استشهد في المعركة التي دارت رحاها في، تامسنا، بين المرابطين، وبين زنادقة برغواطه الصفرية الأصل سنة إحدي وخمسين وأربعمائة (٤٥١هـ/١٠٥٨-١٠٥٩م)، نجح أبو بكر بن عمر في متابعة الجهاد. ففي سنة ٤٥٢هـ/ ١٠٦٠م، حسب رواية ابن أبي زرع، أو سنة ٤٦٢هـ/١٠٦٩م وفقا لرواية صاحب الحلل الموشية وابن عذاري، قدم علي أبي بكر بن عمر رسول من قبيلة لمتونة الصحراء، يخبره أن جدالة غارت عليهم «وكانت بينهم فتنة دائمة»، واتجه نحو الادرار وناحية تاجنت، حيث كانت قبائل البربر تتقاتل فيما بينها[١].

وبعد أن تمكن من اصلاح أمورها، واستفحلت سلطته، استمر في رفع راية **الجهاد ضد مملكة غانة الوثنية.**

ولم يكن الصراع ضد غانة أمرا هينا. فملكها الذي يسمي تنكامنين. (تولي من سنة ٤٥٥هـ/ ١٠٦٣م إلي سنة ٤٦٩هـ/١٠٧٦م)، «كان شديد الشوكة عظيم المملكة مهيب السلطان»[٢] وكان جيشه يبلغ حوالي مائتي ألف منهم رماة أزيد من أربعين الف[٣].

=/= التي اسسها ابو بكر بن عمر اللمنوني (سنة ٤٦٢هـ/ ١٠٧٠م) كما يقول صاحب الحلل الموشية وابن عذاري. الحلل الموشية، ص٥ . ٦، ابن عذاري البيان المغرب، نشر كولان وبروفنسال، جـ١، ص٣٠٠، جـ٣، ص٥٥.

(١) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص ٩٢، الحلل الموشية، ص٦، ص١٣، ابن عذاري، البيان المغرب، جـ٣، ص٥٦.

(٢) البكري المغرب، ص١٧٥، الترجمة الفرنسية لدسلان، ص ٣٢٨.

(٣) البكري، المغرب، ص ١٧٧، الترحمة الفرنسة، ص ٣٣١

ورغم هذه القوة الكبيرة لم يتردد ابو بكر بن عمر في الزحف بقواته إلي بلاد غانة، ويحاصر مدنهم، ويفتح اقاليمهم علي طول مسيرة ثلاثة أشهر[١].

وأخيراً وبعد مقاومة عنيفة من جانب السودان، استولي المرابطون علي المدينة السودانية القديمة في عام (٤٦٩هـ/ ١٠٧٦م)[٢]. وسبوا الكثيرين من أهلها علي الاسلام فدانوا به كما تقول رواية ابن خلدون[٣].

وتقول رواية الزهري (توفي في منتصف القرن السادس الهجري) (عن أهل غانة)....» واسلموا في مدة لمتونة، وحسن اسلامهم. وهم اليوم مسلمون وعندهم العلماء والفقهاء، والقراء وسادوا في ذلك. وأتي منهم إلي بلاد الأندلس رؤساء من أكابرهم. وساروا إلي مكة وحجوا وزاروا وانصرفوا إلي بلادهم......»[٤].

كما تقول رواية صاحب الحلل الموشية في الأخبار المراكشية (المؤلف مجهول من القرن الثامن الهجري) «وأسلم أهل بلاد السودان الذين حاضرتهم مدينة غانة وحسن إسلامهم»[٥] وظلت بلاد غانة تحت حكم المرابطين المباشر إلي سنة ٤٨٠هـ/١٠٨٧[٦] فبعد مقتل أبي بكر بن عمر سنة ٤٨٠هـ/١٠٨٧م، استعاد سركلة غانة استقلالهم[٧] هذا ما يقوله المحدثون،

---

(١) ابن خلدون، العبر، جـ٦، ص١٨٥ السلاوي، الاستقصا، طبعة الدار البيضاء جـ٥، ص١٠٠.

(٢) الحلل الموشية، ص٦.

(٣) ابن خلدون، الصبر، جـ٦، ص٢٠٠.

(٤) الزهري، كتاب الجغرافية، ص١٢٥.

(٥) الحلل الموشية، ص٦.

(٦) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٩٣، ابن الخطيب، أعمال الاعلام، نشر وتحقيق أحمد مختار العبادي، ابراهيم الكتاني، جـ٣، ص ٢٣٣.

(٧) Delafosse, Les Noirs de L'Afrique, Pm 51.

ولكن هناك رواية في كتاب روض القرطاس لابن أبي زرع (توفي بفاس ما بين سنتي ٧١٠هـ، ٧٢٠هـ/ ١٣١٠-١٣٢٠م). يقـول فـيـهـا (نقـلاً عـن أبن جنون).... » كانت لمتونة أهل ديانة ونية صارمة... ملكوا بالأندلس من بلاد الإفرنج إلي البحر الغربي في المحيط، ومن مدينة بجاية من بلاد العدوة إلي جبل الذهب من بلاد السودان»[١].

فهل تعني تلك الرواية استمرار النفوذ السياسي للمرابطين علي غانة - بعد مقتل أبي بكر بن عمر - من الناحية الإسمية علي الاقل، بمعني أن البلاد كانت مستقلة استقلالا ذاتياً، أي يحكمها أمراء من الوطنيين من أهلها تحت إشراف لمتونة، وترتبط بالمرابطين عن طريق دفع الأموال، وربما يؤيد استمرار هذه العلاقات بين المرابطين والسودان ما يقوله صاحب الاستبصار: «وقد وقع إلي كتاب ملكها (يعني ملك غانة) إلي يوسف بن تشفين (حكم من سنة ٤٨٠هـ إلي سنة ٥٠٠هـ) نصه إلي أميراغمات قال غانة....»[٢].

وبالرغم من استقلال غانة فانها لم تسترجع بعد عظمتها السابقة[٣]. فكثير من أقاليم (أعمال) المملكة انتهزت فرصة الصراع بين السيسي والمرابطين لتعتق نفسها من وصاية التنكا أو الماجا العليا ، ولتكون ممالك مستقلة، فقد أصبح لكل منها تنكا أو الماجا الخاص بها[٤]، والذي ينتمي إلي أحد كبار العائلات السركلية (الونجارية) التي كان يتم اختيار حكام المناطق البعيدة عن الدولة منها بواسطة ملوك غانة[٥].

---

(١) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص ١١٦.

(٢) الاستبصار، ص٢١٩-٢٢٠.

(٣) Delafosse, Les Noris de L'Afrique, P, 51.

(٤) دلافوس، نفس المرجع، ص٥١.

(٥) دلافوس، نفس المرجع والصفحة.

ويحدثنا ابن خلدون عن نهاية مملكة غانة فيقول: «وتغلب علي أصحاب غانة أهل صوصو المجاورون لهم من أمم السودان في نواحيهم تلك واستطالوا علي الأمم المجاورين لهم فغلبوا علي صوصو (سوسو) وملكوا جميع ما بأيديهم من ملكهم القديم وملك أرض غانية.....»[١].

وفي عام (٥٥٩هـ/١٢٠٣م)، استولي سومانجورو ملك صوصو علي غانة[٢]. واحتل ماري جاطة (سن جاطة كيتا)، غانة ودمرها، في سنة (٦٣٧هـ/١٢٤٠م)[٣]. وإلي جانب العامل السياسي في انهيار غانة هناك العامل الاقتصادي فالروايات المحلية تجمع علي ارجاع سبب افول المملكة وتفرق شعبها إلي جفاف «الوكد» Ouagadou والي المجاعة التي نتجت عن ذلك.

ومن المحتمل أن هذه الظروف، كان لها تأثير أكبر علي نهاية مملكة غانه من عمليات السلب المتواليه التي تعرضت لها المدينه، من جانب المرابطين وملك صوصو، وملك الماندنج (مالي)، فمدينة مأهولة، ودولة مزدهرة، يمكن أن تحتمل السلب أو تثبت امام السلب والهزيمه ولكنها لا تقاوم نقص الماء والغذاء[٤].

---

(١) ابن خلدون، العبر، جـ٦، ص٢٠٠.

(٢) ابن خلدون، العبر، حـ٦، ص٢٠٠، delafosse. Les Noirs de L'Afrique. P. 52, Trimingham, Ahistory of islam in wset Africa, P, 58, ency de L'islam, Nouv édit, vol II, P, 1026, Fage, an introduction to the, history of west Africa, P,22.

وأنظر فيما بعد الكلام عن دولة صوصو.

(٣) ابن خلدون، العبر، جـ٦، ص٢٠٠، ترمنجهام، ص ٥٨، ص٥٩، فسيح س٢٢، دائرة المعارف الاسلامية، بالفرنسية، المجلد الثاني، ص ١٠٢٦.

(٤) Delafosse, Les Noirs de L'Afrique, P, 42.

«هذا بينما ترجع الروايات التي تستند إلى السحره Griots. توقف امطار الذهب، وحتى الامطار العاديه، والفقر والجوع اللذين كانا من نتيجتها وتفرق السكان وتفكك المملكة إلي مقتل ثعبان كمب المقدس.=/

وفي عصر ابن فضل الله العمري (يكتب في سنه ٧٣٨هـ)، امست غانة مجرد اقليم تابع لمالي[١]. وفي ذلك يقول في مسالك الأبصار (نقلاً عن الشيخ سعيد الدكالي) «وليس في مملكة صاحب هذه المملكة من يطلق عليه اسم ملك إلا صاحب غانه وهو كالنائب له وأن كان ملكاً»[٢]. ويعلق القلقشندي علي ذلك بقوله: «وكانه أنما بقي اسم الملك علي صاحب غانة دون غيره لعدم انتزاعها منه والاستيلاء عليها استيلاء كليا[٣].

ويقول العمري في «التعريف»، «واما غانة فانه لا يملكها وكأنه مالكها يتركها عن قدرة عليها لأن بها وبما وراءها جنوبا منابت الذهب.....»[٤].

والحقيقة، كما يفهم من هذه الروايات، أن غانة بالرغم من فقدان استقلالها ظلت تتمتع بمركز ممتاز نظراً لوجود معدن الذهب بها.

=/Delafosse, Les Négres, Paris, 1927, P, 64. "chapitre, VII, la Litterature Négre".

(١) العمري، مسالك الابصار، افريقية عدا مصر، نشر ديمومبين، ص ٥٤، والهامش مخطوط دار الكتب، رقم٨، ص ١٠٦، القلقشندي، صبح الاعشى، جـ٥، ص ٢٨٤ (ينقل عن العمري).

(٢) العمري، المخطوط، ص ١٠٦، القلقشندي، صبح الاعشي، جـ٥، ص ٢٩٢. (ينقل العمري)

(٣) القلقشندي، صبح الاعشي، جـ٥، ص ٢٩٢.

(٤) العمري، التعريف بالمصطلح الشريف، طبعة القاهرة، ١٣١٢هـ، ص ٢٧.

مملكة جار

انهارت مملكة غانة، وكان انهيارها فرصة لظهور عدد من الممالك.

وهكذا بعد سقوط غانة علي يد المرابطين (٤٦٩/١٠٧٦م) فان عصر السركلة Sarakollé في Niakhaté أسس في جارDiâra .ربما وفي الشمال الشرقي من الموقع الحالي نيورو Nioro، مملكة كياك Kaniaga أومانا Mana أو مانا ما غان Mana Maganالتي لم يطل بها الوقت حتي أصبحت صاحبة السيادة علي التكرور، وتضمنت تقريبا كل الساحل السوداني اي الجزء الأكبر من المقاطعات الجنوبية القديمة لغانة[1].

وحوالي سنة ١٢٧٠، عصر جاور Diawara، حل في جار محل عصر الNiakhaté أو Niahaté يعت وظل في الحكم حتي عام ١٧٥٤، حيث غزا البمبر مساس Bambara Massasi كياك Kaniage وخلال ذلك فإن سلطة Diawara كانت قد فقدت في الواقع قوتها وامتصتها رويدا رويدا القوة المتزايده لدولة مالي (الماندنج)، التي أصبحت كياك Kaniage تابعة لها حوالي نهاية القرن الثالث عشر الميلادي، أو بداية القرن الرابع عشر، ثم أصبحت في القرن السادس عشر تابعة لدولة سنغي في جاو «كاو»[2].

(١) Delafosse, Les Noirs de L'Afrique, P, 51.

(٢) دلافوس، نفس المرجع والصفحة، محمود كعت، تاريخ الفتاش، ص ٣٩ وما يليها.

مملكة صوصو

يعتبر كتاب العبر لابن خلدون، أقدم المصادر العربية التي ورد بها ذكر لصوصو وفي ذلك يقول «صوصو بصادين مهملتين مضمومتين بعد كل منهما واو ساكنة. وربما أبدلوا الصاد سينا مهملة، سمي بذلك باسم سكانه»(1). وينقل القلقشندي عن العبر لابن خلدون يقول: قال في العبر «وهم يسمونها الانكارية (ونكارية نقارة؟)»(2). وكانت مملكة صوصو (سوسو)، تابعة في البداية لدولة غانة الشهيرة، واستعادت استقلالها نحو نهاية القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي. (كما يري دلافوس استنادا علي الروايات المحلية)(3) بعد أن افتتح المرابطون غانة واستباحوا حماها وفرضوا عليها الجزية سنة ٤٦٩هـ/ ١٠٧٦م كما سبق أن رأينا. وأسيست صوصو نحو نهاية القرن الثامن الميلادي، وأرضها تقع في Kanyâga بين غانة ومالي(4).

وحسب الروايات المحليه، من سنة ١٠٧٦/٤٦٩ إلي ١١٨٠م كان هذا الاقليم تحت حكم أسرة سننكية مسلمة (وثنية؟) معروفة تحت اسم عشيرة جاريسو Dyari-So.

خلال حكم بنا بوبو Banna-Bubu(حوالي سنة ١١٠٠-١١٢٠)، ظهر

---

(١) ابن خلدون، الصبر، جـ٦، ص ١٩٩-٢٠٠.

وكلمة سوسو تعني (شجاعة Courage) «وهي كلمة التحضيض عندهم» كما يقول نص السعدي.

، السعدي، تاريخ السودان، ص ٩٥، الترجمة الفرنسية لهوداس، ص ١٥٦ وهامش٤.

(٢) القلقشندي، صبح الاعشي، جـ٥، ص ٢٨٣.

(٣) Trimingham, A History of islam in west Africa, P, 58, Delafosse, ency de L'islam vol IV, P, 511.

(٤) ابن خلدون، العبر، جـ٦، ص١٩٩، ٢٠٠ يقول: «وكانت تجاور غانة من جانب الشرق أمه أخري فيما زعم الناقلون تعرف صوصو بصادين مضمومتين أو مهملتين، ثم بعدها أمة أخري تعرف مالي».

Trimingham, Op-Cit, P, 58.

الفلان في تلك المنطقة، واتخذ بعض افراد العشيرة الملكية زوجات من عشيرة سو(So) أو «Ferobé» عرف أحفادهم باسم «Soso» والمدينة والدولة «Soso». هذه بطبيعة الحال تخمينات (استنتاجات) بحته(١).

قلب هذه الأسرة حوالي سنة ١١٨٠م محارب سرمكي «ونكري» أيضاً ولكنه يدين بالوثنية وكان ينتمي إلي طائفة الحدادين، ويسمي جاركننا-Djar-akanté خليفته عرف باسم سومنجورو Sumanguru أو Sumahoro كانتا، الذي أعطي أهمية بالغة للملكة التي كانت حتي ذلك الوقت متواضعة، عندما ضم إليها عددا من الولايات (الأعمال) التي تقع شمال وجنوب حدوده، خصوصا وكد (باغن)، حيث توجد قنب، عاصمة دولة غانة القديمة، ومالي التي تقع علي النيجر الاعلي وأعلي باماكو(٢).

وفي سنة ١٢٠٣م بشهادة ابن خلدون «تغلب اهل صوصو علي ملك اصحاب غانية واصاروهم في جملتهم»(٣).

واضطهد ملوك صوصو الذين كانوا يدينون بالوثنية، مسلمي غانة، الذين فروا من الاضطهاد وهاجروا الي ولات (بير) سنة (٦٢١هـ/ ١٢٢٤م)، حيث أسسوا مركزا للحياة الاسلامية هناك(٤).

---

(١) Trimingham, A hisroty of islam in west Africa, P, 58.

(٢) دلافوس، دائرة المعارف الاسلامية، بالفرنسية، المجلد الرابع، ص ٥١١.

(٣) ابن خلدون، الصبر، جـ٦، ص٢٠٠.

(٤) Delafosse, ency de L'islam, vol IV, p, 511, Les Noirs de L'Afrique, P, 52, S.J.Hogben, An introduction to the history of the islamic states of Northern Nigeria (Based on the Emirates of North-ern Nigeria, by S.J.Hogben and A.H.M. Kirk - Greene) ibadan Ox-ford University Press, 1967, P. 25.=/=

وأخذت ولات (ولا تن - ولاته عند الحسن الوزان) مكان غانة كمحط نهائي لطريق التجارة عبر الصحراء في الجنوب في القرن الثالث عشر الميلادي حيث كانت مبنية مكان المدينة البربرية القديمة اودغست[1]. وقد وصفها في منتصف القرن الثامن الهجري (١٤م) الرحالة المغربي ابن بطوطه قال «وهي أول عمالة السودان وأكثر سكانها من قبيلة مسوفة الصنهاجية».

وبعد استيلاء سومنجورو كانتا علي مدينة قنب، واصل تقدمه حتي فتح مالي. والروايات المحليه تقول أنه قتل أحدي عشر من ابناء منس مالي الاثني عشر، ولكن الثاني عشر ماري جاطة Sun Djata(كما يسميه ابن خلدون)، أو سن جاطة الذي ينتمي إلي عائلة كيتا Kayta عزم علي اعادة الاستقلال لبلده ونجح في ذلك. فبعد أن تحالف (كما سنري فيما بعد) مع رؤساء الماندنج الذين يسكنون في غرب، وجنوب وشرق كانجابا، جند منهم جيش قوي، واتجه

=/= ويظن بارث Barth أن تأسيس ولاته حدث في سنة ١٢٠٣/١٢٠٤م.

Trimingham, A history of slam in west Africa, P, 58, note, 4.

ويكتب اسم ولات ايضاً في شكل ايوالاتن، وتسمى بلغة السنغى «بير»، وهى عاصمة مملكة تقع شمال غرب تنبكت، في شرق اقليم الحوض.

وولاته التي صارت في البربرية ايو الاتن من الكلمة الماندية ولا (وتعني مكان ظليل، بيرو وهو الجمع السننكي لبير التي تعني نفس الكلمة الماندية وال Wa (ومعناها ماوي) التي يستعملها نصف الرحل في الساحل وتعني (السوق المكشوف)..

Houdas, Histoire du Soudan, P, 13, note, 3, Gibb, Ibn Battuta travels in Asia and Africa, P, 378, note, 6.

السعدي، تاريخ السودان، ص٧، ص ٢١، الترجمة الفرنسية لهوداس ص ٣٦.

Trimingham, Op-cit, P, 58, note 5.

(١) جب، ترجمة رحلة ابن بطوطة، بالانجليزية، ص ٣٧٨، هامش٦.

نحو سومنجورو، وتقابل الجيشان في مكان قريب من النيجر، في كيرينا Ki-rinaغـيـر بعـيـد عن كـوليكورو Kulikoro في سنة ٦٢٨هـ / ١٢٣٠م(١). وحسب الأساطير، تخلص ماري جاظة من غريمه بأن رماه بسهم يتكون رأسه من مخلب ديك أبيض، وكان هذا الديك هو الطوطم (ويعـ ف باسم تنه) (٢)– الخاص بسومنجورو.

وعندما اصاب السهم هذا الاخير (سومنجورو)، اختفي عن كل العيون، بل تحول إلي صخرة يشيرون إليها حتي اليوم، تطل علي قرية كوليكورو. واستطاع بذلك ماري جاظة أن يعتق الماندنج (الونكارة)، من وصاية سوسو (صوصو)، واستولي علي هذه الناحية (صوصو)، وعلي كل البلاد التي كانت بأيديهم، ومد فتوحاته في اتجاه الشمال حتي وصل الي العاصمة القديمة لغانة التي احتلها سنة ٦٣٧هـ/ ١٢٤٠م(٣).

---

(١) Delafosse, Les Noirs de L'Afrique, P, 57, Delafosse, ency de L'islam, vol Iv, p, 511, Trimingham, A history of islam in west Africa, P, 64.

(٢) «والتنه» Tenne ، عباره عن حيوان مقدس محرم علي افراد الأسرة قتله أو أكل لحمه أو حتي النظر إليه عن عمد».

دائرة المعارف الاسلامية، بالفرنسية، الطبعة الأولي، جـ١، ص ٦٥٧ (مادة بمبر)، الترجمة العربية، المجلد الرابع، ص ١٨١.

(٣) ابن خلدون، العبر، جـ٨، ص ٢٠٠، دلافوس، دائرة المعارف الاسلامية، بالفرنسية، مجلد ٤، ص ٥١١،

Trimingham, A history of islam in west Africa, P, 59.

الفصل الثاني

توطيد دعائم الاسلام في السودان

مـــــــالي

الفصل الثاني

توطيد دعائم الاسلام في السودان

مـــالـي

علي عكس غـانة التي عـرفـهـا الكتـاب العـرب علي أنهـا دولة تدين بالوثنية، عرفت دولة مالي التي ورثتها علي أنها اسلامية.

واسم مـــــالـي هـو الـنطق الفـــــلاني لماند "Mande" أو "Manding" ماندنج[١].

ويفهم من نص ابي حامد الاندلسي (توفي ٥٦٥هـ/ ١١٧٠م) وابن خلدون (توفي سنة ٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م)، أن مـالـي اسم لشـخص أو لقـبـيل ثم اعطي للمكان[٢].

وهناك ذكـر في الكتب العـربيـة لدولة ملل[٣]، ومن الذين عـرفـوها اليـعقوبي (يكتب في سنة ٢٧٨هـ/ ٨٩١م). وقد ورد ذكرها في كتـابه عند حديثه عن «السودان الذين غربوا وسلكوا نحو المغرب»، قـال: ثم مملكة أخري

---

(١) جب، التـرجمـة الانجليـزية لرحلة ابن بطوطة، هامش١٩، ص ٣٧٩، ٣٨٠. Delafosse, Les Noirs de :'Afrique, P, 55, 56, Trimingham, A history of islam in west Africa, P, 60, note5.

(٢) يقول نص أبو حامد الاندلسي (القرن٦هـ) «واما فاوه وقوقو وملي... فقوم لهم بأس وليس في ارضهم بركه.... »، تحفة الالباب، ص ٤٢، الترجمة الفرنسية لـFerrand ص ٢٤٦. وتقول رواية ابن خلدون....... « ثم بعدها أمة (جماعة) أخري تعرف مـالي »، ابن خلدون، العبر، جـ٥، ص ٤٠٣، جـ٦، ص٢٠٠.

(٣) وتكتب مالي ايضـاً في شكل ملّي، مل، ملل، وملل هي الاسم الفلاني Fulfulde لماند Trimingham, op, Cit, Mande note2, P, 61.

واسم مالي يعني «حيث يعيش الملك».
Fage, An introduction to the history of west Africa, P, 24.

يقال لهم، ملل، وهم يبادرون (اي يظهرون ويبرزون) صاحب كانم، ويسمي ملكهم ميوس»[١].

ويبدو أن ميوس تحريف لكلمة منسي.

وذكــــر البكري (يكتب في سنة ٤٦٠هـ) والادريسي، (توفي سنة ٥٥٨هـ)، ملل، مما يدل علي أن الدولة كانت موجودة.

وتقول رواية البكري «أن بلد ملل تقع وراء مملكة دو»، وتقع الاخيرة علي ضفة النيل[٢]، (والنيل في نص البكري يقصد به نهر النيجر)، بينما يضع الادريسي ملل في ارض لملم[٣] وموقعها بوضوح غرب دو بين النيجر وفلمه "Falemé"[٤].

وملل البكري والادريسي هي بدون شك إحدي امارات الماند، ولكنها ليست بالضرورة تلك التي نمت لتصبح امبراطورية مالي[٥]، لأنه - كما يبين لنا مونتيل "Monteil" وجدت ثلاث عائلات شمالي مالي هي،Tara-ure ومقرهم دكاديالا Dakadyala والكنات Konaté ومقرهم في تابو Tabu ، وفي دودوجو Dodugu، وكيــتــا Keyta في نفس المنطقة في نرينا "Narena"[٦].

---

(١) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، جـ١، ص ١٩٣.

(٢) البكري، المغرب، ص ١٧٨، الترجمة الفرنسيه لدسلان، ص ٣٣٣.

(٣) الادريسي، صفة المغرب، ص٤. وفى موضع آخر يقول: «فاما مدينة ملل التى هي من بلاد لملم... هي مدينه صغيرة كالقريه الجامعه لا سور لها، وهي علي تل تراب احمر منيع جانبه، واهل ملل متحصنون فيه عمن يطرقهم من سائر السودان، وشربهم من عين خرارة تخرج من الجبل الذي في جنوبها..... الادريسي، صفة المغرب، ص٩.

(٤) Trimingham, Op-Cit, P, 61.

(٥) نفس المرجع السابق، ص ٦٣.

(٦) Trimingham, A histoıy of islam in west Africa. p. 61. note 3.

النشأة الأولي للدولة:

وكان مقر الاقامة المعتاد لرئيس عائلة ماندنج Mandingue أو ملنكة، من جماعة كيتاKeta، التي تمارس الحكم منذ أكثر من ثلاثة عشر قرن (من القرن السابع الميلادي)، لم ينقطع الاخلال خمسة عشر عاما من سنة (٦٨٤ - ٧٠٠هـ/ ١٢٨٥ - ١٣٠٠م)[١] هو قرية كانجابا Kangabe [٢]، وهي تقع علي الضفة الشمالية من النيجر الأعلي وتقريبا في منتصف الطريق بين سجيوري Siguiri وباماكوBamako .

وسلاطين مالي (ملي) سودان في الأصل كما يقول السعدي[٣].

جارب، حاضرة ملكي الأولي:

وحاضرة ملكي (الكلمة تعني ملك مالي)، الأولي اسمها جارب، وأول

---

(١) Delafosse, Les Noirs de L'Afrique, P, 55.

(٢) «وتسمي أيضاً جولب» Dioliba أو جالب Diéliba ، المشتق من اسم النهر الكبير الذي توجد علي ضفافه، وكلمة Diolibe في لهجة الملنكة وال Diéliba في لهجة البمبر تعني «نهر الدم» وقد اطلق هذا الاسم علي النيجر بسبب التضحيات الدموية (البشرية) التي كانت تتم ولازالت تتم علي ضفافه وعلي مياهه نفسها في اماكن كثيرة من مجراه بمناسبة اعياد موسمية معينة».

Delafosse, Les Noirs de L'Afrique, P, 55 et note I.

«تضع الروايات اقدم مالي معروفة علي الضفة اليمني للباكهوي Bakhoy الاعلي وعاصمتها دكديالا Dakdyala قرب نياجسولا Nyagassola المعاصرة. ويقال أيضاً أن نرينا Narena كانت عاصمة ناري فاماجهان Naré fa Maghan والد ماري جاطة (سن جاطة)، الذي ولد هناك وأن تابو Tabu كانت عاصمة كونات Konate دودوجو Do-dugu وأخيراً، أن سيبي Sibi كانت المكان الرئيسي لسندوجو Séndugu أو Sién-dugu اقطاع الكمر "Kamara"

Trimingham, Op-Cit, P, 61 not I.

(٣) السعدي، تاريخ السودان، ص٩، الترجمة الفرنسية، لهوداس ص ١٨-١٩.

ذكر لها ورد في كتاب «تاريخ الفتاش» لمحمود كعت التنبكتي (يكتب في سنة ٩٢٥هـ)[١].

والحفاير التي أجريت في خلال السنوات الأخيرة في وادي النيجر مكنت من كشف مكان تلك المدينه. وكانت تقع عند ملتقي النيجر وسنكراني "Sankarani" وفي مكان يدعي ماني "Mani" أو مالي تمبو "Mali Tombo" (أي اطلال مالي)، حيث لا زال يوجد حتي الآن آثار تجمع سكاني قديم جدا ومهم جدا، ويعتبرها أهالي المنطقة طبقا للروايات المتداولة المقر القديم لسلاطينهم، والمكان الذي يوجد فيه رفات هؤلاء الأخيرين[٢].

وقد كانت هذه المدينة الصغيرة، خلال مئات من السنين العاصمة الرئيسية لأوسع مملكة عرفتها أفريقية السوداء، وواحدة من أكبر الدول التي عرفها العالم وهي دولة مالي (ملي)[٣].

ومالي الذي يسميها دلافوس الماندنج أو الماند - هو الاقليم الذي مركزه كانجابا، والذي توجد فيه مناجم الذهب الشهيرة المسماه بوتي أو بيط Bitou كما يقول السعدي[٤].

وسكان هذا الاقليم يحملون (طبقاً للهجة) أحد أسماء ماندنجا Man-denga أو ماندنجو Mandingo ومنها اتخذ دلافوس كلمة ماندنج Manding اسما للبلد والـ Mandingue اسما للشعب، هذا ولو أن الفلان يسمونهم ملنكة، بينما يطلق عليهم العرب اسم الونجارة[٥].

---

(١) محمود كعت، تاريخ الفتاش، ص ٤٨، الترجمة الفرنسية، ص ٦٦.

(٢) ency de l'islam, vol III, P, 216.

(٣) Delafosse, Les Noirs de L'Afrique, P. 55.

(٤) السعدي، تاريخ السودان، ص١١.

(٥) Delafosse, Les Noirs de L'Afrique, P, ٥ں.

الادريسي، صفة المغرب، ص٧ يقول عن غانة «انها تتصل من شرقها ببلاد ونقارة».

تأسيس المملكة تبعا لرأي دلافوس:

ويري دلافوس أن تأسيس المملكة يرجع إلي القرن السابع الميلادي[1] وكانت تابعة فيما يبدو لدولة غانة، يفهم ذلك من نص صاحب «تاريخ الفتاش» الذي يقول: «وأما سلطنة مل ما استقامت الا بعد انقراض دولة كيمع سلطان المغرب كله بلا استثناء مكان مامنه وسلطان مل من عبيده، وخدمه ووزرائه[2].

وحسب الروايات المحلية يحمل سلاطين الماندنج لقب منسي أو مسي، وهم ينتمون إلي عائلة كيتا، وكانوا يتزوجون من عائلة Kondé اوكوني Koné وفي البداية كان نفوذهم يرجع إلي معرفتهم بالسحر وممارسة الشعوذه[3].

اسلام برمندانه وظهور مالي كقوة لها وزنها:

ومنذ قرون عديدة كان المنسي أو ملوك الماندنج يحيون حياة غير معروفة في كانجابا - حتي حوالي سنة ٤٤٢هـ/ ١٠٥٠م تبعا لتحديد دلافوس - حيث دخل من كان يحكم حينذاك ويدعي برمندانه. (ويبدو أنه لقب معناه رئيس الماند (Trimingham, A history of islam in west Africa, P, 62) أو برمندار، (ويسميه المقريزي سرمندانة) - كما تقول رواية ابن خلدون. وهي ترجع إلي الشيخ عثمان «فقيه أهل غانة وكبيرهم علما وشهرة»، وقد لقيه ابن

(١) دلافوس، نفس المرجع السابق، ص٥٥.
(٢) محمود كعت، تاريخ الفتاش، ص ٤١، الترجمة الفرنسية لهوداس ودلافوس، ص٧٥.
(٣) دائرة المعارف الاسلامية، بالفرنسية، المجلد الثالث، ص ٢٥٦.
«وكلمة منسي في لغة الماند تعني السلطان» ابن بطوطة، الرحلة طبعة التجارية، حـ٢، ص ١١٧، الترجمة الانجليزية لجب، ص ٣٢٤.

خلدون وكان قد قدم مصر سنه (٧٧٩هـ/١٣٩٣ - ١٣٩٤) حاجا بولده واهله - في الاسلام (كما سبق أن رأينا) وقام بالحج إلي مكة[١].

وبدأ برمندانة في عقد علاقات مع الدول المجاورة، كانت ملائمة لزيادة قوته غو بلده، هذا في نفس الوقت الذي انقطع فيه عن اعتبار نفسه تابعا لدولة غانة.

وحتي ذلك الوقت (منتصف القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي) فان اقليم البامبوك، غالبا، كان مصدر التبر الذي كانت تجارته تزيد من ثروة غانة، وتقيم مبادلات نشطه ومستمرة بين السودان وشمال افريقية[٢].

وقد عرف المرابطون الطريق إلي مملكة مالي، وعلموه للقوافل المغربية (المراكشية)، وأصبحت بيط، من الآن فصاعدا، منذ ذلك الحين، المنبع الاساسي لانتاج هذا المعدن الثمين، وقد ساهم ذلك في ملأ خزائن ملك مالي (ملي)، وفتح لشعبه آفاقا جديدة[٣].

خلفاء برمندانه، موسي كيتا:

وتحتفظ الروايات المحلية باسماء قليل من منسا المندنج (مالي)، خلفاء

---

(١) ابن خلدون، العبر، جـ٦، ص٢٠٠، (١) Delafosse, Les Noirs de L'Afrique, P, 56.

جـ٥، ص ٤٣٣، القلقشندي، صبح الاعشي، جـ٥، ص ٢٩٣، المقريزي الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك، نشر أ.د. الشيال القاهرة ١٩٥٥، ص ١١٠. وانظر ما سبق الفصل الخاص بانتشار الاسلام في السودان الغربي.

(٢) دلافوس، نفس المرجع السابق، ص٥٦.

(٣) دلافوس، نفس المرجع السابق والصفحة.

برمندانه، أحدهم اسمه موسي كيتا ويلقب Alla Koy[1] وقام هذا الملك بأداء فريضة الحج (في سنة ٦١٠هـ/١٢١٣م)، وعاد إلي مكة ثلاث مرات خلال مدة حكمه، وهذا يشير - كما يري دلافوس - إلي أنه كان يملك ثروة ما، كما أن هذا العمل زاد من هيبته وجلاله.

مالي ما بين فقدان الاستقلال والتبعية لصوصو:

ولكن ثروه ملك كانجابا، وشهرة معادن الذهب في بيط، قد أثارت الطمع عند ملك سوسو (صوصو). وقد استغل ملك صوصو سومنجورو كانتا Sou-mangourou, Kanta، ضعف خلفاء موسي المباشرين، وقام حوالي سنة (٦٢١هـ/١٢٤٤م) بغزو الماندنج (مالي) التي ضمها بقسوة لدولته[2].

وتسجل الروايات أنه قتل أحد عشر ولدا من أبناء حاكم مالي الاثني عشر، والثاني عشر ماري جاطه (وتعني الكلمة كما يقول ابن خلدون «الأمير الأسد» «سن جاطه كيتا»[3]، هرب من المذبحة لأنه كان عاجزاً[4].

سن جاطة (ماري جاطة)، تحرير أو رفع الوصاية عن مالي:

ورغم ذلك فان ماري جاطة وهو حفيد موسي صمم علي اعادة الاستقلال

---

(١) Trimingham, A history of islam, P, 64, ency de L'islam, vol III, 256.

(٢) (وحكم من سنة ١٢٠٠-١٢١٨) (١) Delafosse, Les Noirs de L'Afrique, P, 57.

(٣) ابن خلدون، العبر، جـ٦، ص ٢٠٠ Trimingham, A history of islam, P, 64, Delafoss, ency de L'islam, vol IV, P, 511.

(وماري تعني حقيقة السيد الصغير) Trimingham, Op-Cit P, 64, note 3.

(٤) Delafosse, Les Noirs de L'Afrique, P, 57, Trimingham, Op-Cit P, 64.

لبلده، ونجح في ذلك. فبعد أن تحالف مع رؤساء الماندنج (الونكارة) الذين يقيمون في غرب وجنوب وشرق كانجابا وجعلهم عن طريق الرضا أو القوة يطيعونه، فانه جند منهم عناصر جيش قوي مشي علي رأسه لمقابلة سيده.

الانتصار في كيرينا:

وتقابل الاميران في سنة (٦٣٣هـ/ ١٢٣٥م) في كيرينا Kirina غـر بعد من كوليكورو "Koulikoro"، قريبا من النيجر، حيث هزم سوما نجورو ملك سوسو وقتل.

والروايات المتداولة عن ماري جاظة (سن جاطه)، تمثل الصراع بين الاثنين كمبارزة بين ساحرين فقد سرق ماري جاطة من سومانجورو سر السهم المسموم علي مسافة استطاع بواسطتها أن يقتل عدوه[١].

ماري جاظة، دولة قوية مبنية علي القوة العسكرية:

غلبة صوصو وتدمير غانة:

وبدون اضاعة للوقت، فقد استمر ماري جاظة في سيره، ودخل سوسو سيدا غازيا، وتقدم ناحية الشمال إلي غانة التي احتلها ودمرها سنة (٦٣٨هـ/ ١٢٤٠م)، غالبا كما يقول دلافوس بغرض اعطاء نفسه الشهرة التي ترتبط بهذه العاصمة القديمة لامبراطورية مجيدة[٢]. وفي ذلك يقول ابن خلدون: «ثم أن أهل مالي كثروا امم السودان في نواحيهم تلك، واستطالوا

---

١) دلافوس، نفس المرجع، ص ٥٧ Trimingham, Op-Cit, P, 64, Delafosse, Les Négres, Paris, 1927, P, 22-32.

(٢) Delafosse, Les Noirs de L'Afrique, P, 57, Trimingham, Op-Cit P, 65.

علي الامم المجاورين لهم، فغلبوا علي صوصو وملكوا جميع ما بأيديهم من ملكهم القديم وملك أرض غانية[١].

واستولي خلفاء ماري جاطة في نفس الوقت علي جنجران Gangaran واقليم البامبوك الغني بالذهب[٢].

أعمال ماري جاطة العمرانية:

وهكذا وضع ماري جاطة أسس دولة قوية، ولم يكتف بأن يكون محاربا قديرا، فالروايات تقول أنه قد وجه كل عنايته لتنمية الزراعة، وأنه ادخل إلي بلده زراعة ونسج القطن، وجعل الامان والاطمئنان التام يسودان مملكته من أقصاها إلي اقصاها[٣]. واصبح ماري جاطة يطالب بالجزية الشعوب التي تسكن البلاد التي تغلب عليها وفتحها، والتي لم تكن مملكة غانة السابقة لتقارن بها، حيث أن الجزء الأكبر من ثروتها كان يستمد من التجارة، وليس من التحكم الفعلي للمناطق التي تحتوي علي الذهب.

وبالرغم من أهمية استخراج الذهب والتجارة، فان اقتصاد هذه الدولة الواسعة كان يعتمد علي اساس من الزراعيين[٤].

---

(١) ابن خلدون، العبر، جـ٦، ص ٢٠٠، جـ٥، ص ٤٣٣.

(٢) Trimingham, op-Cit, P, 65.

(٣) دلافوس، السود في افريقية، بالفرنسية، ص ٥٧،

Delafosse, Les Nêgres, P, 23.

(٤) Trimingham, A history of islam in west Africa, P, 65.

حاضرة جديدة لمالي:

بناء مدينة نيني:

وحوالي سنة ٦٣٨هـ/ ١٢٤٠م، (بعد تغلبه علي ملك سوسو)، ترك سن جاطه الحاضرة القديمة للماندنج (الونكارة)، جارب، واتخذ عاصمة ثانية هي نيني أو بلد بني كما يسميها ابن خلدون(١). وهي تقع بالقرب من شمال بلندوجو "Balandougou" جنوب جارب العاصمة الأخري لنفس الدولة(٢).

وفاة ماري جاطة:

ولكن هذا الامير الاعظم مات في سنة (٦٥٣هـ/ ١٢٥٥م)، في عاصمته ضحية حادث خلال أحد الاحتفالات العامة(٣)، وقد ملك عليهم خمسا وعشرين سنة كما يقول ابن خلدون(٤).

ويحق لنا أن نطلق عليه أبو الملوك، لأنه خلفه في الملك أربعة من بنيه، أولهم ولي، ثم والي، ثم خليفة، وأخيرا قو.

منسا ولي: (١٢٥٥ - ١٢٧٠م)، (٦٥٣ - ٦٦٩هـ):

وترك مار جاطة لابنه وخليفته ولي (علي)، دولة قوية شامخة، موطدة الاركان، كانت تمتد بعيدا في قلب الصحراء في الشمال، وتصل إلي السنغال الأعلي في الغرب والنيجر الأعلي في الشرق(٥).

---

(١) ابن خلدون، العبر، جـ٦، ص ٢٠٢، دلافوس، دائرة المعارف الاسلامية بالفرنسية، المجلد٣، ص ٢١٦. ويكتبها محمود كعت، صاحب تاريخ الفتاش، في شكل «يتع»، تاريخ الفتاش، ص ٣٨، الترجمة الفرنسية لهوداس ودلافوس، ص٦٦.

(٢) العمري مسالك الابصار، الترجمة الفرنسية لديمومبين، هامش٢، ص ٥٣.

(٣) Delafosse, Les Noirs de L'Afrique, P, 57.

(٤) ابن خلدون، العبر، جـ٦، ص٢٠٠.

(٥) Trimingham, A history of islam in west Africa P, 65,

وجـدد منسي ولي، التـقليـد الذي بدأه برمندانة فـذهب إلي مكة لأداء فريضة الحج علي أيام الظاهر بيبرس (٦٥٩ - ٦٧٦هـ/ ١٢٦٠-١٢٧٧م)[١] وفي نفس الوقت فانه وسع حدود امبراطوريته الوليده إلي ناحية الغرب، عند ضم اقليم البـامبـوك "Bambouk" بوندو "Boundou" ، والجزء الأكبر من وادي غامبي[٢].

منسي والي:

وولي الملك من بعده أخوه والي وليست لدينا معلومات عن عصره.

منسي خليفة:

واعـقب منسي والي في الملك أخوه خليفـة (الابن الثـالث لماري جاطة)، ويفهم من النصوص أنه كان أرعن متهور يتصف بالحمق وعدم التبصر، فكان يرمي الناس بالسهام فيصيبهم، وأخيرا ضاق أهل مملكته به، فقاموا عليه وقتلوه[٣].

أمـا قصـة الأحداث التـاليـة لمقـتل خليفـة - لابن الثـالث لماري جاطة - فـيفـهم من رواية القلقـشندي - نقـلا عن ابن خلدون - أنه أعـقب خليفـة في تولي مقاليد الأمور في الدولة، سبط من اسباط ماري جاطة يسمي أبو بكر وذلك «علي قـاعـدة العـجم في تمليك البنت وابن البنت»[٤]. وحـتي ذلك الوقت، وكـمـا يفـهـم من روايات ابن خلدون، كـان النظام الأبوي "Patrircet" وهو النظام الذي يكون فيه الرجل هو سيد الأسرة هو المتبع في دولة مالي.

(١) ابن خلدون، العبر، جـ٥، ص ٤٣٤، ص ٤٣٤، القلقشندي، جـ٥، ص ٢٩٤ المقريزي، الذهب المسبوك، ص ١١٠.

(٢) Delafosse, Les Noirs de L'Afrique, P, 58.

(٣) القلقشندي، صبح الاعشي، جـ٥، ص ٢٩٤.

(٤) القلقشندي، صبح الاعشي، جـ٥، ص ٢٩٤.

ساكورة:

بعد هلاك أبي بكر، تغلب علي ملك مالي، كما تذكر رواية ابن خلدون، «مولي من مواليهم» (اي من موالي آل كيتا)، يسمي ساكوره، (ضبطه الشيخ عثمان فقيه أهل غانة بلسانهم) سيكرة[١]، ويسميه ا[illegible]يزي في كتاب« الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك» ساكبورة[٢] وهو الوحيد الذي يرد ذكره خلال اسماء أسرة كيتا. وقد تولي من عام (٦٨٤هـ/ ١٢٨٠م إلي عام ٧٠٠هـ/ ١٣٠٠م) كما يقول دلافوس[٣].

أما عن الظروف التي تأمر فيها سيكره علي الونكارة وأصبح حاكما لمالي فهي غامضة ولا تذكر النصوص شيئاً عنها، والظاهر أن سيكره تمكن من الوصول إلي الحكم، والقبض علي ناصية الأمور عنوة، ربما لأنه لم يوجد من يصلح للولاية من أحفاد ماري جاطة. ويفهم من الروايات أنه توفرت في ساكوره شروط الأهلية لتولي المنصب. فهو يتصف بالشجاعة والتقوي، وذلك إلي جانب كونه مولي من موالي آل ماري جاطة، وهو الأمر الذي يحتمل أنه رجح كفته، وأيضاً ليست له عصبية تمنعه اذا تغير عن طريق العدل، وهنا يمكن لأهل مالي عزله واهدار دمه.

ومهما يكن من أمر فقد اثبت الرجل كفاءته وجدارته، واكمل عمل أولياءه وأسلافه، وكانت دولته كما يقول ابن خلدون «ضخمة اتسع فيها نطاق ملكهم وتغلبوا علي الأمم المجاورة لهم»[٤].

---

(١) ابن خلدون، العبر، جـ٦، ص٢٠٠، جـ٥، ص ٤٣٤ (يكتبه في شكل صاكورة).

(٢) المقريزي، الذهب المسبوك، ص١١١.

(٣) Delafosse, Les Noirs de L'Afrique, p, 58.

(٤) ابن خلدون، العبر، جـ١، ص٢٠٠.

أعمال ساكورة:

ومد ساكورة الفتوح الماندنجية ناحية الشمال الشرقي إلي ما سنة وولاية جني، وناحية الشمال الغربي، حتي السنغال الأدني، ونازع ملوك جار في التكرور، وجعل من هؤلاء الملوك تابعين له(١)، وفي ذلك يقول نص ابن خلدون «وافتتح بلاد كوكو وأصارها في ملكة أهل مالي، واتصل ملكهم من البحر المحيط وغانة بالمغرب إلي بلاد التكرور في المشرق(٢).

ودخل ساكورة في مفاوضات تجارية مباشرة مع طرابلس ومراكش (المغرب)، ودخل إلي مالي في عهده التجار من إفريقية وبلاد المغرب(٣).

«واعتز سلطان مالي في عهده وهابتهم امم السودان» كما تقول رواية ابن خلدون(٤).

حج ساكورة ومقتله:

وقام بأداء فريضة الحج علي أيام الناصر محمد بن قلاوون، وقتل عند عودته قريبا من جيبوتي "Djibouti" قتله الد ناقل الذين كانوا يريدون ذهبه كما يقول دلافوس، هذا بينما تقول رواية ابن خلدون أنه «قتل عند مرجعه بتاجورا «حوالي سنة ١٣٠٠م(٥).

---

(١) Delafosse, Les Noirs de L'Afrique, P, 58.

(٢) ابن خلدون، العبر، جـ٦، ص ٢٠٠.

(٣) ابن خلدون، العبر، جـ٦، ص ٢٠٠، دلافوس نفس المرجع، ص ٥٨.

(٤) ابن خلدون، العبر، جـ٦، ص٢٠٠.

(٥) ابن خلدون، العبر، جـ٦، ص ٢٠٠.

Delafosse, Les Noirs de L'afrique. P, 58.

تبعا لرواية ابن خلدون «وقعت رحلة الحج علي ايام حكم الملك الناصر (١٢٩٨-١٣٠٧م) تاجورا، أن لم يكن تحريفا لتاجوة مركز الزغاوة كما يقترح Bickingham فانه =

وقد حفظ رفاقه جثمانه وأعادوه عن طريق وداي حتي كوكا في مملكة البرنو، وقد أرسل ملك البرنو الكتب (الرسائل) إلي ماندنج (مالي)، ليعلن البلاط والشعب بالخبر، وأرسلت وفاده من كانجابا إلي كوكا رجعت ببقايا ساكورة، وأعطي شرف الدفن الملكي كآل كيتا. وكان علي شعبه أن يتقدم بذلك شهادة لعرفانه واعجابه بهذا الرجل[١].

وكانت فترة تولي سيكرة قصيرة لم تتجاوز الخمسة عشر عاما، وسرعان ما عادت الأمور إلي مجراها الطبيعي ورجع الملك إلي عصبية كيتا.

خلفاء ساكورة:

وخلف سيكرة قو ابن - (الابن الرابع) - السلطان ماري جاطة ثم تولي من بعده ابنه محمد بن قو، وبعد سينتقل الملك في مالي من ولد ماري جاطة إلي ولد أخيه أبي بكر[٢]. وذلك ربما بسبب عدم وجود وريث مباشر من «المارجاطيين»، جدير باعتلاء كرسي الملك.

=/= يحتمل أن تكون المدينة الساحلية التي لها نفس الاسم في طرابلس عن أن تكون علي البحر الاحمر، نظراً لأن الحج في هذه الايام كان يتم عن طريق الطرق الصحراوية. ترمنجام، تاريخ الاسلام في غرب افريقية بالانجليزية، ص ٦٦، هامش٣.

(١) دلافوس، نفس المرجع ، ص ٥٨.

(٢) ابن خلدون، العبر، جـ٦، ص ٢٠٠، القلقشندي، صبح الاعشي، جـ٥، ص ٢٩٤.

العصر الذهبي لمالي

مالي ما بين منسي موسي ومنسي سليمان

ولي الحكم من أبناء أبي بكر «منسا» موسي. أما عن سبب انتقال الملك إليه فهو كما تقول رواية العمري في «مسالك الابصار» نقلاً عن ابن أمير حاجب (والي مصر والقرافة)، وكان قد صحب السلطان موسي في زيارته للقاهرة، وهو ثقة ويعتبر شاهد عيان ومعاصر، قال ابن أمير حاجب: سألت السلطان موسي عن سبب انتقال مقاليد الحكم إليه فقال: «نحن أهل بيت نتوارث وكان الذي قبلي ولو لم يقل أبي) لا يصدق أن البحر المحيط لا يمكن الوقوف علي أخره واحب الوقوف علي هذا وولع به فجهز مئتين مراكب مملوه من الرجال وامثالها مملوة من الذهب والماء والزاد ما يكفيهم سنين وقال للنفوس فيها لا ترجعوا حتي تبلغوا النهاية أو ينفذ ازوادكم وماءكم فساروا وطالت مدة غيبتهم لا يرجع أحد منهم حتي مضت مدة طويلة ثم عاد مركب واحد منها فسألنا كبيرهم عما كان من أثرهم وخبرهم فقال: نعم أيها السلطان أنا سرنا زمانا طويلا حتي عرض في لجة البحر واد له جرية قوية وكنت آخر تلك المراكب، فاما تلك المراكب فانها تقدمت فلما صارت في ذلك المكان ما عادت ولا بانت ولا عرفنا ما جري لها وأما أنا فرجعت من مكاني ولم أدخل ذلك الوادي قال: فأنكر عليه ثم أن ذلك السلطان أعد ألفي مركب ألفا له ولرجال استصحبهم معه وألفا للماء والزاد (وتبدو المبالغة واضحة في أعداد المراكب) ثم استخلفني وركب بمن معه البحر المحيط وصار فيه فكان آخر العهد به وبجميع من معه واستقل لي الملك»[1].

---

(١) العمري، مسالك الابصار، المخطوط، ص ١٠٨، الترجمة الفرنسية لديموميين، ص ٧٤، ص٧٥.

مالي عند الكارتوجرافيين الأوربيين:

ويعتبر منسي موسي أشهر ملوك مالي في العالم الإسلامي، ولم تقتصر شهرته علي العالم الإسلامي فقط بل توجد دلائل كبيرة علي الهيبة والشهرة التي الصقت بمالي وحاكمها الكبير في "Mappa-Mundi" خريطة "العالم. عند الكارتوجرافيين الأوربيين الذين كانوا في ذلك الوقت يقومون بأول محاولة جدية لتمثل داخل افريقية، والاشارة الأولي لمالي وملكها جاءت في الـ Map-pa-Mundi لـ Angelino Dulcert من ميورقة "Majorca" مؤرخة في عام ١٣٣٩م. أي بعد وفاة منسي موسي بسبع سنوات فقط، وصف الطريق عبر الاطلسي كموصل إلي ملك معادن الذهب Rex Melli . وفي الـ Catalan At-las الذي عمله ابراهام كرسك Abraham Creques في سنه ١٣٧٥م لشارل الخامس Charls V ظهر اسم هذه الاقاليم لمالي، Tenbuch تنبكتو، Geugu جوجو، بينما في وسط الصحراء رسمت صورة ملك يمسك صولجان في احدي يديه وكرة من الذهب في اليد الأخري، مع الاسطورة، هذا السيد الأسود يدعي موسي مالي، سيد سودان غينيا[1].

ويسمي صاحب تاريخ الفتاش «(منسي) موسي» ملكي كنك موسي[2]،

(١) Bovill, The Golden trade of the Moors, chapter,8 "Mansa Musa" P, 91, Trimingham, A history of islam in west Africa, note I, p, 68, ch. De la ronciere, la decouverte de L'Afrique au Moyenâge, le caire, 1925, Tome Premier "K'interieur du continent, P, 132.

(٢) محمود كعت، تاريخ الفتاش، ص ٣٢، الترجمة الفرنسية لهوداس ودلافوس، ص ٥٣. وملكي (مل كي) تعني «ملك مالي» وكلمة كي تستعمل أيضاً لرؤساء المدن مثل العمدة والوالي، وكلمة كي مأخوذة من لغة سنغي، هوداس ترجمة تاريخ السودان للسعدي، بالفرنسية، هامش٣، ص ١٥ وكنك وفقا لما جاء بعد ذلك (في تاريخ الفتاش) كان اسم امه=

بينما يطلق عليه السعدي اسم كنكن موسي[1].

وحكم موسي مالي من سنة (٧٠٧هـ/١٣٠٧م إلي سنة ٧٣٣هـ/١٣٣٢م) ويقول ابن خلدون عنه «وكان رجلا صالحا وملكا عظيما له في العدل أخبار تؤثر عنه»[2]، ومن علامة صلاحه (كما يقول صاحب الفتاش)، أنه كان «يعتق كل يوم نفسا»[3]. ووصلت دولة مالي علي عهده إلي اقصي قوتها وازدهارها.

وابتداء من القرن الثامن الهجري كان الاسلام قد استقر في البلاد، وملوكها كما رأينا كانوا حريصين علي القيام بأداء فريضة الحج.

حج منسي موسي:

منسي موسي ما بين (المغرب ومصر والحجاز):

وترك منسي موسي مملكته في تاريخ لا تحدده المصادر، لكن لما كانت الروايات المصرية والمغربية تجمع علي أنه وصل مصر في سنة ٧٢٤هـ (١٣٢٤-١٣٢٥م) فبناء علي هذا يكون خروج موسي من مالي للحج قد

=/= اي ان كنك موسي تعود الي موسي ابن كنك. وهذه الكلمة الأخيرة تكتب كنك بدون حروف متحركة في المخطوط B,A. وكنك في المخطوطC.

محمود كعت، تاريخ الفتاش، ص ٣٣، يقول أن ملكي كنك موسي هو الذي قتل أمه نانا كنك خطأ...، دلافوس، هوداس، الترجمة الفرنسية لتاريخ الفتاش، هامش٢، ص٥٥.

(١) السعدي، تاريخ السودان، ص٧. ويقول هوداس «اما بخصوص كنكن فهو اسم مدينة زارها الرحالة René"»

هوداس، الترجمة الفرنسية لتاريخ السودان، هامش، ٢، ص ١٥.

(٢) ابن خلدون، العبر، جـ٦، ص ٢٠٠، القلقشندي، صبح الاعشي، جـ٥، ص ٢٩٤ (ينقل عن ابن خلدون).

(٣) محمود كعت، تاريخ الفتاش، ص ٣٢، الترجمة الفرنسية لهوداس ودلافوس، ص٥٥.

حدث في أواخر سنة ٧٢٣ واستغرقت الرحلة من مالي إلي مصر حوالي سبعة شهور - بعد أن استنتاب عنه في الحكم ابنه محمد «وهاجر إلي الله ورسوله» كما يقول نص العمري» (يكتب في سنة ٧٣٨هـ)[١].

وذهب إلي مكة لتأدية فريضة الحج في موكب كبير، ويصف الكتاب رحلة حج منسي موسي وصفا روائياً مثيراً، فقد كانت ترافقه «جماعة كثيرة»، بلغت ثمانية آلاف في رواية السعدي، أو ستون ألفا كما تنص رواية صاحب الفتاش[٢]، هذا بينما تقول رواية ابن الوردي (توفي سنة ١٣٤٩/٧٥٠م) «وصحبه أكثر من عشرة آلاف تكروري»[٣]، وتحدد رواية ابن كثير (توفي سنة ٧٧٤هـ/١٣٧٢م) عدد من صحبه من المغاربة والخدم بنحو عشرين الفا[٤].

وكان معه عندما خرج من بلده مائة وسق من الذهب كما تقول رواية العمري، أو ثمانين حملا من التبر كل حمل ثلاثة قناطير، كما تقول رواية ابن خلدون[٥]، بينما تقول رواية صاحب الفتاش (نقلاً عن الشيخ موربكر بن صالح ونكرب) «أنه كان معه حمل أربعين بغلة من الذهب».

---

(١) العمري، المخطوط، ص ١٠٩، الترجمة الفرنسية لديومبين، ص ٧٣.

(٢) السعدي، تاريخ السودان، ص٧، الترجمة الفرنسية، ص١٣، محمود كعت، تاريخ الفتاش، ص٣٤، الترجمة الفرنسية لهوداس، ودلافوس، ص ٥٨.

(٣) ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي المسمي تتمة المختصر في اخبار البشر، طبع سنة ١٢٨٥هـ، جـ٢، ص٢٧٥ احداث سنة أربع وعشرين وسبعمائة.

(٤) ابن كثير، البدايه والنهاية في التاريخ، طبعه مصر، جـ١٤، ص١١٢ احداث سنة ٧٢٤هـ.

(٥) محمود كعت، تاريخ الفتاش، ص٣٦، الترجمة الفرنسية لهوداس ودلافوس، ص٦٢، ص٦٣.

أمـا عن الطريـق الذي اتخـذه منسـي مـوسـي عندمـا خـرج للحج من بلاد المغرب فانه، «سلك علي طريق الصحراء»، كما يقول ابن خلدون[١]، ومشي بطريق ولات في العـوالي إلي توات[٢]، وبعـد ذلك لا يبين الكتـاب الطريق الذي اتخذته الرفقة نحو مصر، واغلب الظن ان منسي موسي اتخذ طريق غات المؤدي إلي مصر والذي ينتهي عند الاهرام[٣].

ويؤكـد صحـة هذا الفرض أن المقريزي (توفي سنة ٨٤٥هـ)، قد ذكـر أن منسـا مـوسي عند قدومه إلي مصر أقام تحت الاهرام (في الجيزه)، ثلاثة أيام في الضيافة، ثم عدي إلي بر مصر في يوم الخميس سادس عشر من رجب سنة اربع وعشرين واربعمائة[٤]. ولقد كان لوصول السلطان موسي إلي مصر صدي بعيد المدي وفي ذلك يقول العمري «وقد كان بلغني أول قدومي مصر واقامتي

---

(١) ابن خلدون، العبر، جـ٥، ص ٤٣٤.

(٢) السعدي، تاريخ السودان، ص٧، الترجمة الفرنسية لهوداس، ص١٣.

«ويفترض هوداس أن كلمة العوالي «اسم الجهة التي كانت ولاتة عاصمتها، ربما ان الاسم يعنى «الاراضي المرتفعة»، اشارة للطبيعة الجبلية للبلاد، عكس اسم الاقليم المجاور الذي يسمي «الحوض» والكلمة تعني في العربية «الارض المنخفضة». هوداس، ترجمة تاريخ السودان للسعدي، بالفرنسية، هامش٣،ص١٣.

(٣) ابن بطوطة، الرحلة، طبعة التجارية، جـ٢، ص٢١٠، يقول بعد أن ترك اقليم كاهر «ثم سرنا بعد ذلك خمسة عشر يوم في برية لاعمارة بها الا أن بها الماء ووصلنا الي الموضع الذي يفترق به طريق غات الاخذ الي ديار مصر وطريق توات» هذا بينما يقول نص ابن خلدون في العبر، جـ٥، ص ٤٣٤ «ولما خرج منسي موسي من بلاد المغرب للحج سلك علي طريق الصحراء وخرج عند الاهرام بمصر.

(٤) المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق الاستاذ الدكتور محمد مصطفي زيادة القاهرة ١٩٤١، الجزء الثاني، القسم الأول، ص ٢٥٥، احداث سنة ٧٢٤. أما ابن كثير في «البداية والنهاية»، جـ١٤، ص١١٢، احداث سنة ٧٢٤، فيقول: «وفيها قدم ملك التكرور الي القاهرة بسبب الحج في خامس عشرين رجب، فنزل بالقرافة ومعه من المغاربة والخدم نحو من عشرين ألفا... ويقال له الملك الاشرف موسي بن ابي بكر...».

بها حديث وصول هذا السلطان موسي حاجا ورأيت أهل مصر لهجين بذكر ما رأوه من سعة انفاقهم[1]».

وسلطان مالي يعرف عند اهل مصر (اي عند العامة)، بملك التكرور، ولو سمع هذا كما يقول العمري أنف منه «لأن التكرور انما هو اقليم من اقاليم اهل مملكتــه والأحب اليــه أن يقـال صــاحب مــالي لأنه الاقليم الاكـبـر وهو به اشهر»[2].

وفي الحقيقة أن لفظ بلاد التكرور كان بين الكتاب العرب والسودان في العصور الوسطي مرادفا لبلاد السودان، واصبحت كلمة تكروري مرادفه لكلمة سوداني[3]. ربما لان التكرور كانوا أول من دانوا بالاسلام فى السودان الغربى.

ما بين منسي موسي والملك الناصر محمد:

وارسل السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون المهمندار لملاقاة منسي موسي، وفي ذلك تقول رواية العمري في «مسالك الابصار» نقلا عن

---

(١) العمري، مسالك الابصار، المخطوط، ص ١٠٩، الترجمة الفرنسية لديموميين ص ٧٦.

(٢) العمري، مسالك الابصار، المخطوط، ص ١٠٦، والترجمة الفرنسية لجودفروا ديموميين، ص ٥٣-٥٤، القلقشندي، صبح الاعشي، جـ٥، ص٢٩٢ (ينقل عن العمري في مسالك الابصار)، المقريزي، الذهب المسبوك ص١١٣.

(٣) العمري، التعريف بالمصطلح الشريف، ص ٢٧، (يسمي صاحب مالي ملك التكرور)، ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، جـ٢، ص ٢٧٥، احداث سنة ٧٢٤ يقول: «وفيها في أول رجب قدم الملك شرف الدين موسي بن ابي بكر ملك التكرور الي الحج....»، ابن كثير البداية والنهاية، جـ١٤، ص ١١٢، القلقشندي، صبح الاعشي، جـ٥، ص ٢٨٢، ٢٨٦، ٢٩٢ ابن حجر، الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة، جـ٤، ترجمة رقم (١٠٤٣)، ص ٣٨٣، يطلق عليه أيضاً اسم ملك التكرور، محمود كعت، تاريخ الفتاش يقول عن مملكة سنغي أرض التكرور، ص١٣، السعدي، تاريخ السودان، ص١٢٠، يقول: «ثم ارسل السلطان مولاي أحمد الشريف الهاشمي رسوله الي اسكيا الحاج بهدايا عجيبات وقصده في ذلك الاطلاع علي حال بلاد التكرور.

المهمندار »خرجت لملتقاه من جهة السلطان فأكرمني اكراما عظيما، وعاملني بأجمل الآداب، ولكنه كان لا يحدثني الا بترجمان مع اجادته اللسان العربي[١].

وفاض كرم منسي موسي علي الجميع في مصر، يقول العمري في «مسالك الابصار» (نقلاً عن الأمير ابا العباس أحمد المهمندار)(*)، أنه قدم «إلي الخزانه السلطانية جملا كثيرة من الذهب المعدني الذي لم يصنع»[٢] وايضاً لم يترك احد الامراء ولا صاحب وظيفة الا وبعث اليه بالذهب[٣].

---

(١) العمري، مسالك الابصار، ص١٠٩، الترجمة الفرنسية لديموميين، ص ٧٦، القلقشندي، صبح الاعشي جـ٥، ص ٢٩٥ (ينقل عن مسالك الابصار للعمري).

(٢) العمري، نفس المصدر، ص ١٠٩، الترجمة الفرنسية لديموميين، ص ٧٦.

(٣) العمري، مسالك الابصار، ص١٠٩، الترجمة الفرنسية، ص٧٨.

ويعلق العمري على ذلك بقوله:

«قلت ولقد صدق المهمندار فانه حكي عن هذا غير واحد».

ويضيف ولما مات المهمندار وجد الديوان فيما خلفه آلافا من الذهب المعدني مما اعطاه له (يعني منسي موسي) باقيا علي حاله في ترابه لم يصنع.

(*) المهمندار الذي قدم الملك منسي موسي الي السلطان محمد بن قلاوون فى سنة ٧٢٤هـ/١٣٢٤م هو نفسه الذي يسميه ابن فضل الله ابو العباس أحمد بن علي الحاكي المهمندار. وهذه الشخصية معروفة لدينا من جهة أخري وفي الواقع، فان برشم Van Berchem في كتابه:

Materiaux pour un corpus des inscriptions arabes du cairo, P, 172, 116.

- يذكر نقشا في محرم ٧٢٥هـ/ ديسمبر ١٣٢٤ - يناير ١٣٢٥م)، تبعا لهذا النقش قام أحمد المهمندار ونقيب نقباء جيوش الناصر بتأسيس مسجد. وهو شخصية يقول منها بحق فان برشم، انها لم تلعب دورا مهما فى التاريخ ومن جهة أخرى فان .V.B يعطى نقشا لمقبرة الامير ولكنها للاسف غير مؤرخة ولكنها تضيف اسم ابيه جمال الدين المهمندار.

ويذكر المقريزي في كتاب الخطط، جـ٢، ص ٣٣٩. (المدرسة المهمندارية) يقول، هذه المدرسة خارج باب زويله فيما بين جامع الصالح وقلعة الجبل بناها الامير شهاب الدين احمد بن اقوش العزيزي المهمندار ونقيب الجيوش في سنة خمس وعشرين وسبعمائه وجعلها مدرسة وخانقاه وجعل طلبة درسها من الفقهاء الحنفية وبني الي جانبها القيسارية والربع الموجودين الآن.=/=

ويفـهم من رواية العـمري ويرجع سندها إلي المهمندار، أن المهنمدار وجد ممانعه لدي منسي موسي في طلوع القلعة، للاجتماع بالسلطان (حسب الاوامر السلطانيـة)، وذلك خشيـة تقبيل الأرض، ويقول جئت للحج لا لغيره، وأخيراً وافق موسي، وركب به المهمندار وتوجها نحو القلعة لمقابلة السلطان، وعندما وصل إلي «الحضرة السلطانيـة»، امتنع منسي موسي من تقبيل ا ض وقال للترجمان «أنا مالكي المذهب، ولا اسجد لغير الله»، فأعفي من ذلك، وأدناه السلطان منه، وأكرمه[1]. ثم قام السلطان موسي فبعث اليـه السلطان بالخلع الكاملة له ولأصحابه، واجري عليه الا نزال والاقامات الوافرة مدة مقامه[2].

=/= وفي موضع آخر، الخطط، جـ٢، ص ٤١٨، يقول عن (الخانقاه المهمندارية) هذه الخانقاة خارج باب زويله فيما بين رأس حارة اليانسية وجامع المارديني بناها الامير شهاب الدين أحمد بن اقوش العزيزي المهمندار ونقيب الجيوش في سنة خمس وعشرين وسبعمائة.

هذا وينفرد ابن ابيك في كتابه الدر الفاخر بذكر بعض المعلومات عن جمال الدين المهمندار يقول فى احداث سنة ٧١٩هـ (ص٢٩٥)، وفيها نوفي الامير علاء الدين طيبرس أمير نقباء الجيوس المنصورة رحمه الله في سلخ شهر ربيع الآخر.. وتولي عوضه الامير شهاب الدين احمد بن جمال الدين اقوش المهمندار. وأضيفت اليه ماكان بيده من المهمنداريه، ومشي فيها مشيا حسنا، واتبع طريقة علاء الدين طيبرس، في الامانة وقام بامر الوظيفتين قياما جيداً.

وفي احداث سنة ٧٢٧هـ (ص٣٤٣) يقول: «وفيها انفصل شهاب الدين ابن المهمندار من نقابة الجيوش المنصوره وتولي عز الدين دقماق مكانه.

وفي (ص٣٥٩) (أحداث سنة ٧٣١هـ) يقول: «وفيها توفي شهاب الدين ابن المهمندار، والمستقر عوضه عز الدين ابن دقماق في نقابة الجيوش المنصورة حسبما تقدم.

ويقول ديمومبين واسم المهمندار بالكامل هو شهاب الدين ابو العباس احمد بن علي بن جمال الدين أقوش، الحاكي في المخطوطات يقرأ الجمالي وهذا سهل. ديمومبين مسالك الابصار في ممالك الامصار، (افريقية ما عدا مصر)، الترجمة الفرنسية ص ٨٩، ص ٩٠، هامش٥.

المقريزي، الخطط، جـ٢، ص ٣٩٩، ص ٤١٨، ابن ايبك الدواداري، الدر الفاخر، ص ٢٩٥، ص ٣٤٣، ص٣٥٩.

(١) العمري، مسالك الابصار، المخطوط، ص ١٠١، الترجمة الفرنسية لديمومبين ص ٧٦، القلقشندي، صبح الاعشي، جـ٥، ص٢٩٥، (ينقل عن مسالك الابصار للعمري)، المقريزي، الذهب المسبوك، ص ١١٣.

(٢) العمري، مسالك الابصار، المخطوط، ص ١٠٩، الترجمة الفرنسية، ص٧٧ -٧٨.

هل التقي منسي موسي بالخليفة العباسي؟

وينفرد أبو بكر بن عبد الله بن ايبك الدوادراي(*) صاحب كتاب «الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر» وهو الجزء التاسع من كتاب «كنز الدرر وجامع الغرر» بايراد رواية تقول ان الخليفة(*) قلد ملك التكرور (ابو بكر بن موسي كما يسميه) تقليدا من قبله(١).

---

(١) ابن ايبك الدواداري، الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر، تحقيق هانس روبرت رويمر، القاهرة ١٩٦٠، ص ٣١٧، يقول النص: «واحسن لهم مولانا السلطان احسانا كبيرا، وألبسه خلعه الملك من جهته. وقلده الخليفة تقليدا من قبله...».

(*) والخليفة المقصود هو المستكفي بالله ابو الربيع سليمان. تولي الامامة بعد وفاة ابيه الامام الحاكم بأمر الله امير المؤمنين (توفي يوم الجمعة ١٨ جمادي الأولي سنة ٧٠١هـ/١٣٠١م)... وكان الحاكم قد اوصي بولاية عهده - قبل وفاته - لولده الامام المستكفي بالله ابي الربيع سليمان، وكان له من العمر في ذلك الوقت عشرين سنة كما تقول رواية ابن ايبك الدواداري.

وقد حدث ذلك في يوم الاربعاء ١٦ جمادي الأولي وكان الامام الحاكم قد احضر جماعه الائمه القضاة مع عدة من العدول، واشهدهم عليه بولاية العهد من بعده، لولده المشار إليه، واشهد عليه انه ولي مولانا السلطان الاعظم الملك الناصر خلد الله ملكه جميع ما كان ابوه قد ولاه في حياته وفوض اليه جميع ما كان ابوه قد فوضه اليه. ثم لبس خلعة الخلافة واخلع علي اخوته واولاد اخيه، وكان ذلك كما يقول نص الدواداري بالقلعة المحروسة، ورتب له ماكان لابيه من جميع رواتبه» ابن ايبك الدواداري، الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر، ص ٧٩» ذكر خلافة الامام المستكفي بالله ابي الربيع سليمان بعد وفاة ابيه رحمه الله «.... وقد شهد المستكفي كما يقول المقريزي، وقعه شقجب (وهي بين المغل والمصريين) مع الملك الناصر محمد بن قلاوون وعليه سواده وقد ارخي له عذبه طويلة وتقلد سيفا عربيا محلي، ثم تنكر عليه (اي الملك الناصر) وسجنه في برج القلعة حوالي خمسة أشهر ثم افرج عنه وانزله الي داره قريبا من المشهد النفيسي بتربة شجر الدر فاقام نحو ستة أشهر، ثم أخرجه من قوص فى سنة ٧٣٧هـ، وقطع راتبه واجري له بقوص ما يتقوت به فمات بها فى خامس شعبان سنة اربعين. وعهد الي ولده فلم يمضي الملك الناصر محمد عهده وبويع ابن اخيه ابو اسحاق ابراهيم بن محمد بن احمد الحاكم بيعه خفيه..... ثم خطب له في يوم الجمعة، ٧ ذي القعدة ولقب بالواثق بالله، ولما مات الناصر محمد واقيم بعده ابنه المنصور ابو بكر استدعي ابو القاسم احمد ابن ابي الربيع سليمان واقيم في الخلافة ولقب بالحاكم بعد ما كان يلقب بالمستنصر وكني بأبي العباس... »=/=

وهذا النص يدل علي أن اسكي الحاج محمد سلطان سنغي، لم يكن، أول سلطان سوداني قلده الخليفة العباسي تقليدا بحكم بلاد التكرور من قبله.

ولعل منسي موسي وجد في تقليد الخليفة العباسي خليفة رسول الله*

=/= المقريزي، الخطط، طبعة بولاق، جـ٢، ص ٢٤٢.

(*) الدواداري:

وهو ابو بكر بن عبد الله بن ايبك، الملقب بسيف الدين، صاحب صرخد، وقد عرف والده بالدواداري نسبة إلي الامير سيف الدين بلبان الرومي الدوادار الظاهري وكان في خدمته

وابن ايبك من مؤرخي القرن الثامن الهجري. ولد بالقاهرة المحروسة، في حارة الباطلية، وفيها تربي (ابن ايبك، الدر الفاخر، ص ١٣٢).

وكان والده عبد الله (الملقب بجمال الدين)، من المقربين للسلطان محمد بن قلاوون، وقد سعد عددا من الوظائف الهامة في الدولة. فقد كان واليا للاعمال الشرقية واقام في هذه الوظيفه احدي عشر سنة، وكان مضافا اليه إلي جانبها نظر قطيا واشمون الرمان. وذلك الي حين عودة السلطان الناصر محمد من الكرك، فطلب اعفاءه من الولاية فأعفاه السلطان في سنة ٧١٠هـ. وخيره السلطان بين الاقامة بمصر أو الشام، فطلب الشام، فرتبه السلطان مهمندارا بالشام، ولما تولي الامير سيف الدين كراي المنصوري نيابة الشام أضاف إليه شاد الدواوين ثم استعفي من وظيفة الشاد، واستمر في المهمندارية حتي وفاته في ١٣ رجب سنة ٧١٣هـ.

أما مؤلفنا ابو بكر بن عبد الله بن ايبك فكان في موقف يسمح له بمشاهدة الاحداث ومعاينتها عن قرب، وهو يشير في كثير من المواقف الي أن ذلك الامر كان «بحضور العبد المؤلف لهذا الكتاب، ومشاهدته بالمعاينه دون السماع» (أنظر، الدر الفاخر، ص ٢١٣ عن ذكر سبب مسك بكتمر الجوكندار وكراي وبقية النواب) ومن اهم مؤلفاته الي جانب كتاب الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر. كتاب الدر الثمين في اخبار سيد المرسلين والخلفاء الراشدين.

بغية النفس من قسمة فلك الشمس المسمي «الدرة السامية في اخبار الدولة الاموية».

الدرة المضية في اخبار الدولة الفاطمية.

شهد النحل من قسمة فلك زحل، المسمي الدر المطلوب في اخبار ملوك دولة بني ايوب.

زهر المروج من قسمة فلك البروج، المسمي، [illegible]ية في اخبار الدولة التركية.

حدايق الاحداق - ودقايق الحذاق.

أعيان الأمثال وأمثال الأعيان.

عادات السادات سادات العادات في مناقب الشيخ ابي السعادات.

انظر ابن ايبك الدواداري، الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر، ص ١٧٧، ص١٣٢، ١٥٤، ص ٢٠٩، ص٢١٠، ص٢١٣، ص٢٦٧، ص ٥ ٣. ص٣٢٢، وانظر مقدمة الكتاب بالالمانيه لهانس روبرت رويمر، ص١٦، ص١٧، ص١٢، ص١٣.

نوعا من التبرك بوصلة النبي يكسبه الهيبة والجلال في بلدة، ومظهرا من المظاهر الإسلامية التي طالما حرص عليها ملوك مالي وربما كان هناك ما يؤيد ما نذهب اليه من تقلد الخليفة العباسي لمنسى موسى حكم بلاد التكرور في الالقاب التي يوردها العمري في «التعريف» في رسم المكاتبه إلي ملك التكرور (أي ملك مالي)، فهو يلقبه بـ «سيف الخلافة ظهير الامامة عضد أمير المؤمنين»[1]. وظل منسي موسي مقيما في القصر الذي اقطعه له السلطان، وأنزله فيه، في القرافة الكبري. وكان السلطان يواليه بالنزل. ولما آن وقت الحج، بعث اليه السلطان بمبلغ كبير من الدراهم، وهجن جليله كاملة الاكوار والعدة لمركبة، وهجن اتباع لاصحابه وازواد جمة، واوصي السلطان الوزير أن يجهزه بكل ما يحتاج إليه، وأوصي به أيضاً الامير سيف الدين ابتمش - امير الركب - فسار ركبا وحده في ساقه الحاج كما يقول المقريزي[2]. وفي يوم الثلاثاء ١٨ شوال «رحل الركب من بركة الحاج إلي الحجاز» كما تقول رواية المقريزي، السلوك جـ٢ قسم١ ص ٢٥٧.

ويمدنا العمري بتفصيلات دقيقة عن الطريق الذي كانت تتخذه قوافل الحاج في مسيرها نحو مكة، والذي يلاحظ علي وصف العمري هو اهتمام الامراء المماليك بتجميل الطريق وتعبيده، وتوفير سبل الراحة للركب، من حفر البرك، واتخاذ المصانع (خزانات المياه)، وبناء الخانات. ويبلغ مسافه الطريق من القاهرة إلي مكة المشرفة ٦٨ مرحلة.

---

(١) العمري، التعريف بالمصطلح الشريف، ص٢٨، القلقشندي، صبح الاعشي جـ٨، ص١٠، (ينقل عن العمري في التعريف).

(٢) ابن خلدون، العبر، جـ٥، ص ٤٣٤، العمري، المخطوط، ص١٠٩، القلقشندي، صبح الاعشي، جـ٨ ص٢٩٦ (ينقل عن مسالك الابصار) المقريزي، الذهب المسبوك، ص١١٣.

أما اهم محطات الطريق أو محطاته (الكبري) فهي، البركه - السويس - نخل - أيلة - حقل - برمدين - عيون القصب - المويلحة - الأزلم - الوجه - اكري - الحوراء - نبط - ينبع - الدهناء - بدر - دابغ - خلص - بطن مرّ - مكة المشرفة[1].

منسي موسي في مكة:

وتقول رواية العمري نقلا عن مهنابن عبد الباقي، الدليل الذي صاحب منسي موسي في حجه، أن منسي موسي افاض علي الحجيج وأهل الحرمين، وتصدق بمال كثير، قال مهنا، «ونابني منه مائتي مثقال من الذهب واعطي رفاقي جملا أخري» ويبالغ مهنا في وصف ما رآه من كرم، وسعة نفس، ورفاهية حال ملك السود[2].

وفي مكة «مجتمع الوفود» تعرف ملك السودان منسي موسي «بشيخ الجماعة» وفارس الادباء ومنفق سوق البلاغه «شاعر الاندلس ابراهيم الساحلي (ويكني بابي اسحاق) ويعرف بالطويجن[3]، «وغمره بارفاده، وصحبة إلي بلاده فاستقر بأول أقاليم العرض واقصي ما يعمر من الأرض»، كما تقول روايه ابن الخطيب[4]. وتعرف منسي موسي أيضاً بالفقيه عبد

---

(١) السيوطي، حسن المحاضرة، جـ٢، ص١٦٧، (ينقل عن ابن فضل الله) «ذكر الطريق المسلوك من مصر الي مكة شرفها الله تعالي».

(٢) العمري، مسالك الابصار، المخطوط، ص١٠٠، الترجمة الفرنسية، لديمومبين، ص٧٩.

(٣) ابن خلدون، العبر، جـ٦، ص٢٠٠، جظ٧، ص٤٥٦.

(٤) ابن الخطيب، الاحاطه في اخبار غرناطه، تحقيق محمد عبد الله عنان طبع دار المعارف، جـ١، ص٣٣٨. وهو ابو اسحاق ابراهيم الساحلي.

(أو ابو اسحاق ابراهيم بن الفقيه الفرضي محمد الانصاري الاوسي الغرناطي المعروف بالساحلي وبالطويجن كما يسميه ابن الاحمر في نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان)، ومن نسبه الساحلي نسبه لجده للام، العالم المشهور، والشاعر المذكور، من اهل غرناطه من =/

الرحمن التميمي، الذي قدم إلي بلاد السودان برفقة السلطان موسي (صاحب مالي)، حين رجع من الحج وسكن تنبكت (كما تقول رواية السعدي)[1].

وتقول رواية صاحب الفتاش أن ملكي كنك موسي بعد أن قضي فرضه، طلب من شيخ مكة أن يعطيه من اهل بيت رسول الله* الشريفين أو الثلاث أو الأربع، يصحبه في العوده إلي بلده ليتبرك اهل البلاد برؤيتهم وببركه آثار اقدامهم، ولكن الشيخ رفض اجابته، واشفق علي الشرفاء، وخشي أن يقع أحداً منهم بين ايدي الكفرة، وصمم منسي موسي كما تقول الرواية في طلبه فقال الشريف له : «لا افعل ولا آمر ولا أنهي»، ومن اراد فليتبعك، وأمر ملكي مناديا في الجوامع من اراد الف مثقال من الذهب فليتبعني إلي أرضي فله الف حاضر فجمع عليه أربعة رجال من قبيلة قريش، وقيل أنهم من موالي قريش ونقلهم أربعة آلاف مثقال، وتبعوه بأهليهم راحلين إلي بلده[2].

=/= بيت صلاح وثروة وامانة، وكان ابوه امين العطارين بغرناطة،... وكان من اهل العلم فقيها، متفننا وله الباع المديد في الفرائض - وكان في صغره موثقا بسماط شهود غرناطة، رحل بعد أن اشهر فضله، وذاع اوجه، فجال ببلاد المغرب ثم قدم القاهرة، ودخل الشام والعراق ودخل اليمن والحجاز، وعاد الي مصر، ثم سار الي بلاد السودان، واستوطنها زمانا طويلا، بالغا فيها اقصي مبالغ المكنة والحظوة، والشهرة والجلاله، واقتني مالا دثرا، ثم آب الي المغرب، وحوم علي وطنه، ثم آب الي بلاد السودان، وجرت علية في طريقه محنة ممن يعترض الرفاق ويفسد السبيل، واستقر بها علي حاله من الجاه والشهرة، وقد اتخذ اماء للتسري من الزنجيات ورزق من الجوالك اولادا كالخنافسه، ثم لم يلبث ان اتصلت الاخبار بوفاته بتنبكتو، في ٢٧ جمادي الاخيرة سنة ٧٤٧هـ.

(ويقول ابن الاحمر في نثيرفرائد الجمان أنه توفي بمالي من أرض جناوة..) ابن الاحمر، نثيرفرائد الجمان في نظم فحول الزمان، (مخطوط دار الكتب رقم ٧١١٣ ادب)، ص١٠٤، ابن الخطيب الاحاطه في اخبار غرناطه، جـ١ص٣٣٧-٣٣٨، ص٣٤٩، ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة، جـ١، ص٥٤، ترجمة رقم (١٤٣) المقري، نفح الطيب، طبعة التجارية، جـ٢، ص٣٩٣.

(١) السعدي، تاريخ السودان، ص٥١، الترجمة الفرنسية لهوداس، ص٨٣.

(٢) محمود كعت، تاريخ الفتاش، ص٣٦-٣٧، الترجمة الفرنسية، ص٦٣-٦٤ وتقول =/=

واقام منسي موسي بعد الحج ثلاثة اشهر في مكة كما تذكر رواية ابن حجر في الدرر الكامنة[1]. وبعد أن قضي منسي موسي فرضه، رجع من الحجاز إلي القاهرة.

ولما عاد من الحجاز، بعث إلي السلطان من هدايا الحجاز شيئاً كثيراً، وقبل السلطان الهدايا وبعث إليه بالخلع الكوامل له ولاصحابه[2].

ولقد اقبل منسي موسي ورفاقه، علي شراء الجواري من الترك والحبوش، والقيان والشياب، «واشتري منسي موسي عدة كتب من فقه المالكية» كما تنص رواية المقريزي[3].

ولقد كسب أهل مصر علي منسي موسي وعلي اصحابه في البيع والشراء والعطاء والاخذ مالا يحصر، وفي ذلك يقول العمري: «وحدثني خلق من تجار مصر والقاهرة عما حصل لهم من المكاسب والربح عليهم، فان الرجل منهم كان يشتري القميص والثوب أو الإزار وغير ذلك بخمسة دنانير وهو لا يسوي دينارا واحدا، كانوا في غاية سلامة الصدور والطمأنينة يجوز عليهم مهما حذر عليهم ويأخذون كل قول يقال بالقبول والصدق، ثم ساءت ظنونهم بأهل

=/= بقية الرواية «ولما رجع ملكي قافلا ووصل الي تنبكت جمع القوارب والسفن وحمل عيالهم وامتعتهم ونسرته ليوصلهن الي ارضه حين عجزت دوابه عن الركوب فلما وصلت سفنه الي بلد كم وفيهم شرفاؤه القادمين معه من مكة الشريفة وقع عليهم جنكي وكرن ونهبوا كل ما كان في تلك السفن وانزلوا الشرفاء عندهم وخرجوا في طاعة ملكي وعلمهم اصحاب السفن بأمر الشرفاء واخبرهم بمكانهم واقبلوا عليهم واكرمهم واجلسهم بمكان هنالك يسمي سنشين قبل أن شرفاء بلد كيي اوكئ منهم».

(١) ابن حجر، الدرر الكامنة، جـ٤، ص٣٨٣، ترجمة رقم ١٠٤٣.

(٢) العمري، المخطوط، ص١٠٩، الترجمة الفرنسيه، ص٧٨، القلقشندي، صبح الاعشي، جـ٥، ص٢٩٦، ابن حجر، الدرر الكامنة، جـ٤، ص٣٨٣.

(٣) المقريزي، الذهب المسبوك، ص١١٣.

مصر غاية الاساءة لما ظهر من غشهم لهم في كل منزل وفي تزاحمهم المفرط عليهم في اثمان ما يباع عليهم من الاطعمة والسلع حتي انهم لو رأوا اليوم أكبر ائمه العلم والدين وقال لهم أنه مصري اهانوه وأساءوا به الظن لما رأوا من سوء معاملتهم(١).

وهكذا انتهي الامر بنفاذ أموال منسي موسي «وأعجزته النفقة»، وبناء عليه اقترض موسي من أعيان التجار وكان منهم بنو الكويك، الذين اقرضوه خمسين الف دينار، وابتاع منهم القصر الذي اقطعه السلطان؟ كما تورد رواية ابن خلدون(٢).

وبالرغم من أن هذه الروايه تشكك في كل ما قيل من قبل (نقلا عن العمري ومن نقل عنه) عن الاسراف في اعطاء الذهب لكل رجال مصر، الا أنه يمكن تفسير اقتراض منسي موسي من التجار بأن قافلته تعرضت في رجوعها للنهب والسلب، ونستشف ذلك من الرواية التي ينفرد بذكرها ابن خلدون، والتي تنص علي أنه بعد «أن قضي فرضه سنة أربع وعشرين ورجع فأصابته في طريقة بالحجاز نكبة.... وذلك انه ضلّ في الطريق عن ركب الحاج، وأصبح منفردا هو وجماعته عن العرب، والطريق مجهول بالنسبة لهم لم يهتدوا فيه إلي عمران، واستمروا في سيرهم «علي السمت إلي أن نفذوا عند السويس، والاعراب تتخطفهم من اطرافهم إلي ان خلصوا»(٣).

---

(١) العمري، مسالك الابصار، المخطوط، ص١٠٩، الترجمة الفرنسية لديومبين، ص٧٨-ص٧٩.

(٢) ابن خلدون، العبر، جـ٥، ص٤٣٤. وعن سراج الدين بن الكويك، انظر ابن بطوطة الرحلة، جـ٢، ص٢٠٦.

(٣) ابن خلدون، العبر، جـ٥، ص٤٣٤. وانظر المقريزي، الذهب المسبوك، ص١١٠، حيث يقول عن منسي موسي: «وتأخر بمكة بعد الموسم اياما وعاد، فهلك كثير من =/=

وهناك امثلة لتعرض قوافل الحجاج من المغاربة والتكرور للنهب من ذلك ما يذكره ابن حجر في «انباء الغمر» في احداث سنة ٧٨٥، يقول، نص الرواية: «وفيها (اي في سنة ٧٨٥)، خرج سعد الدين بن أبي الغيث صاحب ينبع علي ركب المغاربة بوادي العقيق وطلب منهم مالا فتكاثروا عليه وفيدوه، فقام العرب الذين كانوا معه فقاتلوهم فقتلت منهم مقتلة عظيمة، ثم جاء التكرور والمغاربة فكثرت القتلي ونهبت المغاربة والتكرور أموال عظيمة، فبلغ ذلك بهادر أمير المحمل فقام في لم شعث هذه القضية وتسكين هذه الفتنة إلي أن هدأت»(١).

عودة منسي موسي إلي مالي:

وأعد منسي موسي العدة للعودة إلي مالي، وجاءت العودة في السنة التالية سنة ٧٢٥هـ، عن طريق غدامس - وغدامس لهذا العهد (اي عصر ابن خلدون) قد استبحرت في العمارة واسعة في التمدن بما صارت محطا لركاب الحاج من السودان وقفل التجار إلي مصر والاسكندرية عند اراحتهم من قطع المفازة ذات الرمال المعترضة امام طريقهم دون الارياف والتلول وبابا لولوج تلك المفازة(٢).

وكان المعمَّر (صاحب ابن خلدون) - ويسمي ابو عبد الله بن [illegible]جة الكومي،

=/= اصحابه وجماله بالبرد حتي لم يصل معه الا نحو الثلث منهم، فاحتاج الي قرض مال كثير من التجار».

(١) ابن حجر، انباء الغمر بانباء العمر، نشر وتحقيق الدكتور حسن حبشي، القاهرة، سنة ١٩٧٠، جـ١، ص٢٧٨، أحداث سنة ٧٨٥.

(٢) ابن خلدون، العبر، جـ٧، ص٥٨-٥٩.

وهو من ولد عبد المؤمن، وكان داعية بالزاب للفاطمي المنتظر كما يقول ابن خلدون - في انتظار ركب منسي موسي ببلد غدامس، مستجيشا به علي اعدائه، راجيا منه نصره عليهم ومعاونته علي أمره، ولقيه السلطان موسي بالترحاب، ووعده بالمظاهرة والقيام بتأثره، وصحبه المعمّر إلي بلاده (اي إلي مالي)(١).

فتح كوكو:

وعند وصول كنكن موسي إلي النيجر علم أن قائده، سقمنجة قد استولي علي كوكو (جاو - جوجو - جاع)، اثناء غيابه سنة ٧٢٦هـ/ ١٣٢٥م)، كما تقول رواية ابن خلدون التي يرجع سندها إلي الحاج يونس ويمال التكروري (ترجمان مالي بمصر)، وهو أخبر ببلاده.وهناك رواية أخري في «العبر» تقول أن ساكورة هو الذي افتتح بلاد كوكو(٢)، ويمكن التوفيق بين الروايتين وأن المدينة فتحت للمرة الأولي علي ايام ساكورة، ثم نقضت العهد واستتبع ذلك فتحها فيما بعد. فعزم علي الذهاب إلي المدينة ليتلقي احترامات زياسبي الذي اعطاه ولديه كرهن، وكان علي احدهم بعد ذلك بعشر سنوات أن يعود إلي جاو (كوكو)، ليؤسس عصر السني وليهز من وصاية مالي(٣).

تيار الهجرة العربية إلي السودان والعمل الحضاري الذي قاموا به هناك:

نشر الاسلام والعمران الاسلامي في مالي:

وهكذا اصطحب منسي موسي الساحلي والفقيه عبد الرحمن التميمي، والمعمر، في عودته إلي حضرة ملكه(مالي).

---

(١) ابن خلدون، العبر، جـ٦، ص٢٠٠.

(٢) ابن خلدون، العبر، جـ٦، ص٢٠٠، وانظر السعدي حيث يقول: «ودخل اهل سغي في طاعته (اي في طاعة كنكن موسي) بعد جوازه من الحج» السعدي، تاريخ السودان، ص٧.

(٣) السعدي، تاريخ السودان، ص٦. Delafosse, Les Noirs de L'Afrique, P, 59.

وكان لوجود هؤلاء النفر اثره في العمل علي نشر الاسلام كما سنري. وقد نال كل من الساحلي والمعمر الحظوة لدي منسي موسي، الذي احسن مثواهم واكرم نزلهم وأنس بهم من دون بقية وزرائه وكبار رجال قومه. يفهم ذلك من قول المعمر وهو «الشقة» كما يقول ابن خلدون، قال: «كنا نواكبه أنا وأبو اسحق الطويجن دون وزرائه ووجوه قومه تأخذ بأطراف الاحاديث نتمتع[1].

وصدم المعمّر من بساطة البناء الذي كان مستعملا كمسجد لمسلمي جاو، (وهو كوخ بسيط سقفه من القش)، وطلب منسي موسي من الساحلي - الذي كان يمتهن العمارة بجانب الشعر - أن يبني بيتا للصلاة لائقاً بالعلي سبحانه وتعالي، فبني الساحلي في جوجو (جاو) مسجدا من الطوب الاحمر له سطح ذو شرفات وذو منارة (صومعة) هرمية. وحسب ما تقول الرواية كان أول بناء سوداني من هذا النوع المنتشر علي ايامنا والذي نسميه الاسلوب السوداني.

وكانت هذه مناسبه لتطور هام في العمارة السودانية التي كانت لا تعرف الا الكوخ الأسطواني الشكل ذو السطح المخروطي المصنوع من القش - وهو مازال منتشر حتي ايامنا هذه في كل افريقية السوداء تقريبا- وقد أراد البعض أن يرجع عن طريق الخطأ هذا الاسلوب المعماري إلي أصل مصري، ولكنه يكفي ان نلاحظ طريقة البناء والطبيعة المعمارية للأساسات لكي نعرف أن لها صلة أكيده بالمعمار العربي البربري (Arabo-berbere) جنوب المغرب والواحات الصحراوية[2].

والتاريخ علي اي حال يؤكد هذه النظرية حيث أن وجود الساحلي في

---

(١) ابن خلدون، العبر، جـ٦، ص٢٠١.

(٢) Delafosse, relations du Marce et du Soudan, P, 159.

مراكش هو الذي أوحي اليه بذلك(١).

واتجه كنك موسي بعد ذلك إلي تنبكت التي ضمها إلي دولته في نفس الوقت الذي ضم فيه ولات (ايوالاتن - بيسر)(٢). وبني الساحلي كذلك في تنبكت مسجد اله سطح وصومعه. وبناها وصومعتها علي خمسة صفوف والقبور لاصقة بها من خارجها في جهتي اليمين والمغرب - وتلك «عادة السودان اهل المغرب لا يدفنون امواتهم الا في رحاب مساجدهم وجوانبها من خارج» كما يقول السعدي(٣) ويعرف هذا المسجد بالجامع الكبير(٤).

وبني الساحلي ايضا في تنبكت بيتا كبيرا مربعا له قبة سمي مع دك وتعني الكلمة في لغتهم (دار السلطان) أو «أرض السيد»(٥)، وكانت معروفة وصار موضعها علي أيام السعدي (كان حيا إلي سنة ١٠٦٦هـ) مجزرة للجزارين(٦).

وهكذا عمل كل من الساحلي والمعمر علي نشر الاسلام والعمران

---

(١) Delafosse, op-Cit, PP. 159-160.

(٢) السعدي، تاريخ السودان، ص٧، ص٢٢، الترجمة الفرنسية لهوداس، ص ٣٧.

(٣) السعدي، تاريخ السودان، ص٥٦-ص٥٧، الترجمة الفرنسية لهوداس، ص٩١.

(٤) السعدي، تاريخ السودان، ص٨، دلافوس، ص٥٩.

(٥) السعدي، تاريخ السودان، ص٧، ص٨ دلافوس، السود في افريقية بالفرنسية، ص٥٩.

(٦) السعدي، تاريخ السودان، ص٨. ويقول صاحب تاريخ الفتاش: «وفي هذا العصر (عصر آل كلم Ali Colom)، كان لملك مالي في تنبكت مقرا ملكيا معروفا، في المكان الذي يطلق عليه (مع دك) Mâdougouوالذي توجد به اليوم سوق اللحوم لشعب تنبكت. وبجانب والي شمال هذا المقر كان يوجد المسجد الملكي، وبعد أن اصبح اطلالا فان سكان تنبكت قد احلوا محله، في عصر الاساكي، مكانا للصلاة في الاعياد. وكلمة (مع دك) هي الاسم الذي يطلق في بلاد التكرور علي كل مقر ملكي اينما وجد،

Tarikh el-Fettach, traduction française par O. Houdas, M Delafosse, Paris, 1964, Deuxième Appendic, P, 335.

الحضاري عن طريق العناية بالمساجد اللامعة الفخمة التي تجتذب أنظار الناس.

ويروي أن منسي موسي سر كثيرا من عمل الساحلي لفقدان صنعه البناء بأرضهم، فأعطاه اثني عشر ألف مثقال من مثاقيل التبر مشوية عليها كما يقول ابن خلدون، أو أربعة آلاف مثقال وفقا لرواية ابن بطوطة[١].

وصحب الساحلي كنكن موسي حتي كالجابا حيث بني له في الطريق مع دك أخري في نيني (بني - بيستي - بنبي)، التي كانت في ذلك الوقت العاصمة الثانية للمملكة[٢]، والتي يظهر موضعها الذي لازال يطلق عليه «نيني مع دك» "Niani Madougou" بين نيامينا "Niamina" وكوليكورو "Koulikoro"[٣].

وعاد الساحلي بعد ذلك إلي تنبكت واستوطنها، وبلغ فيها اقصي مبالغ الحظوه والشهرة والجلاله، إلي أن مات سنة (٧٤٧هـ/١٣٤٦م)[٤]، وقد زار قبره الرحالة ابن بطوطة[٥].

ورغم جهود منسي موسي العظيمة، في اضفاء الصبغة الاسلامية علي دولة (مالي)، وذلك عن طريق بناء المساجد والجوامع، وجلب الفقهاء من مذهب مالك إلي بلاده وتفقه في الدين، الا أنهم احتفظوا ببعض العادات والتقاليد القديمة التي لم يستطع الاسلام أن يقتلعها من جذورها العميقة

---

(١) ابن خلدون، العبر، جـ٦، ص٢٠١، ابن بطوطة، الرحلة، جـ٢، ص٢٠٣.

(٢) انظر ما سبق، ص١٧٥.

(٣) Delafosse, Les Noirs de L'Afrique, P,60.

(٤) المقري، نفخ الطيب، جـ٢، ص ٣٩٣، السلاوي، الاستقصا، جـ٢، ص٧٥.

(٥) ابن بطوطة، الرحلة، جـ٢، ص٢٠٦.

تماما. والمثل لذلك ما يورده العمري في مسالك الابصار نقلاً عن سعيد الدكالي، وهو ممن خبر بلاد مالي، حيث سكن مدينه بنبي (العاصمة). يقول (عن مالي) والسحر، بهذه البلاد كثير، خصوصا في بلاد غانة، والفيل يصاد في بلاد الكفار المجاوره لهم بالسحر حقيقه لا مجازا، وفي كل وقت يتحاكمون عند ملكهم بسببه، ويقول أحدهم أن فلانا قتل بالسحر أخي أو ولدي أو بنتي أو أختي ويحكم السلطان علي القاتل بالقصاص ويقتل الساحر[1].

ويبدو أنهم، فهموا الاسلام داخل اطار عاداتهم ومعتقداتهم القديمة، التي لم يكونوا قد تخلصوا منها بعد، والمثل لذلك أن منسي موسي نفسه، برغم ورعه وتقواه وتخشعه، كان يجهل الكثير من شرائع الاسلام، نستشف ذلك من الروايه التي يوردها العمري في مسالك الابصار والتي يرجع سندها إلي ابن أمير حاجب، قال: وذكر لي عنه (أي عن منسي موسي) أنه قص عليه أن من عادة أهل مملكته أنه اذا نشأ لأحد منهم بنت حسناء، قدمها له أمة موطؤة، فيملكها بغير تزويج مثل ملك اليمين. فقلت له: «إن هذا لا يحل لمسلم شرعا. فقال ولا للملوك؟ فقلت ولا للملوك واسأل العلماء. فقال: والله ما كنت أعلم ذلك! وقد تركته من الآن»[2].

حدود مملكة مالي والاقاليم التي تشملها:

رغم أن العمري يكتب عن مالي خلال عصر منسي سليمان، الا أن معلوماته ترجع بصفة أساسية (خاصة) إلي ايام منسي موسي.

(١) العمري، مسالك الابصار، المخطوط، ص ١٠٧، الترجمة الفرنسية لديومبين ص ٦٤، القلقشندي، صبح الاعشي، جـ٥، ص٢٩١.

(٢) العمري، مسالك الابصار، المخطوط، ص ١٠٨، ص١٠٩، الترجمة الفرنسية لديومبين، ص٧١، القلقشندي، صبح الاعشي، جـ٥، ص٢٩٦.

يقول العمري في المسالك: «وهذه المملكة في جنوب نهاية الغرب متصلة بالبحر المحيط». ويقول في كتاب «التعريف بالمصطلح الشريف»، أنه يحدها من جهة الغرب البحر المحيط، وفي الشرق بلاد البرنو، وفي جهة الشمال جبال البربر، وفي الجنوب الهمج[١].

والعمري يخبرنا عن الاقاليم التابعه لمالي وهي أربعة عشر اقليما.

من بينها غانة[٢] وراقول (زافون عند القلقشندي)[٣]، وترنكا[٤]. وتكرور[٥]، وسنغانة[٦]، وباتبغو[٧]، وزرتطانيا، وبيترا، ودرمورا (دمورا

(١) العمري، مسالك الابصار، المخطوط، ص ١٠٦، الترجمة الفرنسية، لديموميين، ص٥٢.، القلقشندي، صبح الاعشيجـ٥، ص٢٨٦، العمري، التعريف، ص٢٧.

(٢) عن غانة (أنظر ما سبق الفصل الخامس بدولة غانة).

(٣) راقول أو زاقون (زاغة عند ابن بطوطة) وزاغة اسمها الصحيح Jàka أو جاجا ,Diaga Jàja وفقا للاسم القديم لعاصمة مملكة التكرور كانت اقليما واسعا علي الفرع الشمالي الغربي لنهر النيجر، علي بعد مسافة نصف يوم شمال (Jafaraba)ديموميين، الترجمة الفرنسية لمسالك الابصار للعمري، هامش١، ص٥٥، جب، ترجمة رحلة ابن بطوطة بالانجليزية هامش ١٣، ص ٣٧٨.

(٤) ترنكا، دلافوس، يقول ان مكانها Ernesé، الي الشرق قليلا من تمبكتو علي ثنية النيجر. ديموميين، الترجمة الفرنسية لمسالك الابصار للعمري، هامش٢، ص٥٥.

(٥)اقدم ذكر للتكرور ورد في كتاب البكري، وتقع مدينة تكرور جنوب غرب صنغانه ويضع دلافوس العاصمة علي السنغال الي الغرب قليلا من "Bakel" ويقول بونيل دوميزيير، أن مكانا يدعي تكرر (Tokoror) علي جزيرة عند (Morfil) يقال أنه كان موضع العاصمة السابقة. البكري، المغرب، ص ١٧٩ Trimingham, A. history of islam in west Africa, P, 42, note 4.

(٦) وتكتب في الـ Pilot Book لـ Medicis في (١٣٥١م) سنجامه Senegamy . وفي كادمستو (١٤٥٥م) Cada Mosto سنجه Senega أو Sangua ومحمود كعت في تاريخ الفتاش، ص ٣٩ يكتبها سنقل ويذكر Marty أن المور يستعملون كلمة صنغانه لولاية Cayor التي يسكنها الولف.

ويقول دلافوس أن ترارزة (Trarza) يستعملون كلمة isangàn لضفة الولف علي السنغال الاسفل. Trimingham, Op-Cit, P, 42, note3.

(٧) بابنغو قسم (مقاطعه) من بامبوك (اقليم Kundian)، لكن بدون شك اطلق اسما علي =/

عند القلقشندي، وهو ينقل مسالك الابصار للعمري)، وزاغة[1]، وكابرا[2]، براغوري[3]، وكوكو[4].

=/= كل بامبوك، بين فليمه وبفنج Bafing التي تتضمن جبال Tambawula التي تحتوي علي الذهب.

ويقال ان المنطقة غزاها اماري سنكو (Amari Sonko) أحد قواد ماري جاطة، وأن تأسيس عصر مندنجي هناك يرجع الي عهد منسي ولي (١٢٥٥ - ١٢٧٥م)، بواسطة موسي -Son koroma Sissko وكانت Kundiam هي العاصمة.

Trimingham, A history of islam west Africa, P, 69, note 6,

ديوميين، ترجمة مسالك الابصار، للعمري، بالفرنسية، هامش ١، ص٥٦، واصبح الاسلام الديانة الرسمية، ولكن الروايات تسجل أن رجال الدين في البلد قد حاولوا أن يتحكموا في مناجم الذهب وقد قتلوا جميعا، وأن الديانات القديمة عادت لتسود من جديد.

(ربما كانت نفس القصه التي يشير اليها العمري)

(١) زاغون، هي زافقو عند البكري. ديوميين، ترجمة العمري، هامش١، ص٥٥.

(٢) كابرا: يقول ابن بطوطة.. «ثم ينحدر النيل من كارسخو الي كابرة ثم إلي زاغة ولكابره وزاغة سلطانا يؤديان الطاعة للملك مالي (ابن بطوطة، الرحلة، جـ٢، ص١٩٦).

وان كابرا لم تكن ميناء كبير في تنبكتو، تاريخ السودان، ص١٣، جب، ترجمة رحلة ابن بطوطه بالانجليزية، هامش١٣، ص٣٧٨.

(٣) براغوري (براغودي عند القلقشندي) ربما كانت بوغرات لدي البكري، ديوميين، الترجمة الفرنسية لمسالك الابصار للعمري، هامش٥، ص ٥٦.

(٤) عن كوكو انظر فيما بعد الفصل الخاص بمملكة سنغي.

العلاقات بين مالي والمغرب علي أيام منسي موسي:

تقديم:

العلاقات قبل منسي موسي:

بلاد المغرب وثيقة الصلة من الناحية الجغرافية ببلاد السودان الغربية (كما سبق القول)، مما ترتب عليه قيام علاقات سياسية مباشرة بينهما بحكم الجوار.

وقد استطاع المرابطون - كما سبق أن رأينا - أن يضموا غانة إلي دولتهم لفترة من الزمن (من سنة ٤٩٦ - ٤٨٠هـ)، ولكن غانة سرعان ما استردت استقلالها السياسي عقب مقتل المجاهد الكبير أبي بكر بن عمر (سنة ٤٨٠هـ)[١]، ولكن برغم استقلال غانة من الناحية السياسية الا أن العلاقات ظلت قائمة بين المغرب ودول السودان الغربي من النواحي الاقتصادية والثقافية والحضارية.

وعلي ايام الموحدين، ورغم انهم وجهوا انظارهم إلي الاندلس بوصفها الجناح الغربي المكمل للمغرب، وواصلوا حركة الجهاد ضد الممالك النصرانية هناك - الا أن التجارة مع السودان الغربي لقيت اهتماما كبيرا من امراء الموحدين.

ويورد لنا المقري في (نفح الطيب جـ٤، ص ١٠٢)، نص الرسالة التي بعث بها الامير أبي الربيع سليمان بن عبد الله بن أمير المؤمنين عبد المؤمن ابن علي، إلي ملك السودان بغانة ينكر عليه تعويق التجار ومن ذلك قوله،

(١) أنظر فيما سبق، الفصل الخامس بدولة غانة.

نحن نتجاوز بالاحسان، وأن تخالفنا في الأديان، ونتفق علي السيرة المرضية ونتألف علي الرفق بالرعية......... وقد بلغنا احتباس مساكين التجار ومنعهم من التصرف فيما هم بصدده، وتردد الجلابة إلي البلد مفيد لسكانها، ومعين علي التمكن من استيطانها، ويختم كتابه بتهديد ملك السودان بقوله: «ولو شئنا لاحتبسنا من في جهاتنا من أهل تلك الناحية لكنا لا نستصوب فعله، ولا ينبغي لنا أن ننهي عن خلق وتأتي مثله»[1].

العلاقة ما بين منسي موسي والسلطان ابي الحسن المريني:

وعلي أيام المرينيين توثقت عري الصداقة بين المغرب ودولة مالي بصفة خاصة، وكان بين منسي موسي والسلطان أبي الحسن المريني (حكم من ١٣٣١ - ١٣٥١) ملك المغرب علاقات طيبة، وارسل مل كي كنك موسي قبل وفاته بقليل، وفد من أهل مملكته مع «ترجمان من الملثمين المجاورين لممالكهم من صنهاجة» إلي مدينة فاس لتهنئة السلطان ابي الحسن علي استيلائه علي المغرب الأوسط، وانتصاره علي بني عبد الواد بتلمسان[2]، فأكرمهم السلطان، وأرسل وفاده مقابلها إلي مالي، وكان بين اعضاء الوفد - كما تقول رواية ابن خلدون، كاتب الديوان ابو طالب بن محمد بن ابي مدين، ومولي السلطان عنبر الخصي، وصحب السفارة علي ابن غانم أمير أولاد جار الله من المعقل.

ووصل الركب عام (٧٣٧هـ/١٣٣٦م)، علي أيام حكم منسي سليمان ابن

---

(١) المقري، نفح الطيب، نشر محيي الدين عبد الحميد، طبعة التجارية، ١٩٤٧، جـ٤، ص١٠٢.
(٢) ابن خلدون، العبر، جـ٧، ص٢٦٦، جـ٦، ص٢٠١.

ابي بكر (أخو منسي موسي)، الذي خلف منسا مغا (محمد) ابن السلطان موسي[1].

وفاة منسي موسي:

ومات ملكي كنكن موسي عام (٧٣٣هـ/١٣٣٢م)، وترك لابنه وخليفته مغا (محمد)، دولة قوية شامخة البناء، تمتد حتي البحر المحيط (المحيط الأطلنطي) في الغرب، وبلاد الحوصا (نيجيريا الحالية) في الشرق، وحتي واحات جنوب الجزائر الحالية في الشمال[2].

منسا مغا:

عندما توفي كنكن موسي خلفه في السلطنة ابنه مغا (محمد)، الذي سبق أن استخلفه موسي عندما اتجه نحو المشرق لقضاء فرضه. وليست لدينا معلومات كافية عن عصره.

غزو موش كي تنبكت:

ويفهم من الرواية التي ينفرد بذكرها السعدي، أنه في ايامه، في سنة ٧٣٤هـ/١٣٣٣م حسب تحديد دلافوس، وهي السنة التي تلت وفاة منسي موسي، غزا سلطان موش مورهونابا ياتنجا "Mirhonaba du Jatenga" مدينة تنبكت علي رأس جيش كبير، تمكن من دخول المدينة، وخاف أهل مالي سنهم، وتبددوا امامهم وهربوا وتركوا تنبكت، وبدأ موش كي (ملك موش)، وقواته

---

(١) ابن خلدون، نفس المصدر ، ص٢٦٦،، ص٣١٠، الاستقصا، جـ٢، ص٧٥.
Delafosse, Les Noirs de L'Afrique, P, 61.
(٢) Delafosse, Les Negres, P,23.

في تخريب المدينة وعاثوا فيها فسادا وخربوها وحرقوها ، وشهدت المدينة كما يستشف من رواية السعدي قتالا عنيفا ، وقتل اهلها قتلا ذريعا ، واستولوا علي ما فيها من الاموال، ثم آب موش كي إلي بلاده[1]. وهكذا كان الدافع الذي ادي إلي قيام موش كي بحملته علي تنبكت كما نستبين من نص السعدي هو الحصول علي المغانم والاسلاب والسبي، وليس بهدف الاستيطان في البلاد اذ سرعان ما عاد إلي بلاده دون أن يترك واليا ولا حاميه في تنبكت. ومات منسامغا بعد أربع سنوات من ولايته كما يقول ابن خلدون[2].

منسا سليمان:

وولي الحكم في مالي بعد منسا مغا منسي سليمان بن أبي بكر، ووقع علي كاهله عبء اعادة تنظيم الدولة خاصة من النواحي المالية.

والعمري يمدنا برواية يفهم منها أن دولة منسي سليمان كانت تحوي نفس الاقاليم التي كانت تحت حكم منسي موسي، ونص هذه الرواية يقول: «واجتمع له ما كان أخوه افتتحه من بلاد السودان، وبني به المساجد والجوامع والمنارات واقام به الجمع والجماعات والآذان، وجلب إلي بلاده الفقهاء من مذهب الامام مالك رضي الله عنه وتفقه في الدين[3].

العلاقات مع المغرب:

---

(١) السعدي، تاريخ السودان، ص٥٨ الترجمة الفرنسية، ص١٦-١٧.
Delafosse, Les Noirs de L'Afrique, P, 61, 65.
وانظر فيما بعد الفصل الخاص بدولة موش
(٢) ابن خلدون، العبر، جـ٦، ص٢٠١.
(٣) العمري، مسالك الابصار، المخطوط، ص ١٠٦، الترجمة الفرنسية لديمومبين، س٥٣.

وعلي أيام سليمان استمرت علاقات الود والصداقة وحسن الجوار مع المغرب، وتوثقت عري الصداقة بين منسي سليمان والسلطان ابي الحسن المريني، وارسل منسي سليمان وفاده إلي فاس علي رأسها الحاج موسي الونجراتي سفيرا عنه إلي السلطان أبي الحسن، كما تقول رواية ابن حزي التي يرجع اسنادها الي، العلامة الفقيه ابو القاسم بن رضوان[1].

أما رواية ابن خلدون، أن وفادة السلطان ابي الحسن إلي منسي موسي وصلت علي عهد منسي سليمان «فأحسن مبرتهم وأعظم موصلهم واكرم وفادتهم ومنقلبهم وعادوا إلي مرسلهم في وفد من كبار مالي يعظمون سلطانه ويوجهون حقه ويؤدون طاعته من خضوع مرسلهم وقيامه بحق السلطان واعتماله في مرضاته[2]. وفي موضع آخر من «العبر» يقول ابن خلدون، وأعد السلطان منسي سليمان هدية نفيسة بنيه أرسالها إلي السلطان ابي الحسن مكافأة له علي هديته. وتوفي السلطان أبو الحسن في ذلك الوقت، ومات السلطان سليمان بعده، واختلف اهل مالي علي الملك إلي أن ولي امرهم جاطة، فأمر بارسال الهدية التي كان قد أعدها منسا سليمان، وكانت مختزنه بوالات (ايوالاتن)، بعد أن اضاف اليها الزرافة...... «الحيوان الغريب الشكل العظيم الهيكل»، وخرجوا من بلادهم، ووصلوا إلي فاس في صفر سنة (٧٦٢هـ/ ١٣٦٠م)، وكان يوم وفادتهم كما يقول ابن خلدون (وهو شاهد عيان ومعاصر للاحداث التي يرويها)، يوما مشهودا، جلس لهم السلطان أبا سالم ابن السلطان ابي الحسن ببرج الذهب المعد لعرض الجنود، ونودي في الناس

---

(١) ابن بطوطة، الرحلة، طبعة التجارية، جـ٢، ص٢٠٠.
(٢) ابن خلدون، العبر، جـ٧، ص٢٦٦.

بالخروج إلي الصحراء فبرزوا ينسلون من كل حدب حتي غص بهم الفضاء، وركب بعضهم بعضا في الازدحام علي الزرافة اعجابا بخلقتها. وبعد ذلك قدم الوفد إلي حضرة السلطان، «وأدوا رسالتهم بتأكيد الود والمخالصة»، واعتذروا من تأخير الهدية بما انتاب أهل مالي من الاختلاف حول من يتولي الامر عقب موت سليمان، وكان الترجمان يترجم ما يقولون «وهم يصدقونه بالنزع في أوتار قسيهم عادة معروفة لهم، وحيوا السلطان يحثون التراب علي رؤوسهم علي سنة ملوك العجم»، ثم ركب السلطان، وانفض الجمع، وأقام الوفد في ضيافته.

ومات السلطان قبل قفلهم إلي بلادهم، فوصلهم خليفته من بعده، وانصرفوا إلي مراكش، واجتازوا الطريق منها إلي عرب ذوي حسان من المعقل من السوس، المتصلين ببلادهم، ولحقوا من هنالك بسلطانهم[1].

ويري دلافوس "Delafosse" أن منسي سليمان قد قام بأداء فريضة الحج سنة ٧٥٢هـ - مقتفيا في ذلك سنة من سبقوه - وهو يستند في قوله هذا علي رواية وردت في كتاب السلوك المقريزي، ونص الرواية يقول :...... وقدم الحج عالم كثير من أهل الصعيد والفيوم..... وقدم التكرور ومعهم رقيق كثير، وفيهم ملكهم فسأل ملكهم الاعفاء من الدخول علي السلطان فأعفي، وسار بقومه إلي الحج، مستهل ذي القعدة[2].

---

(١) ابن خلدون، العبر، جـ٧، ص٣١٠، ص٣١١.

(٢) المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق د. محمد مصطفي زيادة الطبعة الاولي، القاهرة ١٩٥٨، الجزء الثاني، القسم الثالث، احداث سنة اثنين وخمسين وسبعمائة (عصر السلطان الصالح صلاح الدين صالح بن الناصر محمد)، ص٨٥٥.

هذا بينمـا يري ترمنجـهـام "Trimingham"، أنه ليس هناك أي باعث لافـتـراض أن هذا الملك هو سليـمـان، خصـوصـا أن ابن بطوطة، الذي كـان في مالي السنة التالية، لم يشر إلي ذلك(١).

زيارة ابن بطوطة لمالي ووصفه لها:

وفي سلطنة منسـا سليـمـان زار الرحـالة المشـهـور ابن بطوطة مملكة مـالي (سنة ٧٥٣هـ - ٧٥٤هـ/١٣٥٢ - ١٣٥٣م)، ابتداء من ولات حتي عاصمة الدولة بني، وعـاد من جـديد عن طريق تنبكت وجاو (جـوجـو) والايروتوات. وترك لنا وصفا مفصلا ودقيقا لدولة مالي، بين فيه حسن ادارة الدولة، وشمول الامن والسـلام فـيـهـا «فـلا يخـاف المسـافـر فـيـهـا ولا المقـيم من سـارق ولا غـاصب»، وحدثنا عن ذوق ونظام حكام الاقـاليم، وعن خيـرات البـلاد، وعن المراسـيم المعـقـدة للاسـتـقـبـالات الملكيـة، واحـتـرام قـرارات العـدالـة والقـضـاء. وتعطينا قراءة روايتـه - كما يقـول دلافـوس - شعـورا بأن امبـراطورية الماندنج - مالي - كانت دولة حقـيـقـيـة يمكن مقارنة نظامـها وحضـارتها بنظام وحضـارة الممالك المسلمة وكثير من الممالك المسيحية في نفس العصر(٢).

ومن خلال وصف ابن بطوطة نستبين ان مالي - العـاصمـة مدينـة اسلامـيـة قلبا وقالبا. ويفهم من روايته أن جماعـات البيضان فيها من المغاربة والمصريين كانت ذات كيان خاص بها(٣).

---

(١) Trimingham, A history of islam in west Africa, PP, 71-72, note6.

(٢) Delafosse, Les Noirs de L'Afrique, P, 67.

(٣)ابن بطوطة، الرحلة، طبعة التجارية، جـ٢، ص١٩٧.

وتحدث ابن بطوطة عن السلطان سليمان ويبخسه الكثير من حقه فهو في نظره: «ملك بخيل لا يرجي منه كبير عطاء»[1].

وقد أعجب ابن بطوطة بصفة خاصة بحب السودان للعدل، وسلطانهم لا يسامح احدا في ظلم اقترفه ثم يحكي لناقصه احد التجار من مسوفة وكان قد ظلم من منشاجوا ايوالاتن لأنه أخذ منه ما قيمته ستمائة مثقال واراد أن يعطيه اقل من قيمتها، فما كان من السلطان الا أن أرسل في طلب الرجل وحضر بعد بضعة أيام، وأخذ منه الاموال ودفعها للقاضي الذي اعطاها بدوره للتاجر المظلوم، وبعد ذلك عزل السلطان المشرف عن عمله[2].

ومن العادات الكثيرة للاعجاب حقيقة ما أورده ابن بطوطة عن حماس السودان الديني، فهم مواظبون علي أداء الصلاة، وهم ملتزمون لها في الجماعات، ويضربون أولادهم عليها، واذا حضر يوم الجمعة ولم يذهب المرء مبكرا إلي المسجد لم يجد مكانا يصلي فيه لكثرة الزحام. ومنها أنهم يرتدون الثياب البيض الحسان يوم الجمعة ولو لم يكن لاحد منهم الا قميص خلق غسله ونظفه وشهد به الجمعة.

ومن افعال السودان الحسنة أيضاً ما يذكره ابن بطوطة من «عنايتهم بحفظ القرآن العظيم وهم يجعلون لاولادهم القيود اذا ظهر في حقهم التقصير في حفظه فلا تفك عنهم حتي يحفظوه»[3].

ومن عاداتهم أيضاً أن يستجيروا بالمسجد، وأن لم يتمكن فبدار الخطيب[4].

---

(1)ابن بطوطة، نفس المصدر، ص١٩٧.
(2)ابن بطوطة، الرحلة،جـ٢، ص٢٠٢.
(3)ابن بطوطة، الرحلة،جـ٢، ص٢٠٤.
(4)ابن بطوطة، الرحلة،جـ٢، ص٢٠٣.

ومع كل ما ذكرنا انفا من شدة حرص السودان علي اتباع تعاليم الاسلام وأداء فروضة، الا أنهم رغم ذلك ظلوا محافظين علي بعض العادات والتقاليد القديمة المذمومة. من ذلك ما يذكره ابن بطوطة من أن الخدم والجواري والبنات الصغار يظهرون للناس عرايا باديات العورات.

ومنها ايضا دخول النساء علي السلطان عرايا غير مستترات وتعري بناته.

ومن هذه العادات المستقبحة أيضاً أن كثيرا منهم (اي من السودان) يأكلون الجيف والكلاب والحمير[١].

ويذكر ابن بطوطة بالاضافة إلي ذلك - عند كلامه عن المراسيم المتبعة في الاحتفال بالعيد..... أن كبير الشعراء كان يصعد علي درج البنبي ويضع رأسه في حجر السلطان، ثم يصعد إلي أعلي البنبي فيضع رأسه علي كتف السلطان الايمن ثم علي كتفه الايسر وهو يتكلم بلسانهم ثم ينزل، ويقول ابن بطوطة انه أخبر «إن هذا الفعل لم يزل قديما عندهم قبل الاسلام فاستمروا عليه»[٢].

ويخبرنا ابن خلدون. الذي قدم بسكرة سنه (٧٥٤هـ/١٣٥٣م)، في مهمة سلطانية للسلطان ابي عنان، والتقي هناك برسول صاحب تكدا - وهو من العارفين ببواطن الامور -، وأخبره الرسول عن استبحار تكدا في العمارة ومرور القوافل، وقال له لقد اجتاز بتكدا هذا العام سفر من تجار المشرق إلي بلاد مالي كانت ركابهم اثني عشر الف راحلة، ويقول ابن خلدون وذكر لي

---

(١)ابن بطوطة، الرحلة،جـ٢، ص٢٠٤، ص٢٠٦.
(٢)ابن بطوطة، الرحلة،جـ٢، ص٢٠١.

غيره ان ذلك هو الشأن في كل سنة. ثم يتتبع ابن خلدون تلك الرواية بقوله «وهذا البلد في طاعة سلطان مالي كما في سائر البلاد الصحراوية المعروفة بالملثمين لهذا العهد[1].

هذا، ورغم أن سلطان منسا سليمان كان يمتد علي كل تلك الاقاليم الا أن كوكو (جاو - جوجو)، كانت قد حازت استقلالها في الفترة ما بين وفاة موسي ومجئ سليمان إلي الحكم[2]. ومات منسي سليمان في سنة ١٣٥٩م، بعد أن حكم مالي مدة أربع عشر عاما[3].

بداية الأفول:

ماري جاطة الثاني:

يفهم من رواية ابن خلدون في «العبر»، أن أهل مالي - عقب موت سليمان - اختلفوا وتواثبوا علي الامر، وانتهي الموقف، بتولية ماري جاطة، حفيد منسي موسي، عرش مالي، وتقول رواية ابن خلدون، انه اساء السيرة، وانتهي به الحال في السرف ،والتبذير إلي بيع حجر ذهب من أنفس ذخائرهم إلي تجار مصر المترددين إلي مالي (ملي) بأبخس الأثمان، وأصيب في أواخر ايامه بعلة النوم «وهو مرض كثيرا ما يطرق أهل ذلك الاقليم، كما يقول، ابن خلدون - وخصوصا الرؤساء منهم» - ولا بأس من الاشارة هنا إلي أنه حاليا مثلا دولة افريقيا الوسطي (رئيسها بوكاسا) هي الوحيدة التي يوجد بها

---

(١) ابن خلدون، العبر، جـ٧، ص٥٢.

(٢) السعدي، تاريخ السودان، ص٦، الترجمة الفرنسية، ص١١-١٢

Delafosse, Les Noirs de L'Afrique, P. 61.

(٣) ابن خلدون، العبر، جـ٦، ص ٢٠١

Delafosse, Les Noirs de L'Afrique, P. 61.

قطعان ماشية لعدم وجود ذبابة التسي تسي - وظل مريضا به حوالي سنتين، حتي واتته المنية في سنة ٧٧٥هـ/١٣٧٤م)[١].

موسي الثاني (١٣٧٣/٤-١٣٨٧):

وخلف ماري جاطة الثاني في السلطنة، ابنه موسي (الثاني)، الذي أحسن ادارة البلاد، وتجاوز في حربه «تخوم كوكو» حسب قول ابن خلدون، بل أنه غامر حتي هاجم عمر بن ادريس سلطان برنو[٢]، وهذا يدل علي أن مملكة مالي، كان لا يزال لديها حتي ذلك الوقت قوة ما[٣].

منسا مغا الثاني:

ومات منسي موسي (الثاني)، سنه (٣٨٧/٧٨٩هـ)، وولي أمر مالي بعده، أخوه منسا مغا (الثاني)، وقتل بعد نحو عام (٧٩٠هـ/١٣٨٨م).

صندكي:

وحكم بعد منسا مغا (الثاني) صندكي زوج أم موسي (وتعني كلمة صندكي الوزير كما يقول ابن خلدون)، وغلب عليه رجل من بلاد الكفرة بدعى محمود، وهو ينتسب إلي منساقو بن منسا ولي بن ماري جاطة وقد حدث ذلك في سنة (٧١٣هـ/ ١٣٩٠م)[٤].

وهنا تأتي رواية ابن خلدون إلي نهايتها.

وكان النزاع بين المتنافسين علي العرش نذيرا بأفول دولة مالي كقوة

---

(١) ابن خلدون، العبر، جـ٦، ص ٢٠٢، القلقشندي، صبح الاعشي، جـ٥، ص٢٩٧.

(٢) ابن خلدون، العبر، جـ٦، ص٢٠٢، يقول: «ودوخ اقطار الشرق من بلادهم»، ودلافوس نفس المرجع السابق، ص٧٠.

(٣) دلافوس، نفس المرجع السابق، ص٧٠.

(٤) ابن خلدون، العبر، جـ٦، ص٢٠٢، القلقشندي، صبح الاعشي، جـ٥، ص٢٩٨.

عظمي، ولقد انتهزت بعض أعمال مالي فرصة اضطراب الأمور في حاضرة الدولة، وبدأت تحرر نفسها من نيرعمالها التابعين والمعينين من قبل مالي. وكتب صاحب الفتاش ما يلي عن جار "Dyara" ثم غلب علي تلك البلدان اهل كياك Kaniàga وخرجوا في طاعة ملكي وقتلوا اميره وخالفوا عليه، وتسلطن فيها أولاد جاور Dyawara، وتلقبوا كياك "Kanyaga"[١].

وتعرضت أعمال مالي أيضا للهجوم من قبل: الموشي، الطوارق، السنغي، حوالي سنة ١٤٠٠م، Ronga ملك موش ياتنجا ، غزا ماسنة الشرقية، حتي بحيرة دب[٢].

وفي حوالي نفس الحقبة بدأ شي مادغ سلطان سنغي غزوه وتحكمه في القبائل التابعة لمالي بما فيهم ثلاث قبائل من بنبر[٣]. وفي سنة ٨٣٧هـ/١٤٣٤م، استولي اكل اكملول زعيم طوارق مغشرن علي تنبكت وأروان وولات دون أن يلقي مقاومة[٤]

ومع ذلك فقد أكد الجلف (الولف) "Wolof" للبرتغالي "plaogo Gomez" في سنة ١٤٥٧-١٤٦٠م) أن كل البلاد التي يعرفونها ملك لمنسي الماندنج[٥].

وعقب ذلك بقليل استولي سلطان جاو سني علي الكبير علي تنبكت من الطوارق سنة (٨٧٣هـ/١٤٦٨م-١٤٦٩م)، ودخل جني غازيا في

---

(١) محمود كعت، تاريخ الفتاش، ص٣٩، الترجمة الفرنسية، ص٧٠.

(٢) Trimingham, A history of islam in west Africa, P 73.

(٣) محمود كعت، الفتاش، ص٥٥، الترجمة الفرنسية، ص١٠٧.

(٤) السعدي، تاريخ السودان، ص٩، ص٢٢، الترجمة الفرنسية، ص١٧، ص ٣٧.

(٥) دلافوس، السود في افريقية، بالفرنسية، ص٧٠-٧١.

١٤٧٣م[١]. وسحب من سلطنة المنسا جزءاً هاما من ماسنه، التي كان الفلان الآتيين من ترمس "Termes"، والذين يطيعون رئيسا من عائلة ديالو (Di-allo، قد استقروا فيها في بداية القرن الخامس عشر بتصريح من حاكم الماندنج في باغن "Bagana". وقد حدث بعد ذلك بقليل بواسطة الضباط البرتغاليين في (ساحل الذهب) De rio de Cantor (Gambia) et d'Elmina تبادل الهدايا والرسائل والسفارات بين سلطان الماندنج (مالي) الذي كان اسمه حينذاك محمود أو (Mamadou) وفقا لجادو دهباروس "Jado de Barros" وملك البرتغال يوحنا الثاني الذي اعتلي العرس ١٤٨١م، واستمر في الحكم حتي سنة ١٤٩٥[٢]. مما يدل علي أن مالي احتفظت بقوة واحترام كافيين بحيث يتعامل ملكها مع ملك البرتغال التي كانت في ذلك الوقت في أوج مجدها علي نفس المستوي[٣].

---

(١) السعدي، تاريخ السودان، ص٢٢، الترجمة الفرنسية، ص٣٧-٣٨، دلافوس، نفس المرجع السابق، ص٧١.

(٢) دلافوس، نفس المرجع السابق، ص٧١.

(٣) دلافوس، نفس المرجع ، ص ٦٢.

الفصل الثالث

قيام سنغي في كوكوا

الفصل الثالث

قيام سنغي في كوكوا

اسم سغي أو سنغي يطلق ربم في الاصل علي المنطقة من وادي النيجر الواقعة بين ذراع البوريم (Bowrem)، وساي (Say)، وعلي الشعب الذي يسكن هذه المنطقة وعلي الدولة التي تكونها.

وفيما بعد فإن هذا الشعب الذي أمتد ناحية أعالي النهر حتي بحيرة دب Débe وجهة انحدار النهر حتي الطرف الشمالي لمستعمرة داهومي الحالية، ونفس الاسم اطلق لتحديد المملكة التي نمت، وعلي مجموع سكانها وكذلك علي اللغة التي يتكلمها أغلبهم وهي لغة، جني، تنبكت، جاو (كاو)، دندي وبلاد زرما "Djerma" Zerma"[1]. وأصل الاسم كما يبدو - في كتاب تاريخ الفتاش لمحمود كعت (يكتب في سنة ٩٢٥هـ) اسم لشخص أو لقبيل ثم اطلق علي المكان[2] كما يطلق علي بلاد المغرب اسم بلاد البربر[3].

وهذه الدولة هي التي قدر لها السيادة علي السودان الغربي - خصوصا بعد أن بدأت مالي في الافول بعد وفاة منسي موسي ومنسي سليمان.

أصل السنغي:

اختلفت الآراء في أصل ملوك سنغي (سغي)، وهناك رواية تقول أن حكام السنغي هاجروا غربا خارج مصر في السنوات، الأولي للاسلام ويعتقد البعض أن أصلهم ربما يرجع الي بربر زغاوة الذين أسسوا عصر السفاوة -Se

---

(١) ency de l'islam, Vol Iv,P,510.

(٢) محمود كعت، تاريخ الفتاس، ص١٧ .

(٣) القلقشندي، صبح الاعشي، جـ٥، ص ٢٨٥ .

"fawa" في كانم. وحقيقة أنه توجد في منطقة دند "Dandi" أماكن كثيرة ذات أسماء برنو بربرية "Bornu - Berber" ظاهرة تؤيد هذه النظرية فقد كانت لهم جالية في كوكيا علي النيجر[١].

وتذكر رواية محمود كعت في تاريخ الفتاش ان اصل ملوك سنغي من العرب اليمنية[٢].

وتذكر رواية السعدي أن أصل ملوك سنغي من اليمن، وأن ملكهم الأول يسمي زا الايمن، ويفسر الكلمة تعني جاء من اليمن، ويفهم من رواية السعدي أنه خرج هو واخوه من اليمن حتي انتهي بهم الترحال الي بلد كوكيا، في جزيرة بنتيا أو أمام هذه الجزيرة، علي بعد ١٥٠ كيلو متر من جاو (كاو)[٣].

والاسطورة تضيف أنه كانت تعيش في هذا الوقت قبيلتان متنافسان علي الجزر التي توجد بالنهر جنوب "Ansongo" وعما : السرك الذين كانوا صيادين، والكابب، وكانوا مزارعين، وفي بعض فصول السنة فان الكابب قد اعتادوا رؤية سمكة ضخمة تبرز من مياه النهر ولها حلقة في أنفها وكانت تعطي أوامرها الي المزارعين الذين كانوا لا يستطيعون عدم طاعتها لخوفهم الكبير منها. وحدث في ذلك الوقت، أن بعض البربر الذين جاءوا من طرابلس جاهدوا ليستقروا لفترة مع الجابب (الكابب)، وكان زعيمهم يسمي «زا اليمن»، وفي يوم ما عندما برزت السمكة من الماء فان زا اليمن قتلها برمحه

---

(١) S.J.Hogben, An introduction to the history of the islamic states of northern nigeria, Oxford, 1967, P.34.

(٢) محمود كعت، تاريخ الفتاش، ص٢٩، تقول الرواية ان «أصل ملوك سنغي هو أمرأتان من أسباط جابر بن عبد الله الانصاري......»

(٣) Delafosse, Les Noirs de L'Afrique, P, 53 .

وبذلك حرر الشعب من العبوديه. ومن فرط اعترافهم بالجميل فان الكابب اختاروا زا اليمن ملكا عليهم.

والسرك «سمكة» الأسطورة كانوا يأتون في قواربهم وقت الحصاد ويسرقون قمح المزارعين حتي جاء البربر وطردوهم بعيدا[١].

تأسيس دولة سنغي تبعا لرأي دلافوس:

ويري دلافوس "Delafosse" أن تأسيس دولة سنغي يرجع إلي القرن السابع الميلادي، هذه الدولة التي قدر لها فيما بعد أن تمارس السلطة علي الجزء الأكبر من السودان. ويعتقد أن بربر لمطة الذين كانوا ربما يدينون بالمسيحية قد أخذوا اعترافا برياستهم من شعب صغير من الصيادين يعيشون في كوكيا أو جونجيا ويرجع هذا الحدث الي عام ٦٩٠م[٢].

بناء كوكو:

وكان السرك فرن "Sorko Faran" (وهم فرع من السنغي)، أول من توغل نحو الشمال، وكانت رحلات الصيد الجماعي المنظم والتجارة النهرية تعني سيطرتهم علي ضفاف النهر وأصبحت القري التجارية مراكز سياسية وقد صعدوا إلي أعلي النهر حتي مبتي "Mopti" ومنطقة جني حيث اختلطوا بالماند (الجنجارة)[٣]. وأسسوا مدينة جديدة جوجو «كوكو»، علي بعد حوالي ١٥٠ك.م علي الضفة اليسري لنهر النيجر. ومدينة جاو «كاو» الحالية (في جمهورية مالي) تشغل مكان كوكو[٤].

---

(١) Hogben, Op.Cit, PP, 34, 35.

(٢) دلافوس، نفس المرجع السابق، ص ٥٣، .ency de L'islam Vol IV, P, 511

(٣) Trimingham, Ahistory of Islam in West Africa, P,85.ency de L'islam, N. édition Vol, II, P, 999.

(٤) هوداس، ترجمة تاريخ السودان للسعدي، بالفرنسية، ص ١٤، هامش ٢ .

معني كلمة كوكو:

وأصل كلمة كوكو مبهمة، ويفهم من روايات الكتاب العرب، أن كوكو نسبة إلي «أمه» أو جماعة من السودان يقال لها كوكو[1].

بينما يعطي البكري تفسيرا آخر للاسم حيث يقول انهم يزعمون «إنما سموا كوكوا لأن الذي يفهم من نغمه طبلهم ذلك[2]. هذا بينما يقول هوداس أن اسمي كوكو، كوكو قد يكونا تعديلا الكلمة "Kokoy - Korya" «مدينة الملك» «العاصمة»[3].

كوكو في مؤلفات الكتاب العرب:

وأقدم الكتب الجغرافية العربية التي ورد بها ذكر كوكو كتاب «صورة الأرض»، لأبي جعفر محمد بن موسي الخوارزمي (توفي بعد سنة ٢٣٢هـ)[4] مما يدل علي أن الدولة كانت معروفة عند العرب.

ويعتبر أيضاً كتاب تاريخ اليعقوبي (يكتب في سنه ٢٧٨هـ/ ٨٩١م) من أقدم الكتب المشرقية التي ورد بها ذكر مملكة كوكو (جوجو) وهي تعتبر من وجهة نظره «أعظم ممالك السودان وأجلها قدرا، واعظمها امرا، وكل الممالك تعطي لملكها الطاعه.......»[5].

---

(١) ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ص ٦٨، أبو حامد، تحفه الألباب، ص ٤٢ «يسميهم قوقو» ياقوت معجم البلدان، جـ٤، ص٢٣٩، يقول كوكو اسم امة وبلاد من السودان»، ابن خلدون، العبر، جـ٦، ص٢٠٠، يقول ثم بعدها (أي بعد مالي) أمه أخري تعرف كوكو.

(٢) البكري، المغرب، ص١٨٣ .

(٣) السعدي، تاريخ السودان، الترجمة الفرنسية لهوداس، ص٦، هامش٣ .

(٤) الخوارزمي، صورة الارض، ص

(٥) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ص ١٩٣-١٩٤ .

وعرفها كذلك، البكري، والادريسي، وأبي حامد الاندلسي، ياقوت وأبي الفدا، وابن خلدون، والقلقشندي.

استيلاء سلاطين زا علي كوكو:

أهمية المدينة من الناحية التجارية:

وقد استولي سلاطين زا في كوكيا علي جوجو (كوكو - كوكو - كوكوا)، نحو سنة ٨٩٠م حسب رأي بارث Barth[١]، أو حوالي سنة ١٠٠٠ كما يقول دلافوس[٢]، حيث أنها كمركز تجاري قد اصبحت أكثر أهمية من جونجيا (كوكيا - كوكي)، وكانت تختلف اليها القوافل بكثره من طرابلس وافريقيه ومصر[٣]. وأيضا كانت نقطه تجمع (محط) للقوافل الي تادمكت (تادمكة) أو تكدة وبعد ذلك شمال افريقية أو مصر[٤].

ومن الواضح أن علاقات كوكوا التجارية قد جعلتها علي إتصال بالمسلمين وتذكر رواية ابن خلدون أن أبي يزيد مخلد بن كيداد اليفرني الزناتي - صاحب الحمار، والثائر الاباضي المشهور الذي خرج علي الفاطميين بالمغرب - ولد بكوكوا (حوالي سنة ٢٦٠هـ/ ٨٧٤م)، عندما كان ابوه كيداد التاجر الزناتي موجودا هناك[٥].

---

(1)ency de l'islam vol IV, P, 511.

(2)Delafosse, Les Noirs de L'Afrique, P, 63 .

(٣) دائرة المعارف الاسلامية بالفرنسية ، المجلد الثاني ، ص ١٨٢ Fage, An Introduction to the history of West Africa, P, 27.

(٤) Trimingham, A history of islam in West Africa, P, 85.

(٥) ابن خلدون ، العبر ، جـ٧، ص ١٣ ، ابن عذاري، البيان المغرب، نشر كولان وبروفنسال ، جـ١، ص ٢١٦-٢٢٠ .

انتشار الاسلام في سنغي:

وتقـــول روايـة ياقـــوت نقـــلا عن المهلبي (يكتب في سنه ٣٧٥هـ/ ٩٨٥م)[١]، أن كـوكـو تقع في الاقليم الأول، وعرضـها عـشـر درج، «وملكهم يظاهر رعينه بالاسلام وأكثرهم يظاهر به»، وله مدينة علي النيل، في شرقية تدعي سرناة، يوجد بها الاسواق والقوافل تختلف اليها من كل بلد. وله مدينه أخري أيضا غربي النيل - سكنها هو ورجاله وأهل ثقته. وبها مسجد يقوم فيه بأداء الصلاة ومصلي الجماعة بين المدرستين، ..... وجميعهم مسلمون[٢]. ويفهم من رواية المهلبي أن ملوك كوكوا قد اعتنقوا الاسلام منذ وقت مبكر.

هذا عن الرواية المشرقيـة. أما الرواية السودانيـه التي يوردها السعدي فـتـقـول، أن زاكي وهو الملك الخامس عشـر من اسـرة زا- كـان أول من دان بالاسلام منهم. ويضيف الي ذلك قوله، ويقال له في كلامهم مسلم دم، وتعني الكلمـة، «أسلم طوعـا بـلا اكـراه». وحـدث ذلك في سنه (٤٠٠هـ/ ١٠٠٩-١٠١٠م)[٣].

والجدير بالملاحظة هو أن محمود كعت لم يورد في كتابه تاريخ الفتاش، - في صورته الحالية - أي ذكر لعصر زا، وكـان يطلق علي زاكي اسم (كشن

---

(١) الحسن بن أحمد(أو محمد) المهلبي، صنف كتاب المسالك والممالك للخليفة الفاطمي العزيز بالله(٣٦٥ - ٣٨٦هـ / ٩٧٥-٩٩٦م) ولذا فكثير ما ورد اسم الكتاب بعنوانه المقتضب، (العزيزي) ، وهو أول كتاب وصف بلاد السودان وصفا دقيقاً وكتبه سنة (٣٧٥هـ / ٩٨٥م) ، متز الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة أبوريده ، جـ٢ ص ١٠ هامش١ كراتشكوفسكي، تاريخ الادب الجغرافي العربي ، ص٢٣٠ .

(٢) ياقوت، معجم البلدان، جـ٤ ، ص٣٢٩ .

(٣) السعدي، تاريخ السودان ، ص ٣ ، الترجمة الفرنسية لهوداس ص ٥ .

مسلم)، «وقد تم في عهده، ادخال الختان الي كاو (Gào) وفقا لاوامره. وقد كلف بهذه المهمة رجلا يسمي صلاح الدين جاء الي بلده من الشرق. وقيل أن هذا الرجل، هو الذي ادخل شعب كاو في الاسلام، ولكن هذا ليس صحيحا بالدقة نظرا لان الاسلام وجد بينهم قبل ذلك وانا ابني حكمي علي اساس ما قرأته في هذا الموضوع لاستاذنا (شيخنا)، الفقيه والقاضي محمود بن الحاج المتوكل كعت، (رحمه الله) حيث توجد هذه الكلمات «الحمد لله» فقد تم ادخال اهل جاو في الاسلام بين سنه (٤٧١ - ٤٧٥هـ/ ١٠٧٩-١٠٨٢م)(١).

وقائمة ملوك عصر زا في هذه الشذرة "Fiagment" لا تختلف بطريقة ذات معني عن قائمة السعدي(٢). أما الرواية المغربية التي يمثلها البكري فتشير إلي أن مدينة كوكوا (كوكو)، تقع علي مسافة تسع مراحل من تادمكة ويقول أن العرب تسمي أهلها (أي أهل كوكوا) البزركانيين(٣) وهي تتكون من مدينتين (حيين)، أحداهما للملك، والثانية للمسلمين، وملكهم يسمي قندا...(٤).» واذا ولي منهم ملك دفع اليه خاتم وسيف ومصحف يزعمون أن أمير المؤمنين بعث بذلك اليهم، وملكهم مسلم ولا يملكون غير المسلمين(٥).

---

(١) Tarikh El-Fettach, ou Chronique de Chercheur, Traduction française Par Houdas, M. Delafosse, Paris 1964, Deuxiéme Appendice, P, 332-333 .

وقد قام بكتابة هذا الجزء فيما يبدو-سبط الشيخ محمود كعت.

(٢) Trimingham, Ahistory of islam in West Africa, P, 87 .

(٣) البكري ، المغرب ، ص ١٨٣، الترجمة الفرنسية لدسلان، ص ٣٤٢ «كلمة burzuguian في لغة الفرس تعني الكبار (Les grands) والكلمة الفارسية Baz argan بازرجان، «وتعني تاجر، ودسلان ، ترجمة كتاب البكري هامش١ ص ٣٤٢ ترمنجام ، المرجع السابق ، ص ٧٨ هامش ٣ .

(٤) قندا بدون شك لقب، ترمنجام ، المرجع السابق ، ص ٨٧ هامش ٤

(٥) البكري ، المغرب ص ١٨٣ ، الترجمة الفرنسية ، ص ٣٤٢ يقول : «وإذا سار الساير من بلاد كوكو علي شاطئ البحر(النيجر) غربا إنتهي إلي مملكة يقال لها الدمدم.......

ولدينا الآن الدليل المباشر علي أن حكام هذه المنطقة من النيجر كانوا مسلمين منذ اكتشاف اللوحات الاثرية الملكية في سنة ١٩٣٩م في (Sané) علي بعد ١٠ كيلو متر شمال جاو (كاو). وهي ثمانيه من شواهد القبور، سبعه ذات تواريخ محددة تظهر اسماء خمسة عشر شخصية ملكية (ملوك - ملكات - ابناء ملوك وملكات)، وهي بدون استثناء مجهولة غير معروفة في الحوليات العربية. ومنها نستمد حتي الآن كما يقول سوفاجيه "Sauvaget" خلاصة معلوماتنا عن مملكه سنغي جاو وهذه الظاهرة الغريبة يشرحها جزئيا الالواح ذاتها. أحد السلاطين يدعي في شاهد القبر ابو بكر بن ابي قحافه. ولما كان ابو قحافة هو اسم أبو الخليفة أبو بكر، أول خلفاء الرسول* علي الجماعة الاسلامية. وإن هذا الاسم لم يحمل منذ ذلك التاريخ فان وجوده هنا لا يمكن أن يفسر الا لتقوي أحد الداخلين، في الاسلام من تاريخ قريب الذي لم يكتف بتغييرا اسمه الوثني باسم أحد صحابة الرسول* ذوي الاعتبار الكبير بل أنه غير في نفس الوقت اسم ابيه باسم أبي الشخصية التي اختار اسمها. وقد اعتنقوا تحكميا في نفس الوقت الذي اعتنقوا فيه الاسم الشهير الذي اخذوه ما يلصق به من كني (أبو الحسن، بالنسبة لعلي الي آخره). وكما فعل كثير من الداخلين الجدد في الاسلام الذين اختاروا اسم الرسول فان اسم الاب والابن قد اختيرا كمجموعة بواسطة السلطان في لحظة دخوله الدين نظرا لان ورود عبارة قرآنية لا تترك لدينا ادني شك علي جدة دخول المتوفي في الاسلام. فان اسم ابو قحافة يبدو لنا في النهاية مجردا من كل حقيقة تاريخية فهو لا يخفي تحت تذكير للايام الاولي للاسلام الا الاسم الوثني الذي أخذ من اللغات المحلية والذي كان يحمله فعلا أبو المتوفي. وهذا ينطبق ايضا وبدون

شك علي السلطان الذي سمي نفسه محمد بن عبد الله تماما كما كان أوائل السلاجقة تقريبا في نفس التاريخ كانوا معروفين بدون اعتبار تحت الاسم التركي ذو الطابع التقليدي الذي تلقوه عند ولادتهم والاسم الإسلامي الذي اخذوه لحظة دخولهم الاسلام.

وسلاطين جاو (كاو) كانوا يحملون اذن اسمين في نفس الوقت اسم تقليدي محلي واسم آخر اسلامي بحت من اصل عربي: والاسماء الاسلامية الموجودة علي الشواهد تجيب بناء علي ذلك علي بعض الاسماء الماندنج التي ذكرتها الحوليات بدون أن يكون معنا مفتاح التقابل بين الاثنين[1]. ولا يمكن اعتبار هؤلاء الحكام مساوين بطريقة مرضية، وتحت أسمائهم العربية للملوك الواردين بالقائمة التقليدية. وبعض هذه اللوحات منقوش نقشا بارزا علي رخام بالحروف الكوفية، وهي من عمل أحد الاندلسيين وهو نحات يسمي بعيش بينما اللوحات الاخري من صنع محلي فج.

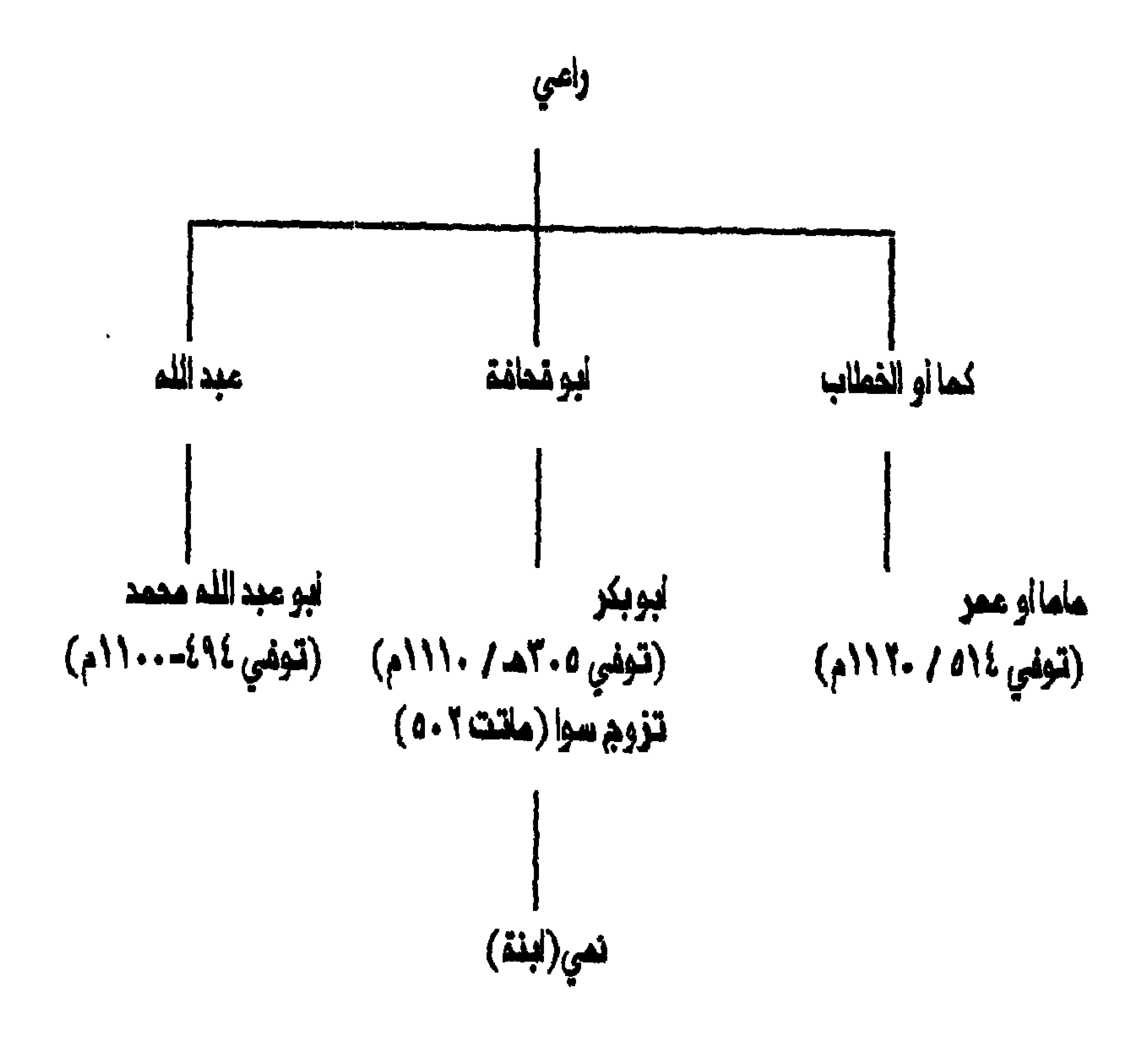
هذه النقوش الموجودة علي القبور تظهر أن الحكام كانوا مسلمين ومتصلين بأسبانيا المرابطية، ولكن هذه الاسماء لا يمكن مطابقتها علي نفس الاسماء الوطنية الواردة في القوائم.لان كثير من النقوش علي القبور تسجل فقط الاسم المسلم وليس الاسم الوطني، ولكن اذا ما وجدت الأسماء الوطنية فإنه لا يبدو أنها بربرية بما معناه ماما بن كما بن أعي؟ المسمي بعمر بن الخطاب.

وقد قام م. سوفاجيه باظهار الصله بين أسماء بعض الناس المذكورين.

ويوجد نقش علي قبر لعائشة بنت الملك كوري التي ماتت في سنه

---

(١) J.Sauv-aget, Notes Préliminaires sur les épitaphes royales de Gao, Revue des études islamiques, année 1948, PP, 6,7.



٥١١هـ/١١١٧م والزا رقم ١٣ في القوائم التقليدية كان جاتاكوري (في الفتاش) أوكوكري (في تاريخ السودان)، ص ١٣.

ومثل هذا الاثبات للشخصية يساند التخمين ان زاكسي كان ابو عبد الله وان بدعه (ابتكار) الاسماء الاسلامية (التي تنتمي الي الخلفاء الأول) بالنسبة لوالده واعمامه كانت ترجع إلي اسلامهم الواعي بعد غزو المرابطين(١).

---

(١) Sauvaget, Les épitaphes royales de Gao,(Al-Andelus), Madrid, 1949, Vol XIV, F.L.PP.123-141.
الصلة بين بعض الشخصيات ، ص ١٣٧ .

وظل عصر زا في الحكم من عام ٦٩٠م حتي عام ١٣٣٥م كما يقول دلافوس[١].

سنغي ما بين الاستقلال والتبعية لمالي:

وكانت هذه المملكه في ذلك العصر (عصر زا اوجع، أو جو) أو (جاء) كما يسميه صاحب الفتاش (deuxiéme Appendice, P, 329) تشمل ضفاف النيجر وجزره، ابتداء من بمبا في الشمال، حتي الحدود الشماليه لنوبيه -Nou) (pé جهة الجنوب، والي جزء من الأرض يقع في شرق النهر[٢].

ورويدا رويدا فان تأثير السنغي أصبح محسوسا في منطقة تنبكت التي يرجع تأسيسها كمدينة إلي بداية القرن الثاني عشر، وحتي منطقة البحيرات وفيضان النيجر بل وحتي ولات[٣]. ومع ذلك كما يقول دلافوس - فإن منافسا قويا قام في الغرب علي الجانب الغربي من النيجر، مملكة الماندنج أو مالي.

نهاية حكم الزا علي أيدي منسي موسي:

وتقول رواية ابن خلدون ان المغتصب ساكورة (سيكرة) كان قد فتح بلاد كوكو وجعلها ولاية تابعة لمالي.

ويذكر ابن خلدون رواية أخري ينقلها عن «الحاج يونس وبمال التكروري» وهو مصدر ثقة وكان يعمل ترجمان لدولة مالي بمصر، مضمونها ان الذي استولي علي كوكو (جوجو) هو سقمنجه أحد قواد منسا موسي بن أبي

---

(١) Delafosse, Les Noirs de l'Afrique, P, 63.

(٢) دلافوس،نفس المرجع السابق، ص ٥٣ .

(٣) دلافوس، نفس المرجع السابق، ص ٥٣ .

بكر[1] في ١٣٢٥م «كما يري دلافوس[2]. وقد حدث ذلك بعد جوازه الي الحج كما تقول رواية السعدي[3].

«سن» علي كلن وتحرير سنغي:

وبعد ذلك بعشر سنوات فان عصر زا (جاء) قد حل محله عصر سن (سني - شيء)[4]. وأول سن، (وتعني الكلمة المحرر)، كما تقول رواية السعدي كان يسمي علي كلن، «وهو الذي قطع حبل الملك علي رقاب أهل سغي من أهل ملي»[5].

ويقص علينا السعدي قصة سن الأول علي كلن فيقول انه تربي هو وأخوه سليمان نار في كنف سلطان ملي منسي موسي، ولما بلغا سن الاستخدام «أخذهما سلطان ملي لأنهم في طاعته حينئذ للخدمة علي عادتهم لأولاد الملوك الذين في طاعتهم»[6]. وذلك حتي يأمن جانب أبيهما فلا يفكر في التمرد والخروج علي السلطان في يوم ما. وكان علي كلن يختلف في بعض الأحيان الي سنغي ثم يعود، وكان يراوده الحنين دائماً الي استرداد ملك ابيه.

---

(١) ابن خلدون، العبر، جـ٦، ص ٢٠١.

(٢) دلافوس، نفس المرجع، ص ٥٩.

(٣) السعدي، تاريخ السودان، ص ٧، الترجمة الفرنسية لهوداس، ص ١٤، وأنظر فيما سبق الفصل الخاص بدولة مالي.

(٤) السعدي، تاريخ السودان، ص٣. ٥. ٦، دلافوس، نفس المرجع، ص ٥٣، ص ٥٤، ويقول محمود كعت في تاريخ الفتاش، ص ٤٣ ومعني شيء علي ما وقفت عليه من خط بعض أئمتنا محمود قال معني شيء كي يتنبد أي خليفة السلطان أو بدله أو عوضه».

(٥) السعدى، تاريخ السودان، ص ٣، ص٥، ص٦.

(٦) السعدي، نفس المصدر، ص ٥، ص٦، الترجمة الفرنسية لهوداس، ص٩، Mahmoud Kati, Tarikh El Fattach ou Chronique du Chercheur, traduction francaise, Deuxiéme Appendice, P, 334.

وانتهز فرصة الشقاق الذي نشب في مالي عقب وفاة السلطان كنكن موسي، وهرب الي بلده، وبايعه قومه، وأعلن استقلال كاغ عن ملي[1].

ويفهم من رواية محمود كعت أن أصل شي من الوعكري[2] اي انهم سودان، بينما يقول ليون الافريقي عن سني علي ملك تمبوتو (تنبكت) وجوجو (جاجو) أنه من اصل ليبي[3].

ويري دلافوس ان عصر شي كان ينتمي الي نفس العائله السابقة[4]. ويقترح دلافوس Delafosse سنة ١٣٣٥م، تاريخا لعلي كلن. وهو يستند في ذلك الي رواية ابن خلدون التي تقول ان كوكو (كاغ) أصبحت عملا من أعمال مالي في عصر منسي موسي، وأنه زارها بعد عودته من الحج سنة ١٣٢٤/١٣٢٥م[5].

ويذكر العمري (توفي سنة ٧٤٩هـ/١٣٤٩م) كوكو (جوجو) بين الأقاليم التي تشتمل عليها مالي ويقول أن سكانها هم قبيلة يرتن Yarten (يرنان)[6].

---

(١) السعدي، نفس المرجع السابق ،ص ٦ .

(٢) محمود كعت، تاريخ الفتاش، ص ٤٨ يقول: «فاعلم أن شئ واسكي محمد ومورهو كار كلهم من أصل واحد أصلهم وعكري....

(٣) Leon L'Africain , description de l'Afrique , Nouvelle édition , tome II, P, 463 .

(٤) دلافوس، نفس المرجع السابق ، ص ٥٤ .

(٥) دلافوس نفس المرجع، ص ٥٣، ابن خلدون ، العبر ، جـ٦، ص ٢٠١ ، السعدي تاريخ السودان، ص ٨ .

(٦) العمري، مسالك الابصار ، الترجمة الفرنسية، ص ٥٧، وفي مخطوطة دار الكتب رقم٨، ص١٠٦ .يقول النص، «وسكان كوكو قبائل يرنان» القلقشندي صبح الاعشي، جـ٥، ص ٢٨٥، يقول : «وسكانها قبائل يرنان من السودان».

واقام ابن بطوطه في اثناء رحلته الي مالي بكوكو حوالي شهر في سنة (٧٥٤هـ - ١٣٥٣م) ووصفه يدل علي أن كوكو كانت في نطاق دولة مالي. وقد سافر من تنبكتو الي كوكو في قارب علي النيل (النيجر) ونزل ببلد أمير يسمي فربا (Farba) سليمان، ومنها سار ووجهته كوكو التي وصفها بقوله أنها «من أحسن مدن السودان، وأكبرها وأخصبها...... »[١].

وقد كانت كوكيا (كوكي) فيما يبدو هي قاعدة الشيين، وهناك نص يورده صاحب الفتاش ينص علي ذلك، يقول عن شي عال (سن علي)، «وكان ما تقدمه من شيين يسكنون في كوكيا »[٢].

وبدون شك فان أول أمير سني (محرر) في سنغي وهو علي كلن، قد هز جزئيا وصاية مالي في ١٣٣٥م[٣].

وبالرغم من ذلك فإن جيش السلطان الونكري موسي الثاني - الذي خلف في سنة ١٣٧٤ ماري جاطة الثانى الذي هلك - مات - بعلة النوم - «قد تجاوز تخوم كوكو» كما تقول رواية ابن خلدون[٤].

وكان ملك مالي (ملي) قد بدأ يضعف وهان أمرها بعض الشئ، وفي نفس الوقت استفحل أمر سنغي، وغزا شي سليمان (سلمان) دام (داند)، توفي سنه ١٤٦٥م، «أهل أرض ميم» وغلبهم وكان ملكها قد استقل عن مل[٥].

---

(١) ابن بطوطة ، الرحلة، جـ٢، ص ٢٠٧، الترجمة الانجليزية لجب، ص ٣٣٤ .
(٢) محمود كعت ، تاريخ الفتاش، ص ٤٥، الترجمة الفرنسية، ص ٨٥ .
(٣) دلافوس، المرجع السابق، ص ٥٤ .
(٤) ابن خلدون، العبر ، جـ٦، ص٢٠٢، (وأنظر فيما سبق الفصل الخاص بدولة مالي).
(٥) محمود كعت، تاريخ الفتاش، ص ٤٢-٤٣، والترجمة الفرسية، ص ٨٠ ، ص ٨١ .
ميم : اسم المنطقة الواقعة علي الضفة اليسري للنيجر بين ما سنة والبحيرات الكبري.
دلافوس، الترجمة الفرنسية لتاريخ الفتاش، ص ٨١ .

سني علي بر (الكبير) وتأسيس سلطنه سنغي:

وكان مؤسس السلطنه السنغيه سن (شي) الخامس عشر ويسمي علي، ولي الحكم سنه ٨٦٩هـ/٣ سبتمبر ١٤٦٤-٢٣ أغسطس ١٤٦٥م) وهو ابن سن محمد داعوا[(١)].

وكانت دولة مالي (مل - ملي)، في افول، نتيجة للصراع الداخلي من ناحية، والضغط الخارجي من قبل السيين (الشيين) والطوارق (النوارق) وموش من ناحية أخري، وبدأت أعمالها التابعه لها في الاستقلال عنها[(٢)].

غزو تنبكت والاستيلاء عليها:

وحاول سن علي (شي عال كما يسميه صاحب تاريخ الفتاش)، أن يعيد بناء هذه السلطنه من جانبها الشرقي عن طريق القوة العسكرية. وبدأ سن علي بتنبكت، وكانت تحت حكم الطوارق الذين نجحوا في طرد الشحنة الملنكية منها سنة ٨٣٧هـ/١٤٣٣-١٤٣٤م[(٣)]. واستولي علي المدينة التجارية الشهيرة من الطوارق في ٤ أو٥ رجب سنة ٨٧٣هـ/٢٩ أو ٣٠ يناير ١٤٦٨م)، وهي السنة الرابعة أو الخامسة بعد توليه السلطنة كما يقول السعدي، وخرب المدينه وحرقها «وقتل فيها خلقا كثيرا» ورحل علماء «سنكري الي بيىر ولات - ولاتن... ولاته)[(٤)]. وأهان سن علي من بقي من

---

(١) السعدي، تاريخ السودان ، ص ٧١، الترجمة الفرنسية، ص١١٦، تاريخ الفتاش، ص ٤٤، الترجمة الفرنسية ، ص ٨٣ .

(٢) أنظر فيما سبق الفصل الخاص بدولة مالي.

(٣)السعدي، تاريخ السودان، ص ٢٢، محمود كعت، تاريخ الفتاش، ص٤٨ الترجمة الفرنسية ص ٩٣ ، ترمنجهام ، ص ٩٣ .

(٤) السعدي ، تاريخ السودان ، ص ٦٥ ، الترجمة الفرنسية ، ص١٠٥ .

الفقهاء بتنبكت بحجة أنهم «أحباء الطوارق وخاصتهم». واستمر في قتلهم واذلالهم مدة عامين الي سنة (٨٧٥هـ-١٤٧٠ - ١٤٧١م) حتي أجبر من بقي من أهل سنكري علي الهروب الي بير[1].

وبعد الاستيلاء علي تنبكت أخذ بعد نفسه ليصبح سيدا لمنطقة النيجر الأعلي الغنية والمأهوله بالسكان[2].

ويقول عنه محمود كعت، «وكان منصورا وما قابل أرضا قصده، إلا خربه وما كسر له جيش كان فيه قط، غالبا غير مغلوب، لم يترك بلدا ولا مدينة ولا قرية، من أرض كنت الي شبردك، الا وقد جري خيله فيه وحارب أها، وغار عليهم[3].

---

(١) السعدي، تاريخ السودان، ص ٦٥، ص ٦٦، الترجمة الفرنسية لهوداس، ص ١٠٦-١٠٨ .
وكلمة سن: «تعني رئيس ، سيد «في لغة سنغي، دلافوس ، الترجمة الفرنسية لتاريخ الفتاش، ص ١٤، هامش ٥ . وفي موضع أخر يقول دلافوس سن تعني طبقة النبلاء، السن سكنوا تنبكت، ولهذا السبب سمي سنكري، أي (حى سن) وأعطى الاسم أيضاً للمسجد الشهير الذي كان يوجد هناك مسجد سنكري، يعني (مسجد حي النبلاء) دلافوس ، ترجمة تاريخ الفتاش، بالفرنسية ص ٣٦، هامش٤ .

(٢) Trimingham, Ahistory of Islam in West Africa, P.93.

(٣) محمود كعت، تاريخ الفتاش، ص ٤٣، الترجمة الفرنسية، ص٨٢ .
- كنت اسم المملكة القديمة التي كان موقعها يطابق مقاطعة كب الحالية الواقعة شرق دندي- والبلد الذي يمتد من كنت إلي شبردك يطابق وادي النيجر ابتداء من شمال داهومى حتي مشارف سيجو.
دلافوس، الترجمة الفرنسية لتاريخ الفتاش، ص ٨٢، هامش ١.

-سبردك وشبردك. سيبريدوجو أو تيبريد وجو مقاطعة تقع بين النيجر وياني علي نفس ارتفاع نيامينا، وكانت تكون المقاطعة العسكرية الواقعة أقصي الشرق علي الأقل ناحية الجنوب لامبراطورية مالي، التى كانت تضم في الشمال وقت ازدهارها تمبوكتو، جاوومدنا وبلاد أخري.
دلافوس، الترجمة الفرنسية ، لتاريخ الفتاش، ص٥٥، هامش٤ .

الاستيلاء علي جني:

وحوالي سنة ٨٧٧هـ/١٤٧٣م، أصبح سن علي سيدا علي مدينة جني، وتقول رواية السعدي أنه حاصرها سبعة سنين وسبعة اشهر وسبعة ايام، ويفهم من الروايه أن سبب استسلام المدينه هو حدوث مجاعة بين أهلها ونقص قوتهم(١). واستولي أيضاً علي ماسنه بعد أن ضم إلي مملكته منطقة البحيرات وولات وأعطي بذلك سنغي للمرة الأولي اتساعا جعل منها منافسا يخشي بأسه علي مالي كما يقول دلافوس(٢).

وتغالي الروايات السودانيه - التي، دونت في عصر الاساكي - في وصف شين (سن - شى) علي بالشدة والعنف والقسوة، وتقول رواية محمود كعت «وكان يأمر بالقاء الطفل في المهراس ويأمر أمه أن تدقه وتدقه الأم وهو حي ويطعمه للخيول»(٣).

وتؤكد الروايات السودانيه أنه خارجي(٤)، وهناك روايات غريبة حقا سجلها الكتاب السودان في حق سن علي مثل «التلاعب بدينه، يترك خمس صلوات الي الليل أو الي الغد ثم يومي قاعدا مرارا متكررة ذاكرا اسماءهم، ثم يسلم تسليمه واحدة(٥).

العلاقات مع موش:

وفي سنة ٨٧٩هـ/١٤٧٤م، حطم موش كي (ملك موش)، ماسنه وتقدم

---

(١) السعدي، تاريخ السودان، ص١٤ الترجمة الفرنسية لهوداس، ص٢٦

(٢) Delafosse ,Les Noirs de L'Afrique, P, 54.

(٣) محمود كعت تاريخ الفتاش، ص ٤٣، الترجمة الفرنسية، ص٨٢ .

(٤) السعدي، تاريخ السودان، ص٦، الترجمة الفرنسية، ص١٢.

(٥) السعدي ، تاريخ السودان، ص ٦٧، الترجمة الفرنسية، ص١١٠.

الي بير (ولات)، وحاصرها شهرا من جمادي الأولي سنه ٨٨٥هـ/٩ يوليه - ٨ أغسطس ١٤٨٠م، إلي جمادي الثانيه (٨ أغسطس - ٧ سبتمبر ١٤٨٠م). ونهبها[١].

وقد جعل ذلك الغزو الناجح الذي قام به ملك موش (موشي) داخل مملكة سن علي، جعله يفكر ولم يجد وسيله أفضل ليقوم في المستقبل بانقاذ ولات (بير) بسرعة الا أن يربط هذه المدينه بتنبكت بواسطة قناة تبدأ من رأس الماء يبلغ طولها حوالي ٢٥٠كيلومتر[٢].

وبينما كان يقوم بالحفر بجد واجتهاد، ورد اليه الخبر أن موش كي قد غز من جديد دولته، فمشي اليهم والتقي معهم قرب كب «من وراء البحر»،واقتتلوا هنالك، وتمكن سن علي من هزيمة سلطان موش، وهرب الأخير، وتبعه سن علي «حتي دخل في حد أرضه» حدث ذلك في سنة ٨٨٨هـ/١٤٨٣م).

نهاية سني علي بر:

ولكن سني علي بر أثناء رجوعه من أحد غزواته انطلق عليه سيل في الطريق فاهلكه ومات في ١٥ محرم سنة ٦٩٨هـ/٦نوفمبر ١٥٤٢م[٣].

---

(١) السعدي ، تاريخ السودان، ص ١٦٩، الترجمة الفرنسية، ص١١٢، دلافوس، السود في أفريقية بالفرنسية، ص ٥٤ .

(٢) دلافوس ، نفس الرجع السابق، ص ٥٤، السعدي ، تاريخ السودان ص ٧٠، الترجمة الفرنسية لهوداس، ص١١٥ .

(٣) السعدي، تاريخ السودان، ص ٧١، محمود كعت ، تاريخ الفتاش، ص ٥٢، ينقل عن«درر الحسان في إخبار بعض ملوك السودان «أن موت شئ عال كان في شهر المحرم افتتاح سنة التاسع والتسعين بعد ثمانمائة من الهجرة.

بداية عصر الاساكي:

وعقب وفاة سن علي بر بويع ابنه ابو بكر داعوا بالسلطنة، ثم غلب عليه أحد قواد أبيه ويدعي محمد بن أبي بكر الطوري[1](*)، وقلب نظام حكم السني وقضي عليه، واعتلي العرش واتخذ لقب اسكيا.

---

(١) السعدي: تاريخ السودان، ص٧١، الترجمة الفرنسية لهوداس، ص١١٦ -ص١١٧، محمود كعت، تاريخ الفتاش، ص٥٢، يقول: «أن الجيش ولي ابنه أبو بكر الملقب بشي بار».

(*) كان محمد بن أبي بكر الطوري، وقيل السلنكي من كبار قواد سن علي، فلما بلغة خبر وفاة الاخير«أضمر في نفسه الخلافة «كما يقول السعدي، وأخذ في تدبير ذلك الامر بكل وسيلة، ثم توجه هو وخواصه إلي أبي بكر داعو فغار عليه في بلد دنغ في ٢ جمادي الأولي سنة ٨٩٨هـ/ ١٤٩٣م فأنهزم جيشه وفر إلي قرية يقال لها أنكع (يكتبها محمود كعت في شكل أنفع (الفتاش، ص٥٣) وهي بقرب كاغ(جوجو) والتقي الجمعان في يوم الاثنين ١٤ جمادي الأخري(٢٤ جمادي الأخري لدي محمود كعت) ودار بينهم قال شديد وإنتهي اليوم بإنتصار محمد بن أبي بكر وهرب سن أبو بكر داعو إلي إبن (إير لدي محمود كعت، الفتاش، ص ٥٥) فبقي هنالك إلي أن توفي.

وتملك محمد.. «ولما بلغ الخبر بنات سن علي قالت أسكيا معناه في كلاهم لا يكون أياه فلما سمعه أمر أن لا يلقب إلا به فقالوا سكيا محمد«السعدي، تاريخ السودان، ص٧١-٧٢.

ورحل اسكيا «الحاج»محمد في أواخر القرن التاسع إلي مصر والحجاز بغرض حج بيت الله الحرام وزيارة قبر الرسول صلي الله عليه وسلم، وفي مصر التقي بالخليفة العباسي، و«فلما أجتمع الحاج محمد سكية بالخليفة طلب منه أن يأذن له في إمارة بلاد السودان وأن يكون خليفة هناك، ففوض إليه الخليفة العباسي النظر في أمر ذلك الاقليم وجعله نائبة علي من وراءه من المسلمين». ولقي بمصر أيضاً الامام شيخ الاسلام جلال الدين السيوطي فأخذ عنه عقائده وتعلم منه الحلال والحرام وسمع عليه جملاً من آداب الشريعة وأحكامها وإنتفع بوصاياه وموعظة. ثم رجع اسكيا محمد إلي السودان في سنة ٩٠٣ ونصر السنة وحيي طريق العدل وجري علي منهاج الخليفة العباسي في مقعده وملبسه وسائر أموره ومال إلي السيرة العربية وعدل عن سيرة العجم فصلحت الاحوال» كما يقول السلاوي نقلا عن الامام التكروري في كتابة«نصيحة إهل السودان»، السلاوي، الاستقصا، جـ٥، ص ١٠١ - ١٠٢ (طبعة الدار البيضاء) السعدي، تاريخ السودان، ص٧٣.

وأمتد ملكه من أرض كنت إلي البحر المالح في العرب وأحوازهما، ومن حد أرض بندك إلي تغاز وأحوازهما.

ومن أهم غزواته غزوه لنعسر وهو سلطان موش، كما يقول السعدي وكان قد أرسل إليه =/

وبذلك اصبح أول امير لعصر جديد استمر لمدة قرن.

ودالت دولة سنغي بعد ازدهار استمر أكثر من قرن من الزمان علي يدي أحمد المنصور الذهبي بطل وادي المخازن واشهر ملوك الدولة السعدية.

دولة موش

نشأت في حوالي منتصف القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي)، تقريبا في نفس الوقت الذي دخل فيه منسا برمندانه الاسلام[١]، نشأت بعيدا عن كل تأثير أجنبي أو اسلامي، في الجزء الأوسط من ثنية النيجر، في المكان الذي كانت فيه كثافة السكان تبدو دائماً هائلة بل وتزيد في ايامنا هذه عن كل ماعداها من المناطق الاخري في السودان[٢].

وفي الحقيقة كانت توجد دولتان أولاهما يقيم سلطانها أو ملكها في واجادوجو "Ouagadougou"، واسسها عام ١٠٥٠ مغامر يسمي أوبري (Ou-bri) والثانية، التي كان لها علي التوالي عواصم متعددة، منها واهيجويا "Ouahigouya" لم تتكون نهائيا الا حوالي عام ١١٧٠م، بواسطة من يدعي يا، (Ya)، وسميت تخليدا لذكراه ياتنجا "Yatenga" أرض ياه[٣].

=/= يطلب منه الدخول في الاسلام فرفض، فقاتلهم اسكيا الحاج محمد وقتل رجالهم وخرب أرضهم وديارهم» ولم يكن في هذا الاقليم جهاد في سبيل الله الا هذه الغزوة وحدها. السعدي، تاريخ السودان ص ٧٤ .

ويحدثنا صاحب الفتاش عن مناقبه فيقول....«وله من المناقب وحسن السياسة والرفق بالرعية والتلطف بالمساكين مالا يحصي ولا يوجد له مثل..... وحب العلماء والصالحين والطلبة وكثرة الصدقات وأداء الفرض والنوافل...... وجدد الدين وأقام القضاة والأئمة جازاه الله عن الاسلام خيراً». محمود كعت، تاريخ الفتاش، ص ٥٩ .

وقد حكم اسكيا محمد سنغي من سنة ١٤٩٣ إلي سنة ١٥٥٩، ومات في سنة ١٥٣٨ .

(١) Delafosse,Les Noirs de L'Afrique, P, 62.

(٢) دلافوس، نفس المرجع والصفحة.

(٣) دلافوس، نفس المرجع والصفحة.

وحـقـيـقـة أن ملكي كل من المملكتين يحـمل نفس اللقب مـورهونابا "Morho-Naba" اي «رئيس بلاد الموش».

ويطلق عليه السعدي صاحب «تاريخ السودان»، «موش كي» وهي تعني في لغة سنغي (ملك موش)[1].

وأغلبية الشعب في المملكة الأولي والثانية من الموش، جعل الخلط بينهما ممكنا، وبرغم ذلك فـان كل من الدولتين كانت دائما متـميزة ومسـتقلة عن الأخري وقد أخذت كل من الدولتين وقتا ما لتتكون ولتصل الي تطورها[2].

ولكن يبدو من الموثوق به أنه حوالي بداية القرن الرابع عشر كـان لكل من الدولتين نفس اتسـاع رقعة الأرض تقـريبا، ونفس التنظيم الذي نراه اليـوم. فكل منهـا يتكون من عدة ممالك تمارس واحدة منها السيطرة علي الأخريات، وتنقسم كل مملكة إلي عدد من الأقاليم يقوم علي رأس كل منها حاكم يقيم أحيانا في ولايته وأحيانا أخري في بلاط الملك أو النابا (Naba).

وهكذا فإن امبراطورية موش في واجا دوجو كانت تشمل اربع ممالك تابعة بالاضـافة الي المملكة التي تتبع رأسا الامبراطور أو المورهونابا، وهذه المملكة الأخيرة تشـمل خمس مقاطعات يدخل حكامها في نفس الوقت ضـمن المجلس الإمـبـراطوري: أولهـا بصـفـتـه وزيرا، والثـاني بصـفـتـه رئيسـا للخصـيـان (الطواشية)، والثـالث بصفـتـه قـائدا للرجالة. والرابع بوصـفـه قـائد اللفرسان، والخامس بوصـفـه حارسا للقبـور الملكيـة، ويكمل هذا المجلس أحد عـشر وزيرا أو رجـال من عليـه القـوم، قـائد العـسكر، قـائد الحـرس الامـبـراطوري الـكاهن

(١) السعدي، تاريخ السودان، ص ٧٠ .

(٢) دلافوس ، السود في أفريقية بالفرنسية ، ص٦٢ .

الأكبر للديانة المحلية، ورئيس الجزارين ورئيس الحدادين، وجامع الضرائب وأخيرا سنديك المسلمين، وكل عمل من هذه الأعمال، مثلها مثل عمل الحاكم تتوارث في عائله معينة. وكل حاكم إقليمي له مثل المورهونابا ومثل التابا التابعين للمورهونابا بلاطه ووزراءه[1].

وهذا التنظيم الذي لازال موجودا حتي أيامنا هذه في واجادوجو وياتنجا يشابه بطريقة غريبة النظام الذي كان يوجد في غانة وجار وجاو (جوجو) ومالي والذي أتانا بأخباره المؤرخون العرب وكتاب تنبكت[2].

ويبدو إنها تكون النوع الأكثر كمالا في موش عن غيرها من البلاد التى تستحق هذا الاسم سواء كانت كبيرة أو صغيرة والتي نمت في افريقية السوداء منذ القديم.

وبدون شك فانه يمكن أن يلاحظ إذا كانت امبراطوريات غانة وكاو قد أسسا بواسطة البيض - دون أن يكون هذا الشئ مؤكدا تماما -، واذا جاء بعد ذلك علي رأسها عصور سركلية، السيسي في غانة والطوري في جاو) تزعم أنه كان لها أسلاف بيض، واذا كانت امبراطورية الماندنج (مالي)، التي أسسها سودان من جنس نقي قد استطاعت مع ذلك أن تتمتع ببعض النفوذ الأجنبي عن طريق الاسلام، واذا كانت ممالك اشانتي وداهومي مثلها مثل السنغال والكنجو قد استطاعت أن تأخذ بعض الوحي من الأوربيين، فانه يبدو مؤكدا أن امبراطوريات الموش، كانت دائما بعيدة عن كل تدخل وكل تأثير

---

(١) دلافوس، نفس المرجع السابق، ص ٦٣ .

(٢)دلافوس، نفس المرجع والصفحة.

غير سوداني، فانه يمكن أن نستنتج أن التنظيمات السياسية التي تميزها، والتي نجدها تقريبا في كل افريقية السوداء هي من أصل وطني. ولا يجوز لنا أن نفعل اكثر من الايحاء بأن أول هذه الدول السودانية وهي غانة، قد قلدها بطريقة أو بأخري جيرانها. ثم بعد ذلك جيران هؤلاء الجيران دون أن يبدو ذلك لا شعوريا(١).

وعلي عكس امبراطوريات غانه، ومالي، وسنغي، فإن دول موش لم تبرز عن طريق فتوحات إقليمية واسعة، ومع ذلك فإن فتوحات «الياتنجا» "Yatenga" أكدت قوتها أكثر من مرة: في عام (٧٣٤هـ/١٣٣٣م) وهي السنه التي تلت وفاة كنكن موسي فإن «المورهونابا» (موش كي) قد دخل إلي تنبكت ونهب المدينة، وإن أحد خلفاءه في عام (٨٨٢هـ/١٤٧٧م) قد نفذ إلي ماسنة وباغن، ثم ذهب لينهب ولات (ولاتن بير) في جمادي الأولي سنة ٨٨٥هـ/٩يولية الي ١٨ أغسطس ١٤٨٠م. فحاصرهم مدة شهر ثم خرج منها كما يقول السعدي(٢).

وبعد ذلك فان الموش قد صمدوا وانتصروا علي أساكي جاو، ثم باشات تنبكت وافلقوا سلاطين مالي (الماندنج)، وملوك بمبر (بنبر) في سيجو (Sé-gou) ولكن حملاتهم البعيدة لم تكن الضربات سريعة لا يعقبها اي ضم.

وتاريخ هذه الدول قد دار تقريبا كله في داخل حدودها.

ولكن علي العكس من ذلك فان هذه الدول لم تغتصب أبدا بطريقة جادة

---

(١) Delafosse, Les Noirs de l'Afrique, P. 64.

(٢) السعدي، تاريخ السودان، ص ٨، الترجمة الفرنسية، ص ١٨، ص١٩، ص٦٩ الترجمة الفرنسية لهوداس،ص ١١٢، دلافوس، ص٦٥.

حتى ان الاحتلال الفرنسي قد احترمها عندما اكتفى بفرض نوع من الحماية علي الموروهونابا في واجادجو وياتنجا(۱).

وامبراطوريات الموش تبدو مثيرة للفضول في ناحية أخري فانها في جميع الاوقات قد كونت سدا وحصنا ضد امتداد الاسلام الذي لم يستطع أن يكون له أي يد عليهم، وبالرغم من أنه كان بين أفرادها عدد من المسلمين، وكلهم أجانب بالطبع، فانها قد أنشأت لهؤلاء المسلمين وزارة خاصه لدي الموروهونابا. فانها قد ظلت مرتبطه بعمق بديانتها الوطنية القديمة وهي تمثل بتكامل تام حضارة سوداء نقية وفريدة(۲).

(۱) Delafosse, Les Noirs de l'Afrique, P. 65.

(۲) Delafosse, Les Noirs de l'Afrique, P. 65.


الخاتمة

يفـهـم من الدراسـة كيـف انتـشـر الاسـلام في بلاد السـودان عن طريق التجارة وكذلك التبشير والحرب والسياسة، ومع ذلك فيمكن القول أن الاسلام في السودان كان له طابعه الخاص بفضل البيئة والعادات والتقاليد.

ويفهم من القطع المتناثرة التي أوردها الكتاب المغاربة والسودان، أنه رغم اسلام أمم السودان الغربي، إلا أنهم ظلوا محافظين علي شئ من العـادات والتقاليد القديمة التي لم يستطيع الاسلام أن يقتلعها من جذورها العـميقة تماما. كما سبق القول في الفصل الخاص بدولة مالي.

وهناك روايات غريبة حقا سجلها صاحب تاريخ الفتاش(عن سلاطين مملكة سنغي في جاو).

من ذلك أن الفـقـيـة أحـمـد بن مـحـمـد بن سـعـيـد دخل علي أسكي داود (١٥٣٨-١٥٤٩م)، وألقاه «في مجلس الجمعة علي عادتهم وعبيده الخصيان واقفون علي رأسه وكانوا نحو سبعماية وعلي كل واحد منهم لباس الحرير، وإذا أراد أسكي أن يبصق أو يتفل أسرع إليه بعض الخصيان ويبسط له كمه ويبصق فيه ثم يمسح فاه من النخام»محمود كعت ،تاريخ الفتاش ، ص ١١٤ .

وبقي الفقيه أحمد عنده يتحدثان«فقال له الفقيه أحمد عجبت منك حين دخلت عليك وما حسبتك إلا مجنوناً رذيلاً سفيها حين رأيتك تبصق في أكمام قمصان والناس يحملون علي رؤسهم التراب لك، فضحك أسكي وقال ما كنت مجنونا أنا بعقلي ولكن كنت رئيس المجانين الفاسقين المتكبرين ولذلك جعلت نفسي مجنونا وأدخلت الجن علي نفسي تخويفا لهم لئلا يتعدون علي

المسلمين» ربما يفهم من هذه العبارة الأخيرة أنه كان يوجد بين رعاياه عدد لابأس به من الوثنين.

وأيضاً يذكر صاحب الفتاش،(ص١١٦) ، عن أسكي داود ، أنه كان إذا ركب يمشي معه رجلان يأخذ أحدهما قربوس سرجه علي يمينه و آخر علي يساره ويضع يده اليمني علي رأس الذي علي يمينه واليسري علي رأس الذي بشماله وأن أولاده تبعوه في ذلك.

ومن التقاليد التي أحتفظوا بها أيضاً أخذهم بنات جندهم وجعلهم سرية وهي كما يقول صاحب الفتاش«مصيبة تقدم زمن ملكه» ويعلق علي ذلك بقوله «فإنا لله وإنا إليه راجعون».

وأيضاً بالرغم من إسلام أهل «جني»الا أنهم ظلوا محافظين علي بيت صنمهم حتي القرن السادس عشر الميلادي ، إلي أن جاء الفقيه فودي محمد ساقوا الونكري«فشرع في تخريب بيت الصنم الذي يعبده جاهليهم مع الديار التي هو في وسطها لأنها بقبت علي حالها من حين أسلموا خالبة وعدها له دار السكني» السعدي، تاريخ السودان، ص١٨ ، الترجمة الفرنسية، ص٣٠-٣١) ، ويبدو من نص السعدي أن العامة رغم أسلامهم ظلوا محافظين علي طقوس دياناتهم الوثنية.

ويلاحظ في رواية البكري (عن ملك غانة قبل الاسلام) أن الملك لا يكون إلا في ابن أخت الملك لأنه لا يشك في أنه ابن أختـه وهو يشك في إبنه ولا يقطع علي صحة إتصاله به». البكري، المغرب ص ١٧٠ ، الترجمة الفرنسية لدسلان، ص٣٢٨ .

ونلاحظ كما يقول دلافوس أن هذه العادة التي لا تقر إلا القرابة من جهة الأم، كانت فيما مضي موجودة بصفة عامة عند السودان ولازالت موجودة بدرجات متفاوتة في صورة آثار متعددة ، لا يمكن إنكارها.

Delafosse, Le Noires de L'Afrique, P, 138-139.

ونستبين من رواية ابن بطوطة(عن الخلاف الذي وقع بين منسا سليمان سلطان مالي وزوجته). أن المرأة لها مركز ممتاز في المجتمع الونكري، فقد كانت «زوجة منسا سليمان، شريكته في الملك علي عادة السودان، ويذكر اسمها مع اسمه علي المنبر» ابن بطوطة، الرحلة، جـ٢، ص٢٠٢.

وعلي أحد شواهد القبور الملكية الخاصة بملوك جاو يوجد النقش التالي:«بسملة وصلي الله علي محمد وآله وسلم، هاذا قبر متاع نمي بنت سوا«كل نفس ذائقة الموت». ويلاحظ من النص أن نمي المتوفاة تنسب إلي أمها الملكة سوا (لا يوجد بالنص تاريخ الوفاة) لكن يرجح سوفاجية "Sauvaget' أنها ربما حدثت حوالي سنة ٥٥٠هـ، لأن شاهد قبر الام، الملكة سوا- ينص علي أنها ماتت سنة ٥٠٢هـ.

Sauvaget, Les Epitaphes de Gao, No9, P, 139,P,140.

وكما يقول دلافوس طبقا للعادات المحلية، أول من أنسلخ عن تلك العادة في السودان هم البمبر ومن هنا اشتق اسمهم Ban ba ra أو Ban ma na الذي يعني الانفصال عن الأم. بينما نجد الماندنج الذين ظلوا مخلصين لعاداتهم القديمة فانهم سموا بالماندنج Mandingأو الماندي Mandi وتعني «ابن الأم».

وفي أيامنا هذه فإن القرابة أو الانتساب للذكر Consanguine(القرابة

من جهة الاب) سادت عند البمبر والسر كله وجزء من الماندنج أو الملنكي، ولكن جزءاً كبيراً من هؤلاء الأخيرين لايقرون حتي الآن إلا الانتساب للام كنظام يعطي حق الوراثة وكذلك أغلب الفلان والسرر وعند عدد هائل من الشعوب السوداء في السودان وساحل غينيا وأفريقية شبه الصحراء "

Delafosse , Les Noires, P, 140.

ورغم ذلك فهذا لا يعني أن الإسلام في السودان إسلام منحرف أو متغير أو غير منسجم مع الاسلام السني. فقد ظهر في بلاد السودان(خاصة في تنبكت وجني وهما أهم المراكز الثقافية الاسلامية) أجلة العلماء والفقهاء والشيوخ المباركين من المالكية الذين تذخر بهم كتب: نيل الابتهاج بتطريز الديباج لأحمد بابا التنبكتي، وتاريخ الفتاش، وتاريخ السودان للسعدي ، الذين حاولوا أن يقضوا علي بقية التقاليد الوثنية التي ظلت باقية - بين العامة بصفة خاصة- رغم اسلام السودان وحرصهم علي التقاليد والشعائر الاسلامية.

ولقد شرق بعضهم إلي مصر والحجاز وغربوا إلي المغرب لأخذ العلم عن أجله الشيوخ هناك ومن هؤلاء أحمد بن عمر بن محمد أقيت بن عمر بن علي بن يحيي بن كدالة الصنهاجي التنبكتي(جد الفقيه أحمد بابا) شرق عام ٨٩٠هـ وحج ولقي الجلال السيوطي والشيخ خالد والوقاد والازهري إمام النحو وغيرهما.

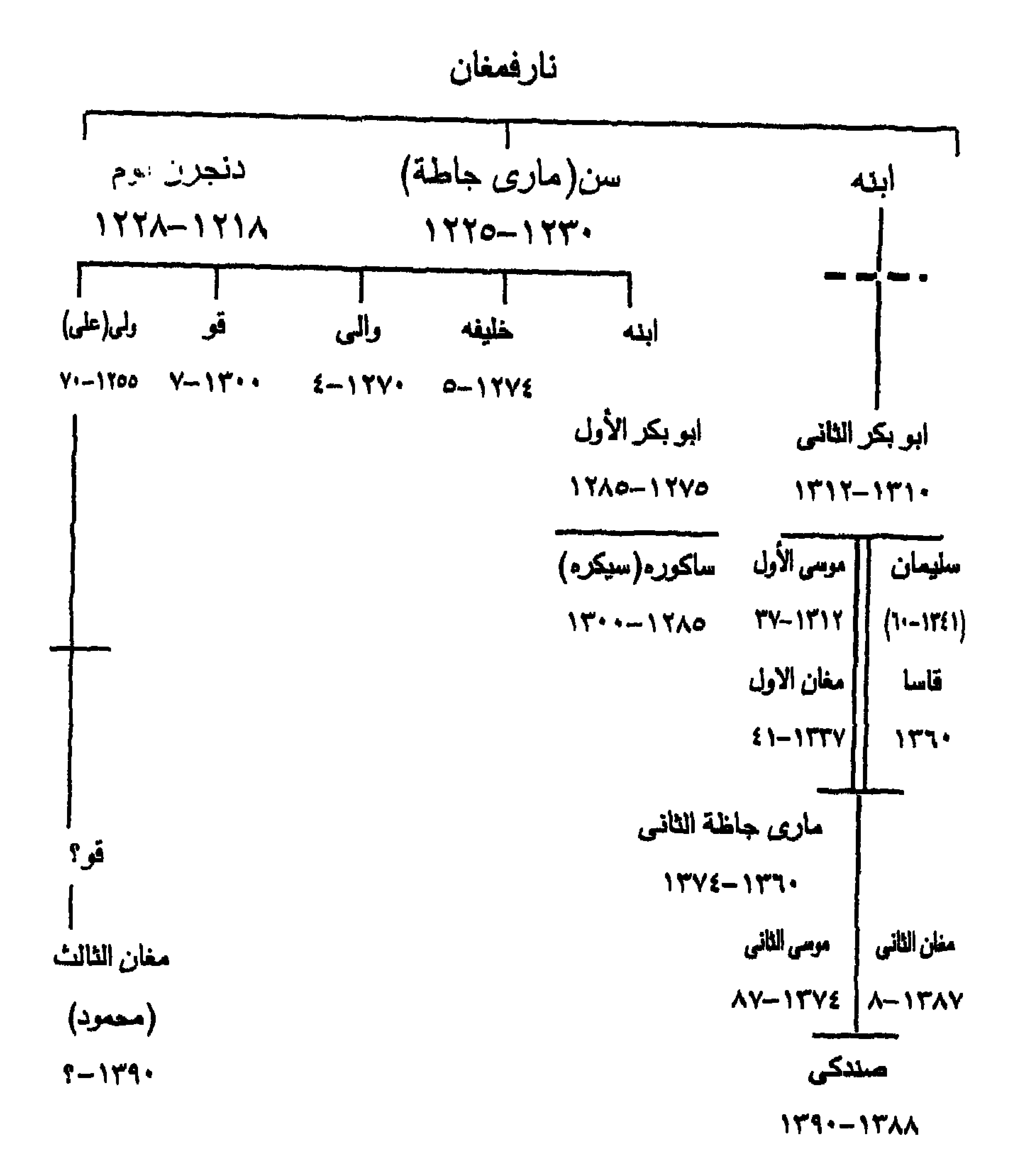
ومحمود بن عمر بن محمد أقيت بن عمر بن علي بن يحيي الصنهاجي التنبكتي (قاضي تنبكت) ، أشتهر بعلمه وصلاحه، وكان ملازما التدريس

والفقه وأنتفع به كثيرون«وحيي العلم ببلاده وكثر طلب الفقه ونجب جماعة منهم فصاروا علماء» وأكثر ما يقرئ في السودان، المدونة ومختصر خليل والألفية والسلاجية ومنه أنتشر إقراء خليل هناك وقيد عنه تقاليد عليه، حج سنة ٩١٥هـ، والتقي بالسادة إبراهيم المقدسي والشيخ زكريا والقلقشندي من أصحاب ابن حجر واللقانيين.

ومن الكتب المنتشرة بين الفقهاء وطلبة العلم في السودان، مخمسات العشرينات الفازارية في مدائح النبي*، وصغري السنوسي والقرطبية وجمل الخونجي في الأصول والصحيحين والموطأ والشفاء وأصول السبكي، وتلخيص المفتاح، وتسهيل ابن مالك، والفية العراقي، وحكم ابن عطاء الله مع شرح زروق، ومقدمة التاجوري والخزرجية في العروض، وتحفة الحكام لابن عاصم. وفرعي ابن حاجب والمنتقي للباجي والمدونة بشرح أبي الحسن الزرويلي وجامع المعيار للونشريسي وتهذيب البرادعي.

وهكذا فإذا كان الاسلام في السودان قد تأثر بالظروف البيئية المحلية وخاصة بين العامة فإن السودان لم يعدم اتباع الاسلام من أهل السنة الغيورين علي نقاء الدين الذين إجتهدوا في سبيل الاسلام الصحيح والذين مازالوا يعملون في هذا السبيل.

عصر كيتا في مالي(*)



(*) (أنظر ابن خلدون ، العبر، جـ٢، ص٢٠٠–٢٠٢، القلقشندي، صبح الاعشي، ص ٢٩٣–٢٩٨ «وهو ينقل عن ابن خلدون»).

عصورسنغي

عصرزا

السعدي ، تاريخ السودان، ص٢-ص٤ تاريخ الفتاش:

Deuxiéme Appendice,PP, 332-336.

(١)الأيمن	El-Yemen (١)
(٢) زاكي	Oua,ai (٢)
(٣)تكي	Kaien(٣)
(٤) أكي	Takai(٤)
(٥)كو	Mata-Kai(٥)
(٦)علي قي	Mali-Biyai (٦)
(٧)بيي كمي	Biyai Kima (٧)
(٨) بي	Bei (٨)
(٩)كري	Kirai(٩)
(١٠)ايم كروي	Yama- Kalaouai (١٠)
(١١) يم	Yama Dombo (١١)
(١٢) يم دنك كيبع	Yama- Dianaa (١٢)
(١٣) كوكري	Diata Koré (١٣)
(١٤) كنكن	Kotso Moslem (كش مسلم) (١٤)

(١٥) كسي	Kotso-Daria (١٥)
(١٦) كسي داربي	Hounabowoua-Kodam (١٦)
(١٧)هن كزونك دم	Yama- Kitsi (١٧)
(١٨) بي كي كيم	Barai (١٨)
(١٩) نتناسني	Bibai- Keina(١٩)
(٢٠)بيي كين كب	Simanbao (٢٠)
(٢١) كين شنينب	Fanda- Diaroa (٢١)
(٢٢)تب	Yama- Daa(٢٢)
(٢٣)يم داد	Arkour- Dioua (٢٣)
(٢٤)فدزو	Barai(٢٤)
(٢٥) علي كر	yassi- Bo'o (٢٥)
(٢٦) بير فلك	Baro (٢٦)
(٢٧) ياسبي	Ditsi-Baro (٢٧)
(٢٨) دور	
(٢٩)زنك بار	
(٣٠) بسي بار	
(٣١) بدا	

عصر السني

السعدي ، تاريخ السودان، ص٣-٤	تاريخ الفتاش، ص- ٣٣٤-٣٣٨
(١) علي كلن	(١) أل كلم Ali Colom
(٢)سلمن نار	(٢)سلمن نار Silman- Nari
(٣) إبراهيم كيي	Ibrahim Kabayao(٣)
(٤)عثمان كنف	Ousman- Guife(٤)
(٥)باركين انكبي	Makara Komsou (٥)
(٦) موسي	Boubakar- Katiya (٦)
(٧) بكر زنك	Ankada- Doukourou(٧)
(٨) بكر دل بينب	Kimi- Yankoi Moussa (٨)
(٩) ماركري	baro- dal - Yombo (٩)بار دل ينب
(١٠) محمد داع	madao (١٠)مادعو
(١١) محمد كوكيا	Mohammed Koukiya (١١)محمد كوكيا
(١٢) محمد فار	Mohammed Fari (١٢) محمد فار
(١٣) كريبف	Balam (١٣) بلم
(١٤) مارفي كل جم	Souleiman- Dama (١٤)سلمان دم
(١٥)مـــاراركن	Ali fils du Si'i Mohammed- Dao (١٥) علي بن سن محمد داع

(١٦) مـــارارندن

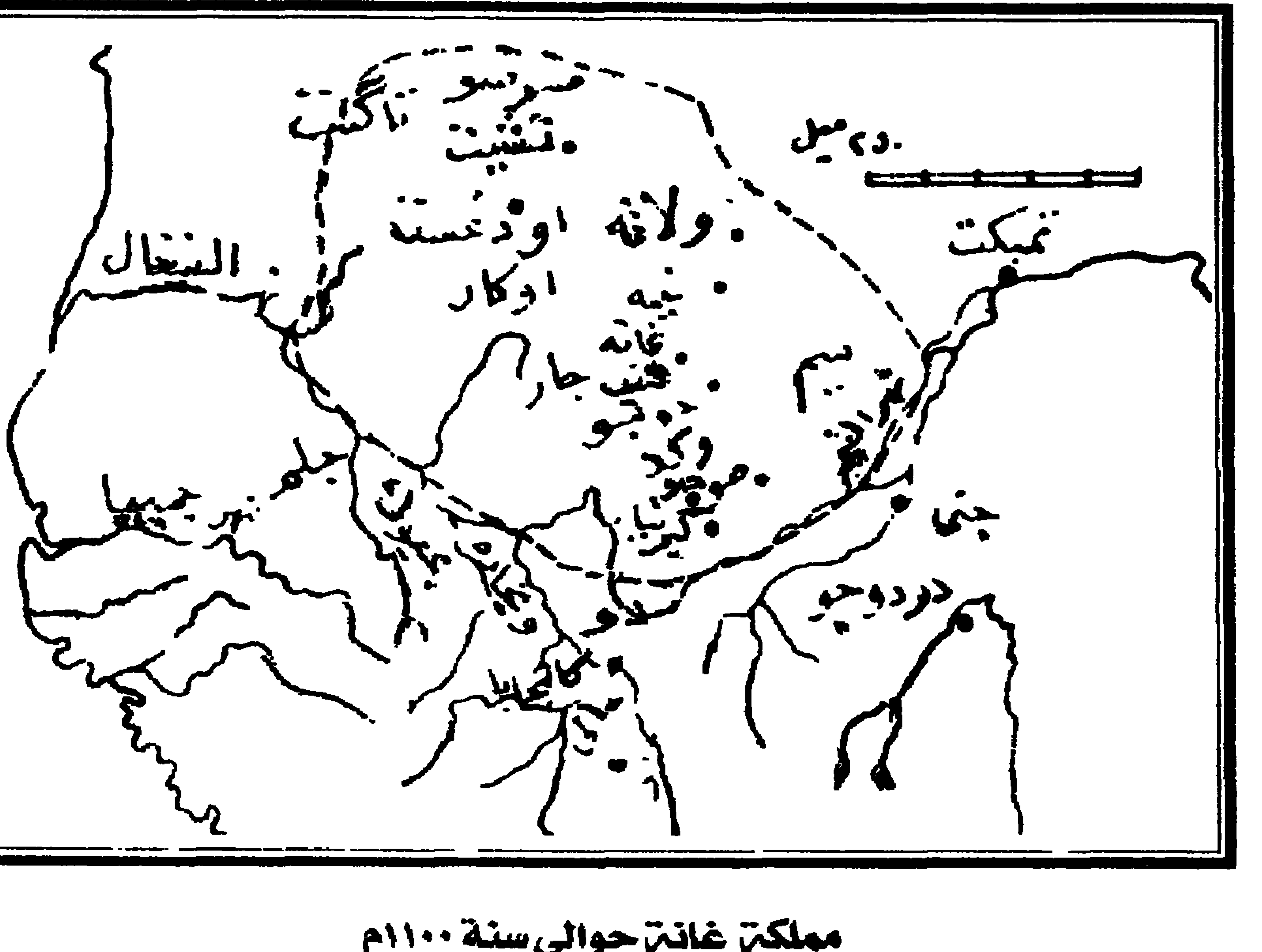
(١٦) ابو بكر الملقب (بشي) بار (ص ٥٢ ،الترجمة الفرنسية، ص ١٠٠) .

(١٧) سليمن دام

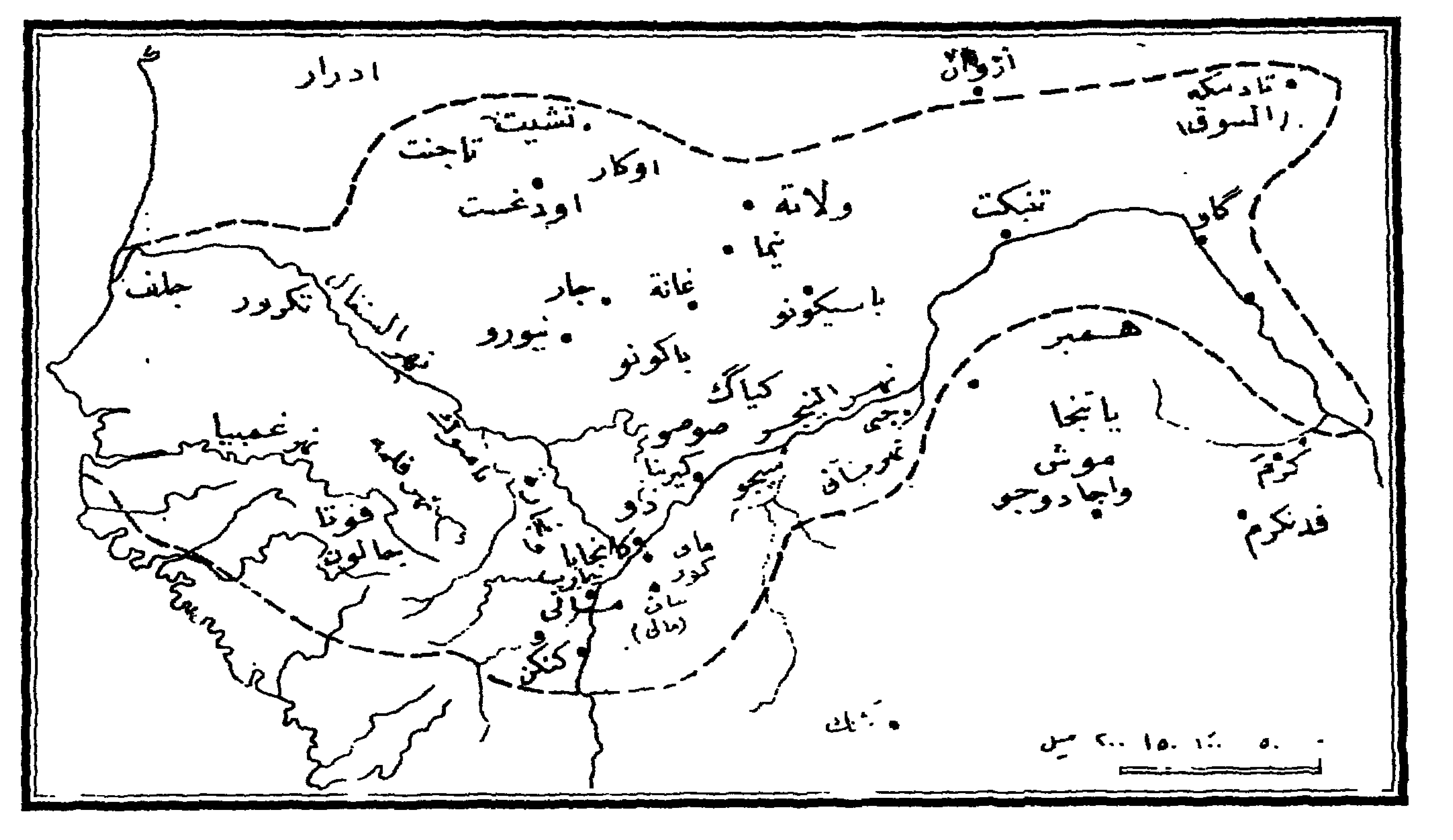
(١٨) علي (ابن سن محمد داع) «داعوا»

(ص٧١، الترجمة الفرنسية ص١١٦)

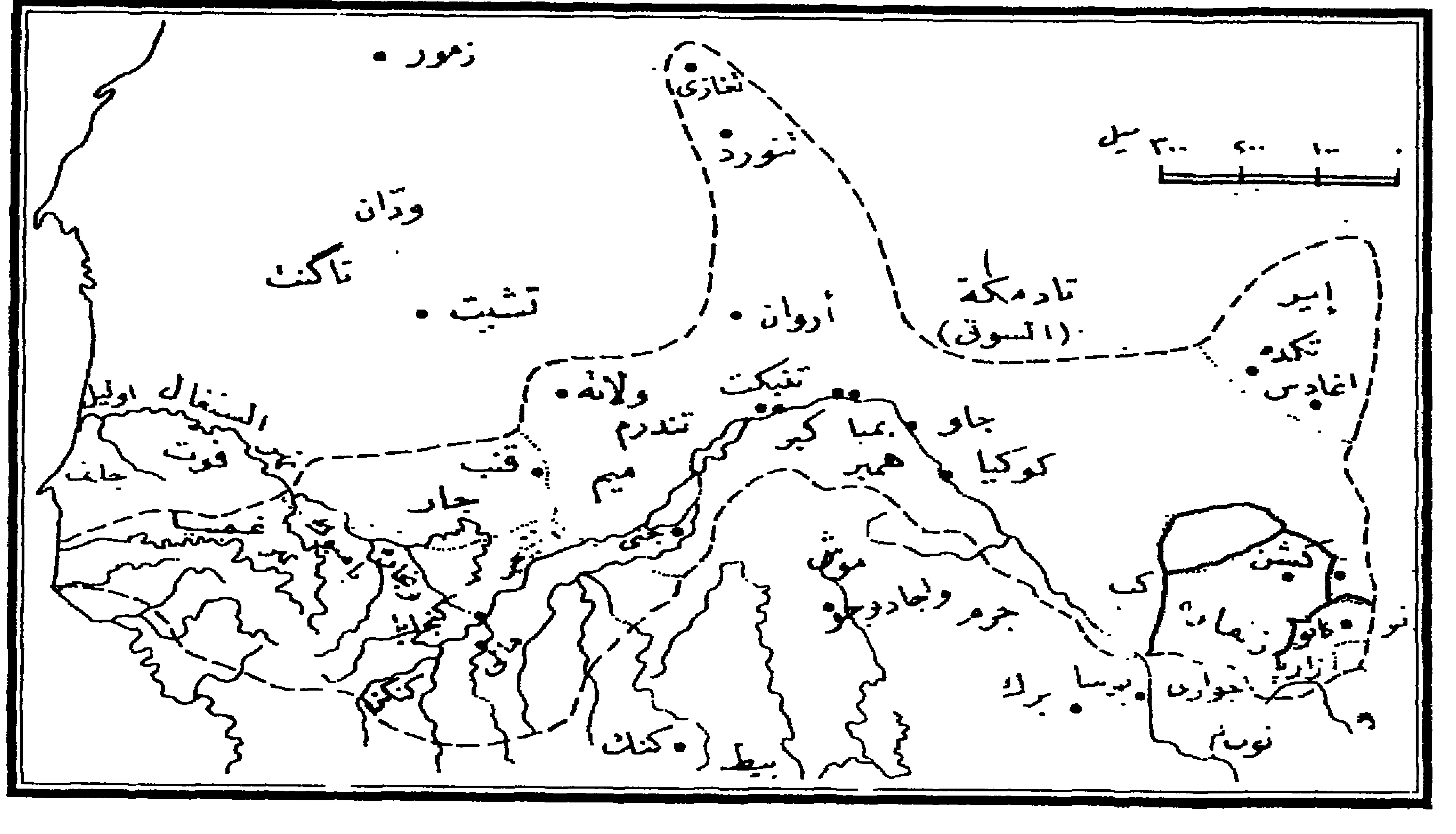
(١٩) بار، اسمه بكر داع



مملكة غانة حوالي سنة ١١٠٠م



مالي في القرن الرابع عشر الميلادي



سنغي في مطلع القرن السادس عشر الميلادي

المصادر والمراجع العربية

أولا :المصادرالمراجع العربية

١- ابن ابى دينار، محمد بن أبى القاسم الرعيبى القيروانى

- المؤنس فى أخبار افريقية وتوس، طبع تونس، ١٢٨٠ هـ.

٢- ابن ابى زرع، أبو الحسن أحمد بن على بن أبى زرع الفاسى توفى سنة ٧٢٦هـ / ١٣٢٦م.

-الانيس المطرب بروض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، فاس، طبع حجر.

٣- الادريسى، أبو عبد الله محمد بن محمد الحمودى، توفى سنة ٥٦٠ / ١١٦٦ .

- صفة المغرب وأرض السودان ومصر والاندلس - مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق - نشر: دوزى، دجويه R.Dozy , M.Y. De Coeje، ليدن ١٨٦٦ .

٤- ابن الأثير، أبو الحسن على بن محمد الجزرى، توفى سنة ٦٣٠هـ / ١٢٣٣م

- الكامل فى التاريخ، طبعة القاهرة، ١٢ جزء.

- أسد الغابة فى معرفة الصحابة، ٥ أجزاء، طبعة المعارف، القاهرة ١٢٨٥ هـ.

٥- ابن الأحمر، أبو الوليد، توفى سنة ٨١٠ هـ / ١٤٠٧م

- نثير فرائد الجمان فى نظم فحول الزمان.

(مخطوط دار الكتب رقم ٧١١٣ أدب) .

٦- الاستبصار، كتاب الاستبصار فى عجائب الامصار(وصف مكة والمدينة، ومصر، وبلاد المغرب) لكاتب مراكشى من كتاب القرن السادس الهجرى (١٢م).

- نشر وتعليق الاستاذ الدكتور سعد زغلول عبد الحميد مطبعة جامعة الاسكندرية، ١٩٥٨ .

٧- الاصطخرى، أبو اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسى، توفى سنة ٣٤٠هـ / ٩٥١م.

- كتاب المسالك والممالك نشر دجويه De Coeje ، ليدن ١٩٢٧ .

٨- أحمد بابا، أبو العباس أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت ابن عمر بن على

بن يحيى التكرورى الصنهاجى المسوفى التمبكتى (التنبكتى) توفى سنة ١٠٣٦هـ / ١٦٢٧م.
- نيل الابتهاج بتطريز الديباج، هامش لكتاب الديباج المذهب فى معرفة اعيان علماء المذهب، طبع مصر ١٣٢٩ هـ.

٩- أنجيل جنثالث بالنثيا.
- تاريخ الفكر الاندلسى، ترجمة الدكتور حسين مؤنس، القاهرة، ١٩٥٥.

١٠- رولاند أوليفر وجون فيج.
- موجز تاريخ افريقية، ترجمة الدكتورة دولت أحمد صادق، القاهرة ١٩٦٥، (سلسلة دراسات افريقية).

١١- ابن بطوطه، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله اللواتى الطنجى، توفى سنة ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م.
- تحفة النظار فى غرائب الامصار وعجائب الاسفار، طبعة التجارية ١٩٦٤، فى جزئين.
- ترجمة جزئية خاصة بآسية وافريقية، بالانجليزية، لندن ١٩٣٩، وانظر جب.

١٢- البكرى، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز، توفى سنة ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م.
- المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب، نشر ده سلان De Slane باريز ١٩١١.

١٣- بروفنسال E. Lévi-provencal.
- نص جديد عن فتح العرب للمغرب، مجلة المعهد المصرى بمدريد، سنة ١٩٥٤.
- نخب تاريخية جامعة لاخبار المغرب الأقصى، باريز ١٩٤٨. وانظر ابن عذارى المراكشى.

١٤- ر. بلاشير، منتخبات من آثار الجغرافيين فى القرون الوسطى.

Extraits des principaux Géographes arabes du moyen age, paris, 1932.

١٥- البيروني ، ابو الريحان محمد بن أحمد، توفى سنة ٤٤٠هـ / ١٠٤٨م.

- القانون المسعودى، ٣ أجزاء، الطبعة الأولى، حيدر اباد الدكن الهند سنة ١٣٧٤هـ / ١٩٥٥م.

- الجماهر فى معرفة الجواهر، الطبعة الأولى، حيدر اباد الدكن سنة ١٣٥٥هـ.

١٦- التحفة السنية فى اخبار الدولة المرينية (لمؤلف مجهول).

١٧- التونسي، محمد بن عمر، توفى سنة ١٢٧٤هـ (١٨٥٧م).

- تشحيذ الاذهان بسيرة بلاد العرب والسودان، تحقيق دكتور خليل محمود عساكر، دكتور مصطفى محمد مسعد ، (تراثنا) القاهرة، ١٩٦٥.

١٨- الجاحظ، ابو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب، توفى سنة ٢٥٥ هـ / ٨٧٨ - ٨٦٩م.

- رسائل الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، طبع القاهرة ١٩٦٤ الجزء الأول.

- الرسالة الرابعة وعنوانها : «كتاب فخر السودان على البيضان».

١٩- أبو حامد الاندلسي، الغرناطي، محمد بن عبد الرحمن بن سليمان القيسي، توفى سنة ٥٦٤هـ / ١١٦٩م.

- تحفة الالباب ونخبة الاعجاب، نشر Gabriel Ferrand مع ترجمة فرنسية Journal Asiatique, Juillet- Septembre 1925.

٢٠- جود فروا ديموميين Gaudefroy-Demombynes.

- مسالك الابصار فى مسالك الامصار (افريقية عدا مصر)
L'Afrique moins L'Egypte
ترجمة فرنسية مع مقدمة وهوامش، باريز ١٩٢٧.

٢١- جونز وديفيد وليامز
- المعادن والرواسب المعدنية، ترجمة الدكتور فخرى موسى، الدكتور عبد العزيز عثمان، راجعه الدكتور نصرى مترى شكرى (مجموعة الالف كتاب) رقم (٣٥٢).
٢٢- ابن حجر، شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد ابو الفضل الكنانى العسقلاني القاهرى الشافعي، ولد سنة ٧٧٣هـ / ١٣٧١م، توفي سنة ٨٥٢هـ / ١٤٤٩م.
- الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة، ٤ أجزاء، طبعة حيدر اباد الدكن، ١٣٥٠هـ.
- انباء الغمر بأنباء العمر، نشر وتحقيق الدكتور حسن حبشي، الجزء الأول، القاهرة ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م (لجنة احياء التراث الإسلامي).
٢٣- الحريرى، أبو محمد القاسم بن علي بن محمد بن الحريرى، ولد فى سنة ٤٤٦هـ، وتوفي سنة ٥١٦هـ.
- مقامات الحريرى.
٢٤- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهرى، توفي سنة ٤٥٦هـ / ١٠٦٤م.
- جوامع السيرة وخمس رسائل اخرى، تحقيق الدكتور احسان عباس، والدكتور ناصر الدين الأسد، طبع دار المعارف، مصر (مجموعة تراث الإسلام).
٢٥- ابن حوقل، أبو القاسم محمد، توفي سنة ٣٦٧هـ / ٩٧٧م.
- كتاب صورة الأرض، نشر J.H. Kramers ليدن ١٩٣٨. فى جزئين.
٢٦- ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله، توفي سنة ٢٧٢هـ / ٨٨٥م.
- المسالك والممالك، نشر دجويه De Goeje، ليدن، ١٨٨٩.
٢٧- ابن الخطيب السلماني، لسان الدين محمد بن عبد الله، ولد ٧١٣ هـ /

١٣١٣م، توفى سنة ٧٧٦هـ / ١٣٧٤م.
- كتاب أعمال الأعلام (القسم الثالث)، نشر وتحقيق ، الاستاذ الدكتور أحمد مختار العبادى، والاستاذ محمد ابراهيم الكتانى تحت عنوان: المغرب العربى فى العصر الوسيط، طبعة الدار البيضاء، ١٩٦٤ .
- الاحاطة فى اخبار غرناطة، تحقيق عبد الله عنان، طبع دار المعارف، القاهرة.
٢٨- ابن الخطيب.
-نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، تحقيق أ.د أحمد مختارالعبادى (تراثنا)، القاهرة، سنة ١٩٦٠م.
٢٩- ابن خلكان، شمس الدين ابو العباس أحمد بن محمد، توفى سنة ٦٨١ هـ/ ١٢٨٢م.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، نشر محمد محى الدين عبد الحميد، فى ٦ أجزاء، القاهرة ١٣٦٧هـ / ١٩٤٨ م / ١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠م.
٣٠- ابن خلدون، ابو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون ولى الدين التونسى الحضرمى الاشبيلى المالكى، توفى فى سنة ٨٠٨ هـ / ١٤٠٦م.
- العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر، ٧ أجزاء، بولاق ١٣٨٤هـ.
- مقدمة ابن خلدون، طبعة التجارية.
- التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا، نشر محمد بن تاويت الطنجى، القاهرة ١٣٧٠ هـ / ١٩٥١م.
٣١- الخوارزمى، ابو جعفر محمد بن موسى (قرن ٣ هـ / ٩م).
- صورة الأرض من المدن والجبال والبحار والجزائر والانهار، نشر هانس فون تريك، طبع فينا ١٩٢٦ .

٣٢- الدمشقى، شمس الدين أبى عبد الله محمد بن أبى طالب الانصارى، ولد فى سنة ٦٥٤هـ / ١٢٥٦م، توفى سنة ٧٢٧هـ / ١٣٢٧م.

- نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر، نشر مرن M.A.F. Mehren ليبزج، ١٩٢٣.

٣٣- الدميرى، محمد بن موسى بن عيسى كمال الدين، ولد سنة ٧٥٠هـ / ١٣٤٩ م توفى سنة ٧٧٥ هـ / ١٣٤٩م.

- حياة الحيوان الكبرى، فى جزئين، طبعة القاهرة ١٩٦٣.

٣٤- الدواداری، أبو بكر بن عبد الله بن ايبك، من مؤرخى القرن الثامن الهجرى (انتهى من تأليف كتابه سنة ٧٣٦هـ).

- كنز الدرر وجامع الغرر، الجزء التاسع وهو، الدر الفاخر فى سيرة الملك الناصر، تحقيق هانس روبرت رويمر، القاهرة ١٩٦٠م.

٣٥- الزهرى، أبو عبد الله محمد بن أبى بكر، توفى فى أواسط القرن السادس الهجرى.

-كتاب الجغرافية وماذكرته الحكماء فيها من العمارة ومافى كل جزء من الغرائب والعجائب تحتوى على الاقاليم السبعة ومافى الأرض من الأميال والفراسخ، تحقيق محمد حاج صادق.

I.F.D. Bulletin d' études orientales, tome XXI, année 1968, Damas 1968.

٣٦- السخاوى، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوى الشافعى، توفى سنة ٩٠٢هـ / ١٤٩٧.

- الضوء اللامع فى أعيان القرن التاسع فى ١١ جزء، القاهرة ١٣٥٣ - ١٣٥٥هـ.

٣٧- السعدى، عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران بن عامر السعدى، توفى بعد سنة ١٠٦٦هـ / ١٦٥٦م.

- تاريخ السودان.

Texte arabe édité par O. Houdas avec la collaboration de M. Benoist, Paris 1898 (Publications de L'école des langues orientales vivantes, IVe Série-volume XII).

٣٨- السلاوى، أحمد بن خالد الناصرى السلاوى، توفي سنة ١٣١٥هـ / ١٨٩٧م.
- الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى، ٤ أجزاء، القاهرة ، ١٣١٢هـ.
-طبعة الدار البيضاء ١٩٥٤ - ١٩٥٦ في تسعة أجزاء.
٣٩- السيوطى، أبو الفضل عبد الرحمن بن أبى بكر جلال الدين السيوطى الشافعى ولد سنة ٨٤٩هـ / ١٤٤٥م، توفي سنة ٩١١هـ / ١٥٠٥م.
- حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة، فى جزئين، طبع القاهرة.
٤٠- ابن شاكر الكتبى، محمد بن شاكر الصلاح الكتبى الدمشقى، توفي سنة ٧٦٤هـ / ١٣٦٣م.
- فوات الوفيات، طبعة القاهرة.
٤١- الشريشى، أبو العباس أحمد بن عبد المؤمن، توفي سنة ٦١٩هـ / ١٢٢٢م.
- شرح المقامات الحريرية، طبع بولاق، طبعة ثانية، سنة ١٣٠٠هـ.
٤٢- الشماخى، أبو العباس أحمد بن عثمان بن سعيد بن عبد الواحد الشماخى اليفرنى، توفي سنة ٩٢٨هـ / ١٥٢٢م.
- كتاب السير (سير مشايخ جبل نفوسة)، طبع حجر القاهرة.
٤٣- ابن الصغير، (قرن ٣ هـ / ٩م).
- اخبار الائمة الرستميين نشر وترجمة موتيلينسكى.
Chronique d'ibn Saghir sur les imams Rostemides de tahert, ed. et trad par Motylinski, dans actes du XIVe congrés international des orientalistes, paris 1907.
٤٤- ابن صود، ولد سنة ١١١٢ هـ / ١٧٠٠م.
- تذكرة النسيان فى أخبار ملوك السودان.
Texte arabe édité par 0. Houdas avec la collaboration de E. Benoist, paris 1899, (Publications de L'école des langues orientales vivantes IVe série, volume XIX).
٤٥- الطبرى ، ابو جعفر محمد بن جرير، ولد سنة ٢٢٤ - ٢٢٥هـ / ٨٣٩م توفى

سنة ٣١٠هـ / ٩٢٣م.

- تاريخ الأمم والملوك، نشر دجويه، طبع ليدن ١٨٩٧ / ١٨٩٨م.

- طبعة القاهرة فى ثلاثة عشر جزاء سنة ١٣٢٨ هـ.

- طبعة دار المعارف فى ١٠ أجزاء (مجموعة ذخائر العرب).

٤٦- ابن عبد الحكم، عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم بن اعين ليث ابو القاسم القرشى، ولد حوالى سنة ١٨٧هـ، توفى سنة ٢٥٧هـ / ٨٧١م.

- فتوح مصر والمغرب والاندلس، نشر شارل تورى، طبعة ليدن ١٩٢٠.

- نشرة جزئية جديدة بمعرفة عبد المنعم عامر، القاهرة ١٩٦١.

٤٧- الاستاذ الدكتور سعد زغلول عبد الحميد.

- تاريخ المغرب العربى، دار المعارف، ١٩٦٥.

- الاستبصار فى عجائب الامصار، طبع جامعة الاسكندرية ١٩٥٨.

- ملاحظات عن مصر كما رآها ووصفها الجغرافيون والرحالة المغاربة مجلة كلية الآداب، ١٩٥٤.

٤٨- حسن حسنى عبد الوهاب.

- خلاصة تاريخ تونس، طبع تونس ١٩٥٣.

٤٩- ابن عذارى، المراكشى، أبو العباس أحمد بن محمد، كان حيا سنة ٧١٢ هـ / ١٣١٢م.

- البيان المغرب فى أخبار الاندلس والمغرب، (الجزء الأول، تاريخ افريقية والمغرب من الفتح إلى القرن الرابع الهجرى). نشر وتحقيق ج س كولان. أ. ليفى بروفنسال، ليدن ١٩٤٨م.

- وفى سنة ١٩٦١ نشر الاستاذ ابمروسى ويثى ميراندا فى مجلة هيسبر يس تمودا التى تصدرها كلية الآداب بجامعة الرباط قطعة متعلقة بتاريخ المرابطين مبتورة الأول.

- وفيما بين ١٩٦٠ و١٩٦٣ نشرت كلية الآداب بجامعة محمد الخامس بالرباط الجزء الثالث المتعلق بتاريخ الأندلس والمغرب العربى من انتهاء المرابطين إلى عام ٦٦٧هـ ، وذلك بعناية امبروسى ويثى ميراندا والاستاذين محمد بن تاويت التطوانى ومحمد ابراهيم الكتانى.

٥٠- العمرى، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيى بن فضل الله توفى سنة ٧٤٨هـ / ١٣٤٨م.

- مسالك الابصار فى ممالك الامصار، طبعة دار الكتب ١٣٤٢ هـ / ١٩٢٤ (ج ١).

- ترجمة جزئية خاصة ببلاد المغرب والسودان، باريز ١٩٢٧ انظر جود فروا ديمومبين.

- التعريف بالمصطلح الشريف، طبع القاهرة سنة ١٣١٢هـ.

٥١- ابن فرحون، برهان الدين ابراهيم بن على اليعمرى المدنى المالكى، توفى سنة ٧٩٩هـ / ١٣٩٧م.

- الديباج المذهب فى معرفة اعيان علماء المذهب، طبع مصر ١٣٢٩.

٥٢- ابن الفقيه، أبو بكر أحمد بن محمد، توفى سنة ٢٩٠هـ / ٩٠٣م.

-كتاب البلدان، نشرDe Goeje ليدن ٠ .

٥٣- أبو الفدا، اسماعيل بن على، توفى سنة ٧٣٢هـ / ١٣٣١م.

- تقويم البلدان، نشر دسلان ورينو De Slane, Reinaud ، باريز ١٨٤٠.

٥٤- ريمون فيرون.

- الصحراء الكبرى، الجوانب الجيولوجية - مصادر الثروة المعدنية - استغلالها، ترجمة الدكتور جمال الدين الدناصورى، القاهرة ١٩٦٣ .

٥٥- القزوينى، زكريا بن محمد بن محمود، ولد سنة ٦٠٠هـ / ١٢٠٣م، وتوفى سنة ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م.

- آثار البلاد وأخبار العباد، طبعة بيروت، سنة ١٩٦٠م.

٥٦- ابن القطان، أبو الحسن على بن محمد الكتامى الفاسى، توفى سنة ٦٢٨هـ / ١٢٣٠م.

- نظم الجمان فى أخبار الزمان.

نشرت كلية الآداب بجامعة محمد الخامس بالرباط الجزء السادس منه، بتحقيق الدكتور محمود على مكى، سنة ١٣٨٣هـ / ١٩٦٤م.

٥٧- القلقشندى، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن على القلقشندى المصرى، توفى سنة ٨٢١هـ / ١٤١٨م.

- صبح الأعشى فى صناعة الانشا، فى ١٤ جزءا، طبع دار الكتب المصرية ١٩١٣ - ١٩١٩، نسخة مصورة عن الطبعة الاميرية، القاهرة ١٩٥٩.

٥٨- الاستاذة الدكتورة / سيدة اسماعيل كاشف.

- مصادر التاريخ الإسلامى ومناهج البحث فيه، طبع مكتبة الانجلو المصرية ١٩٦٠.

٥٩- محمد ابراهيم الكتانى.

- مؤلفات علماء غرب افريقية فى المكتبات المغربية، وهى المحاضرة التى القاها فى لجنة الشرق الأدنى والعالم الإسلامى بجامعة أن أربر ميشتغان بالولايات المتحدة يوم ١٧ غشت ١٩٦٧.

٦٠- ابن كثير، اسماعيل بن عمر عماد الدين أبو الفدا ابن الخطيب القرشى البصروى الشافعى، ولد سنة ٧٠١هـ / ١٣٠١ م، توفى سنة ٧٧٤هـ / ١٣٧٣م.

- البداية والنهاية فى التاريخ، ١٤ جزءا، القاهرة ١٣٥١ هـ - ١٣٥٨ هـ.

٦١- كراتشكوفسكى، اغناطيوس يوليا نوفتش.

- تاريخ الأدب الجغرافى العربى، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم،



مراجعة ايغور بلياييف، القاهرة ١٩٦٣م، (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر). القسم الأول.

٦٢- محمود كعت، الفع محمود بن المتوكل كعت الكرمني التنبكتي الوعكرى، يكتب في سنة ٩٥٢هـ / ١٥١٩.

- تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس وذكر وقائع التكرور وعظائم الامور وتفريق أنساب العبيد من الاحرار.

Texte arabe édité par O. Houdas M.Delafosse, paris 1913, (Publications de L'école des langues orientales vivantes IVe série, volume IX).

٦٣- الكندى، أبو عمر محمد بن يوسف، توفي سنة ٣٥٠هـ / ٩٦١م.

- كتاب الولاة والقضاة ، نشر رفن جست، طبعة بيروت، ١٩٠٨م.

٦٤- ليون الافريقى، الحسن بن محمد الوزان الزياتى، يوحنا الأسد الغرناطى، ولد سنة ٩٠١هـ / ١٤٩٥م.

Description de L'Afrique, Nouvelle édition traduite de l'italien par A. Epaulard, paris, 1958. 2 vol.

٦٥- المالكي، ابو بكر عبد الله بن أبي عبد الله، (توفي حوالي منتصف القرن الخامس الهجرى).

- رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقية وزهادهم وعبادهم ونساكهم وسير من اخبارهم وفضائلهم واوصافهم نشر الدكتور حسين مؤنس، القاهرة، ١٩٥١.

٦٦- المحبى، محمد الأمين بن فضل الله بن محب الله بن محمد بن محب الدين الدمشقي، ولد سنة ١٠٦١ هـ / ١٦٥١م.

- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادى عشر، طبع مصر سنة ١٢٨٤هـ ، ٤ أجزاء.

٦٧- المراكشي، عبد الواحد (قرن ٧ هـ).

- المعجب في تلخيص أخبار المغرب، من لدن فتح الاندلس إلى آخر عصر الموحدين مع مايتصل بتاريخ هذه الفترة من أخبار الشعراء واعيان الكتاب.

نشر محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، القاهرة ١٣٦٨هـ / ١٩٤٩م.

٦٨- المسعودى، ابو الحسن على بن الحسين - توفى سنة ٣٤٥هـ / ٩٥٦م.

- مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، ٤ أجزاء طبع التجارية ١٩٥٨.

٦٩- المقدسى، أبو عبد الله محمد بن أحمد، توفى سنة ٣٧٨هـ / ٩٨٨م.

- أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، نشر De Goeje، ليدن ١٩٠٦.

٧٠- المقريزى، أبو العباس أحمد بن على بن عبد القادر بن محمد الحسينى تقى الدين المقريزى، توفى سنة ٨٤٥ هـ / ١٤٤٢م.

- المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والاثار، جزئين، طبعة بولاق ١٢٧٠هـ.

- السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق الأستاذ الدكتور محمد مصطفى زيادة، الجزء الأول قسم أول وثانى وثالث، والجزء الثانى، قسم أول وثانى وثالث، القاهرة ١٩٣٤ - ١٩٥٨.

الجزء الثالث - القسم الأول والثانى، تحقيق الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة ١٩٧٠ - ١٩٧١، (مطبعة دار الكتب).

- الذهب المسبوك فى ذكر من حج من الخلفاء والملوك.
تحقيق الدكتور جمال الدين الشيال، القاهرة ١٩٥٥.

٧١- المقرى، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد التلمسانى، توفى سنة ١٠٤١هـ / ١٩٣١م.

- نفح الطيب، من غصن الاندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، نشر محمد محيى الدين عبد الحميد طبعة القاهرة، فى ١٠ أجزاء.

٧٢- آدم متز، الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى أو عصر النهضة فى الإسلام، ترجمة الدكتور عبد الهادى ابوريدة ، الطبعة الثالثة القاهرة ١٩٥٧ ، فى جزئين.

٧٣- ابن مماتى، الاسعد بن مماتى، توفى سنة ٦٠٦هـ / ١٢٠٩م.

- قوانين الدواوين، تحقيق عزيز سوريال عطية، القاهرة ١٩٤٣م.

٧٤- ابن منظور، جمال الدين ابو الفضل محمد بن مكرم الخزرجى الافريقى ولد عام ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م وتوفى سنة ٧١١هـ / ١٣١١م.

- لسان العرب، طبع ببولاق عام ١٢٩٩ - ١٣٠٨هـ ، فى عشرين مجلدا.

٧٥- حسين مؤنس.

- الجغرافية والجغرافيون فى الاندلس من البداية إلى الحجارى، صحيفة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية بمدريد المجلدان السابع والثامن ، مدريد ١٩٥٩، ١٩٦٠.

٧٦- مؤلف مغربى مجهول (من القرن الثامن الهجرى).

- الحلل الموشية فى ذكر الاخبار المراكشية، نشر علوش (مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية، الجزء السادس)، الرباط ١٩٦٩.

٧٧- ابن النديم، محمد بن اسحاق، توفى ٣٨٣هـ / ٩٩٣م.

- الفهرست ، طبعة التجارية.

٧٨- النويرى، أبو العباس أحمد بن عبد الوهاب بن محمد شهاب الدين توفى سنة ٧٣٢هـ / ١٣٣٢م.

- نهاية الارب فى فنون الأدب، الجزء الخاص بتاريخ المغرب والاندلس، مخطوط مصور، مكتبة كلية الآداب جامعة الإسكندرية رقم ٢٢م.

٧٩- ابن الوردى، زين الدين أبو حفص عمر بن المظفر بن عمر بن أبى الفوارس محمد الوردى القرشى البكرى الشافعى، ولد سنة ٦٨٩هـ توفى سنة ٧٤٩هـ / ١٣٤٩م.

- تاريخ ابن الوردى المسمى تتمة المختصر فى أخبار البشر، طبع القاهرة ١٢٨٥هـ.

٨٠- ياقوت، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومى، توفى سنة ٦٢٧هـ / ١٢٢٩م.

- معجم البلدان، فى ٦ أجزاء ، نشر وستنفلد Wustenfeld ليبزج ١٨٦٦ - ١٨٧٣.

- ونشر محمد الخانجى، القاهرة ١٩٠٦ - ١٩٠٧، ١٠ أجزاء.

- مراصد الاطلاع على أسماء الامكنة والبقاع، نشرYuynboll، ليدن ١٨٥٠- ١٨٦٤م.

- المشترك وضعا والمفترق صقعا، نشر وستنفلد، جوتنجن ١٨٤٦.

٨١- اليفرنى، أبو عبد الله محمد بن الحاج محمد بن عبد الله الصغير، ولد سنة ١٠٨٠هـ / ١٦٦٩ -٧٠م توفى سنة ١١٤ هـ / ١٧٢٧م أو سنة ١١٥١هـ.

- نزهة الحادى بأخبار ملوك القرن الحادى، نشر هوداس، باريز ١٨٨٨م.

٨٢- اليعقوبى، أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر بن وهب، توفى سنة ٢٧٨هـ / ٨٩١م.

- كتاب البلدان، نشر De Goeje ، ليدن ١٨٩٢.

- تاريخ اليعقوبى، فى جزئين، طبعة بيروت ١٩٦٠.

المراجع الأجنبية

ثانيا:المراجــع الأجنبيــة

1- Al Edrissi:

Description de L'Afrique et de L'Espagne (texte arabe et traduction francaise par R. Dozyet DeGoeje).Leyde 1866.

2- Actes du VIIe congrés de l'institu des Hautes-études Marocaines (compte rendu des seances) Hespéris tome XI, 1930 ,Fascicules 1-11.

3- Adam (André):

Le costume dans quelques tribus de L'Anti-Atlas Hespéris, tome XXXIX, Année 1952, 3e et 4e trimestres .

4- Arnold, T.W:

The preaching of islam , A history of the propagation of the muslim faith, second edition, London, 1913.

5- Arnold, T.W.: Arab travellers and Merchants. travel and travellers A.P.Newton, London, 1949.

6-Barth's travels in Nigeriia, extraits from the journal of Heinrich Barth's travels in Nigeria 1850-1855 Selected and edited by A.H.M Kirk Greene, London, Oxford University press, 1962.

7- Blachére, R.: Extraits des principaux géographes arabes du moyen age, paris, 1932.

8- Bovill, E.W.: Caravans of the old Sahara, an introduction to the history of the Western Sudan, London.

9- Bovill, E.W: The golden trade of the Moors.

10- Brockelman, Carl: History of the islamic peoples.

الشعوب والدول الإسلامية، ترجمة انجليزية بمعرفة.

Joel Garmichael and Mosche perlmann, New-York.

11- Brockelman, Carl: Geschichte der Arabischen Litteratur, 2 Vols, Weimar 1898- 1902.

Geschichte der Arabischen Litteratur Supplemint 3 Bander, Leiden E.J.Brill 1937 - 1949.

12- Delafoss . Maurice: Les Noirs de L'Afrique , paris, 1922.

13-Delafosse, Maurice:Les Civilisation Négro-Africaines, paris, 1925.

14-Delafosse, Maurice: Les Négres. paris, 1927.

15- Delafosse, Maurice: Les relations du Maroc avec le Soudan a travers les ages, Hespéris, tome IV, année 1924, 2eme trimestre.

16- De La Ronciére, Charles: La decouverte de L'Afrique au moyen age, cartographes et explorateurs, tome premier, l'interieur du continent, Le Caire, 1925.

17- De La Chapell F.: Esquisse d'une histoire du sahara occidental, Hespéres, tome XI, 1930, Fascicules 1-11.

18- Gaudefroy Demombynes: Les institutions musulmanes, paris, 1946.

19- Dozy R.P.A.: dictionnaire détaillé des noms des vetements chez Les arabes, Amsterdam, 1845.

20- Dozy R.P.A.: Supplément aux dictionnaires arabes, deuxiéme édition, paris, 1927.

21- Enc yclopédie de l'islam IV tome, Leyde-paris 1913-1934.

22-Fage I.D.: An introduction to the history of West Africa Cam-

bridge University press, 1962.

23- Gautier E.F.. Le passé de L'Afrique du Nord, les siécles obscurs, paris 1942.

24- Gautier E.F.: Le Sahara, payot, paris, 1928.

25- A Greek English Lexicon, A new edition Oxford University press, 1939.

26- Harrison Church R.J.: West Africa: A Study of the environment and of man's use of it, Longmans, 1961.

27- Hodgkin, Thomas: Nigerian Perspectives, Oxford University press 1960.

28- Hogben S.J.: An introduction to the histroy of the islamic states of Northern Nigeria, Oxford, 1967.

29- Houdas, O.: L'islamisme, Paris, 1908.

30- Houdas, O.: Documents arabes relatifs a l'histoire du soudan.

ترجمة لكتاب تاريخ السودان لعبد الرحمن بن عبد الله بن عمران بن عامر السعدى، مع مقدمة وهوامش، باريز، ١٩٠٠ (مطبوعات المدرسة الباريزية لتدريس الألسنة الشرقية).

31- Hudud al-Alam the regions of the world a persian geography A.H. 372-982 AD translated and explained by V.Minorsky, Oxford, 1937.

32- Ibn Batuta,: Travels in Asia and Africa 1325-1354, translated and selected by H.A.R. Gibb, London 1939.

33- Ibn Khaldun: The Muqadimah an introduction to the history translated from the arabic by franz Rosenthal, in three Volumes copyright 1958 by Bollingen Foundation Inc, New-York.

34- Julien A.: Histoire de L'Afrique du Nord Tunisie-Algérie Maroc de la conquéte arabe a 1830 - paris, 1930.

35- Jean-Léon L'Africain: Description de L'Afrque, Nouvelle Edition traduite de l'italien par A. Epaulard, Paris 1956, 2 tomes.

36- Mahmoud Kati: Tarikh El Fettach ou chronique du chercheur pour servir a l'histoire des villes, des armées et des princiqaux personnages du tekrorur. traduction francaise par 0. Houdas, M. Delafosse, paris, 1964.

37- kattani, Mohamed I,: Les manuscrits de L'occident Africain dans les Bibliothéques ı Maroc, Hespéres, Tamuda, Vol IX, Fas.one, année 1968.

38- Marcais, Georges: La berbérie musulamne et l'orient au moyen age, paris, 1946.

39- Miranda, Ambrosio Huici: Un Fragmento Inédito de Ibn Idari Sobre Los Almoravides , Hesperis Tamuda, Vol II Fasc I, 1961.

40- Monteil Ch.: Problémes du soudan occidental Juifs et Judaises Hesperis tome XXXVIII, Année 1951, 3e et 4e trimestres.

41- Monteil Ch.: Les "Ghana" des géograhes arabes et de Européen hespéris, tome XXXVIII, Année 1951, 3e et 4e trimestres, pp. 441 - 452.

42-Macoudi: Les prairies d'or Texte et traduction par G. Bai de Meynard et Pavet de Courteille, Paris. (Societé Asiatique, Collection d'ouvrages orien Livre des prairies d'or et des mines de pierres précieuses.

43- Mauny, Raymond: Note sur les grands "Voyages" de Léon L'Africain, Hespéris, t. XLI, année 1954, 3e et 4e trimestres.

44- Mauny, Raymond: Découverte A Gao d'un fragment de poterie émaillé du Moyen age Musulman, Hespéris. t XXXIX, année 1952, 3e et 4e trimestres.

45- Norris, H.T.: Sanhajah Scholars of Tumbuctoo B.S.O.A.S. Vol XXX part 3, 1967, p, 634.

46- Oliver, Roland: The Dawn of African history, Oxford University press, 1963.

47- Palmer, Richmond: The Bornu Sahara and Sudan, London, 1936.

48- Provencal, Levi: Les Historiens de la chorfa, 1923.

49- Oxford Classical dictionnary.

50- Sauvaget , J.: Introduction a l'histoire de l'orient musulman. Elements de bibliograhie, paris, 1946.

- Historiens arabes, paris 1946 pages choisies, traduites et présentées.

51- Sauvaget, J.: Les épitahes royales de Gao (Al Andalus, Madrid, 1949, Vol XIV, F.I, pp. 123 - 141).

52- Sauvaget, J.: Notes Préliminaires sur les épitahes royales de Gao, revue des études islamiques, Cahier I, année 1948, (1 - 12).

53- Stamp L. Dudley: Africa: A study in tropical development United States of America, 1960.

54- Steingass: A Comprehensive english dictionnary, second impres-

sion, London 1936.

55- Terrasse Henri: Histoire du Maroc des origines a l'etabliessement du protectorat francais, deux tomes, Editions Atlantides Casablanca. 1949.

56- Trimingham, J. Spencer: A history of islam in West Africa, Oxford University press. 1963.

- Islam in West Africa, Oxford University press, 1968.


- Islam in the Sudan, Oxford University press, 1949.

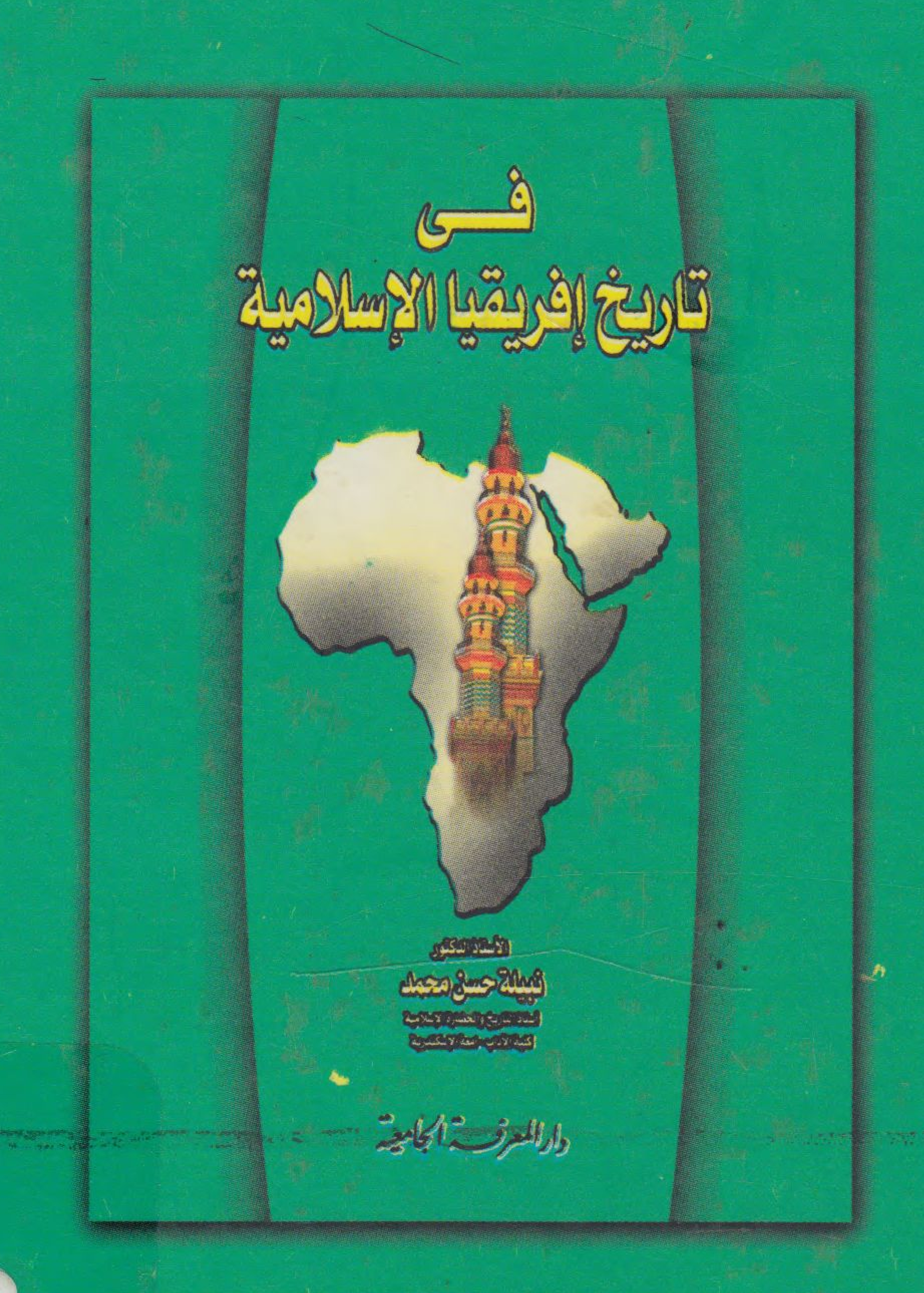
57- Wood H.J.: Exploration and discovery, First published, London, 1951.

58- Yver G.: Ency. de l'islam vol II. p. 182, Gogo.

محتويات الكتاب


دار المعرفة الجامعية
طبع نشر توزيع
BIBLIOTHECA ALEXANDRINA


دار المعرفة الجامعية
طبع نشر توزيع



فى
تاريخ إفريقيا الإسلامية
الأستاذ الدكتور
نبيلة حسن محمد
أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية
دار المعرفة الجامعية

